

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الرؤية الإلهية للأعياد الكنسية

— ٣ —

مع المسيح في آلامه حتى الصليب

دراسات روحية ولاهوتية

الأب متى المسكين

كتاب : مع المسيح في آلامه حتى الصليب

المؤلف : الأب متى المسكين

الطبعة الأولى : ١٩٦١ - كتاب «مع المسيح في آلامه وموته وقيامته»

الطبعة الثانية : ١٩٦٥ - مزيدة بالصلوات في نهاية كل فصل .

الطبعة الثالثة : ١٩٧٦ - مزيدة بكل ما صدر من مقالات عن الآلام .

الطبعة الرابعة : ١٩٨١ - مزيدة .

الطبعة الخامسة : ١٩٨٧ - مزيدة .

مطبعة دير القنيس أنبا مقار - وادي النطرون - ص . ب ٢٧٨٠ القاهرة .

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٨٧/٢٢٧٣ .

الترقيم الدولي : ١ - ٠٦٥ - ٤٤٨ - ٩٧٧

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف .

المحتويات

صفحة

٥	فهرس موضوعي زمني لمقالات الكتاب
٧	القسم الأول: كتاب مع المسيح في آلامه وموته وقيامته
٩	الفصل الأول: في جشيماني
١٧	الفصل الثاني: في المحاكمة
٢٢	الفصل الثالث: في الموضع الذي يقال له جليثة
٢٨	الفصل الرابع: ونكس رأسه وأسلم الروح
٢٨	أولاً: غلبة العالم
٣٢	ثانياً: غلبة الخطية
٥٣	الفصل الخامس: القبر الفارغ
	القسم الثاني: كتاب تأملات هادئة
٥٧	من جمعة ختام الصوم إلى جمعة الصلבות
٥٩	إنجيل جمعة ختام الصوم: أردت ولم تريدوا
٦٢	إنجيل سبت لعازر: حلّوه ودعوه يذهب
٦٦	إنجيل أحد الشعانين: أوصنا «هوشعنا أي خلّصنا»
٧١	عطلة الإثنين من البصخة المقدسة: شجرة التين غير المثمرة
٧٦	عطلة الثلاثاء من البصخة المقدسة: العشر عذارى
٨١	عطلة الأربعاء من البصخة المقدسة: تذكّار المحبة
٨٥	عطلة يوم خميس العهد: الجسد المقدس والدم الكريم
٨٩	عطلة يوم الجمعة العظيمة: أما يسوع فجلدوه وأسلموه ليُصلب
	القسم الثالث: كتاب دراسة لآلام الرب
٩٣	من الإنجيل والأسفار
٩٥	الرب يسبق و يصف آلامه المزمعة بدقة مذهشة

١ - مرحلة التعبير الرمزي أو غير المباشر

٩٩

التي وصف بها الرب آلامه وموته

٢ - مرحلة التعبير الواضح والمباشر

١٠٢

التي عبّر بها الرب عن آلامه وموته

١٠٢

أولاً: التصريح العلني الأول عن آلامه

١١١

ثانياً: التصريح العلني الثاني عن آلامه

١١٣

ثالثاً: التصريح العلني الثالث عن آلامه

١٤٠

خمس العهد

١٤٥

رؤيتنا للصليب

١٥٤

القيامة

١٦٣

القسم الرابع: مقالات مناسبة للآلام

١٦٥

أسبوع الآلام

١٦٧

صورة جديدة للألم

١٧٤

جثسيماني: بستان معصرة الزيت

١٨١

سر الإفخارستيا

١٩٤

موت على موت أو سر القيامة الحقيقية

١٩٩

الآلام معبرنا إلى المجد

٢٠٣

الصليب مصدر فرح ومجد

٢٠٧

يوم الصليب: يوم القضاء ويوم البراءة

٢٢٦

إنجيل آلام وأمجاد قيامة

٢٣٥

الصليب

٢٤٠

لماذا الصليب؟ وكيف نتصالح معه؟

٢٤٦

الصليب في حياتنا

٢٦١

سر الصليب

٢٧٢

الإنجيل والصليب

٢٧٩

من الصليب إلى القيامة

٢٩٦

فهرس شواهد الآيات الواردة في الكتاب

فهرس موضوعي زمني لمقالات الكتاب

صفحة	التاريخ	أُسبوع الآلام - مقالات عامة عن الآلام:
٩٥	أبريل ١٩٧٩	الرب يسبق و يصف آلامه المزمعة
١٣٩-١١٦	أبريل ١٩٧٩	دراسة عن النبوات
١٦٥	أبريل ١٩٧٧	أُسبوع الآلام
١٦٧	أبريل ١٩٧٨	صورة جديدة للألم
١٩٩	أبريل ١٩٦٨	الآلام معبرنا إلى المجد
٥٩	أبريل ١٩٥٣	جمعة ختام الصوم: أردت ولم تريدوا
٦٢	أبريل ١٩٥٣	سبت لعازر: حلوه ودعوه يذهب
٦٦	أبريل ١٩٥٣	أحد الشعانين: أوصانا
٧١	أبريل ١٩٥٣	إثنين البصخة: شجرة التين غير المثمرة
٧٦	أبريل ١٩٥٣	ثلاثاء البصخة: العشر عذارى
٨١	أبريل ١٩٥٣	أربعاء البصخة (تسليم يهوذا): تذكار المحبة
٩	أبريل ١٩٦١	خميس العهد: في جثسيماني
١٨	أبريل ١٩٦١	في المحاكمة
٨٥	أبريل ١٩٥٣	الجسد المقدس والدم الكريم

١٤٠	أبريل ١٩٧٩	خميس العهد
١٧٤	أبريل ١٩٧٦	جشيمانى بستان معصرة الزيت
١٨١	مايو ١٩٧٢	سر الإقخارستيا
		الجمعة العظيمة (الصليب):
٢٢	أبريل ١٩٦١	في الموضع الذي يقال له جلجثة
٢٧	أبريل ١٩٦١	ونكس رأسه وأسلم الروح
٨٩	أبريل ١٩٥٣	أما يسوع فجلدوه وأسلموه ليُصلب
١٤٥	أبريل ١٩٧٩	رؤيتنا للصليب
١٩٤	مارس ١٩٧١	موت على موت
٢٠٣	سبتمبر ١٩٦٩	الصليب مصدر فرح ومجد
٢٠٧	مايو ١٩٧٣	يوم الصليب
٢٢٦	أبريل ١٩٥٨	إنجيل آلام وأجناد قيامة
٢٣٥	مارس ١٩٧٥	الصليب
٢٤٠	سبتمبر ١٩٧٦	لماذا الصليب؟ وكيف نتصالح معه؟
٢٤٦	مارس ١٩٧٧	الصليب في حياتنا
٢٦١	أبريل ١٩٧٩	سر الصليب
٢٧٢	أبريل ١٩٨١	الإنجيل والصليب
		القيامة:
٥٣	أبريل ١٩٦١	القبر الفارغ
١٩٤	مارس ١٩٧١	موت على موت أو سر القيامة الحقيقية
١٥٤	أبريل ١٩٧٩	القيامة
٢٣٢	أبريل ١٩٥٨	أجناد قيامة
٢٧٩	أبريل ١٩٨٥	من الصليب إلى القيامة

القسم الأول

كتاب

مع المسيح في آلامه وموته وقيامته

الفصل الأول

في جثسيماني

بعد أن أكمل يسوع سر العشاء، ارتاحت نفسه، إذ أكمل حبه لما ذبح مع التلاميذ الفصح الأخير الذي كان يترقبه من وراء الدهور والذي كان يشتهي شهوة!!، وذبيحة الفصح الأخير كانت نفسه!

فالنفس لا تشتهي أكثر من أن يكل حبها، والحب لا يكتمل إلا بالفدية...
«ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (١).
ثم خرج مع التلاميذ ذاهباً إلى جثسيماني، وابتدأ يدخل في آلامه «وهو عالم بكل ما يأتي عليه» (٢).

لأنه لا يمكن أن يكل البذل إلا في الآلام.
وهو عندما قسّم جسده للتلاميذ هيّأه ضمناً للألم، وعندما أعطاهم دمه المسفوك ارتضى أن توضع عليه أوجاع الموت...

هنا نقطة التلاقي الكبرى التي تقابلت فيها البشرية مع الله...
فلم تكن مصادفة أن يطلب يسوع في وقت الليل بستاناً «ليدهش» فيه
«ويكتئب» وتخزن نفسه هناك حزنها العجيب حتى الموت!!

أليس في بستان الفردوس تعرى آدم بالخطية وخرج من لدن الله؟ فصارت البشرية بآدم في انفصال عن الله وموت؟

فإن كانت البشرية قد تقابلت مع الله بميلاد يسوع تقابلاً كلياً، فما كان ذلك إلا على أساس أن يتقابل يسوع معنا تقابلاً كلياً!...

(٢) يوحنا ١٨: ٤.

(١) يوحنا ١٥: ١٣.

في جثسيماني تقابلنا... لأن شركة الآلام هي تقابل ما بعده تقابل، إلا الموت ذاته حيث يكون اتصال الخلود.

فطبيعة الآلام الضاغطة التي نعانها في هذه الحياة إن بالجسد أو بالنفس جازها يسوع حتى إلى أعماقها... «نفسى حزينة جداً حتى الموت» (مت ٢٦: ٣٨)...

ولا حزن يبلغ هكذا بالنفس إلى حد الموت، إلا إذا كان حزن العار والخطية!

ففي جثسيماني قرر يسوع نهائياً أن يقبل عار الإنسان، وارتضى أن يدخل المحاكمة القادمة «كمجذف» و«فاعل شر»! خطيتان هما أصل الخطية وفروعها...

كيف قبل المسيح عار الإنسان؟

وقبول المسيح لعار الإنسان كان على مستوى «سري». ولكي يبلغ الإنسان إلى إدراكه، عليه أن يستنزف كل إحساسه وجدانه، وقل من يبلغه... فكما أخذ الرب طبيعتنا واتحد بها دون أن تُفقد أو تُغيّر من لاهوته، هكذا رضي أن يُلبس الجسد - في جثسيماني - وساختنا دون أن يتسخ... وهو لم يقبل الخطية بالفكر أو بالرمز أو الخيال بل يقول الكتاب: «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة» (٣).

هنا سر المسيح ومحور الفداء، من يدركه؟

كل ما نستطيع أن نقوله هو: كما أنه جاء إلى التجسد وحققه فعلاً بالإرادة، هكذا بالإرادة حمل الخطية في جسده... وحينما يريد الله يكون!... وإن كان الجوع والمعطش والتعب حقق لنا معنى التجسد في طبيعة بشرية صميمة، فالدهش والإكتئاب «وحزن النفس إلى حد الموت» يحقق لنا أنه تقبل بالإرادة الحرة ما سوف نُحمّله إياه البشرية على الصليب، تقبلاً سرياً!

وكما كان يحمل خروف الذبيحة قديماً خطية الإنسان وموت بها عن الخطيئة دون

أن يُقال أن الخروف أصبح خاطئاً، مع أنه حامل الخطية، هكذا ابن الله «حمل الله» (يو: ١: ٢٩) الذي رفع خطية العالم كله، صار خطية من أجلنا! وظل غير خاطيء البتة... «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه» (١) وهو كما هو: «قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات» (٢).

وكما صار هو فينا «خطية» مع أنه ظل «غير خاطيء البتة»، هكذا صرنا نحن فيه «بلا خطية البتة»، مع أننا بالبشرية خطاة!!...

«هو أخذ الذي لنا، وأعطانا الذي له، فلنسبحه ونمجده، ونزيده علواً» (٣).

لقد تقابلنا في جسيماني، فانتهدت إلى الأبد مشكلة الألم التي أحنث ظهر الإنسان وسحقت نفسه سحقتاً.

قبل جسيماني كان الألم عقاباً:

فقد ظل الألم والحزن مع ما يسبقه من مصائب ومظالم وعمن، وما يلحقه من أمراض وذل وهوان، سؤالاً لا جواب له في قلب الإنسان إلا كلمة «الخطية» و«العقاب»!...

فكان الألم بلا رجاء، بقدر ما كانت الخطية بلا شفاء!!

وكان الحزن مُراً وميتاً، بقدر ما كان العقاب بلا فدية!!

وكان عدم تكافؤ توزيع الآلام أمراً مُجلباً للأسى والجزع والحيرة، فالطفل البريء يناله من الأذى والألم والعذاب ما يناله أشد الرجال!...

(٤) ٢ كو: ٥: ٢١.

(٦) التسبيحة المقدسة: ثيوتوكية الجمعة.

(٥) عب: ٧: ٢٦.

وربما كان نصيب الإنسان الصالح والوديع من الآلام أكثر من المتمرّد والفاجر...
فلا اهتمام إلى قانون أو مبدأ تتوزع الآلام بمقتضاه . لماذا؟...
لأن الخطية ملكت على الإنسان عوض الله!

وليس للخطية قانون... أو قلّ إن قانون الخطية هو الظلم عينه ، ونظامها هو عدم
التكافؤ، ومبدأها الإستبداد!

فإن كان الإنسان قد اختار الخطية بهواه ، فهل يلوم الله إن هو وقع تحت قانون
الخطية الجائر؟

ولكن لكي لا يلوم الإنسان خالقه ، حتى فيما آل إليه من الآلام الجائرة نتيجة لما
أخطأ فيه بهواه ، أرسل الله ابنه في جسد إنسان ليتألم بالآلام الإنسان دون أن يكون
مستحقاً للآلام!

ففي جثسيماني — وما بعد جثسيماني — تألم ابن الله وحزنت نفسه حتى الموت ،
ونزلت قطرات العرق تتصبب كقطرات الدم ، وكأنها نازقة من جروح خفية!...

ونحن نسأل : إن كان الإنسان الخاطيء يتألم ، ورُبَّ بعض الآلام جائرة ، لأن هذا
ناموس الخطية!...

وإن كان الإنسان الصالح يتألم بأكثر مما يتألم به الشرير ، فناموس الخطية يحكمها
معاً ، ولا تكافؤ في حكم الخطية!...

وإن كان الطفل البريء يتألم بما يتألم به الرجال ، فهو مولود الخطية ، والخطية لا تلد
إلا الظلم والإستبداد .

ولكن ما بال المسيح يتألم بهذه الآلام الضاغطة وتحزن نفسه حزناً بليغاً حتى
الموت؟ ، وهو مولود من الروح القدس ومن عذراء طاهرة ، عاش بلا خطية وقال : « أنا
هو الحق » (يو ١٤: ٦)!!

أليس هذا معناه أن المسيح قبل ظلم الآلام وارضى بحكمها المستبد؟ « بصراخ شديد ودموع » (٧)!

فإن وُجد إنسان ما يتألم ظلماً ويُعزَم بأكثر من إثمه، فإذا نقول عن المسيح؟ إلا أنه بالآلام حمل طبيعة الظلم كله! وبأحزان نفسه الساحة دفع غرامة الإثم كله! كما قيل في إشعياء النبي:

«أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها... ونحن حسبناه مضروباً من الله ومذلولاً!!
«وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه!...
«كلنا كغفم ضللنا، ولنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا!...
«ظلمَ أما هو فتذلل ولم يفتح فاه... على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فاه غش!
«أما الرب فسرّب أن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم... سكب للموت نفسه» (٨).

ثم صار الألم هبة:

هكذا رفع الله ظلم الآلام وجورها وناموسها المستبد، لا برسالة، ولا بقانون، ولا برؤيا، ولا بملك، ولكن بأن جاء كإنسان وتألم بالظلم عينه وخضع لناموس الاستبداد متذللاً لا يفتح فاه!...

والمسيح بقبوله الآلام على هذه الصورة رفع من قيمة الألم ذاته، فبعد أن كان استحقاقاً للخطية وعقاباً عليها صار ذبيحة حب وعمل فدية!... فانتَهت بذلك إلى الأبد الرُبُط التي كانت تربط الآلام بالخطية، وما كانت تثيره في قلب الإنسان المتألم وفي ضميره وإحساساته النفسية من أنه تحت عقاب وانتقام!!... هذه الإحساسات التي كانت تهد من كيانه النفسي وتورثه الهم والقلق وأمراض الموت...

إذ صرنا ونحن في المسيح نتألم على مستوى آلام المسيح، لا عن استحقاق خطية،

(٨) راجع إش ٥٣.

(٧) عب ٥: ٧.

بل شركة في الآلام الحب والبذل والفدية...

فصار الألم — في المسيح — هبة على أي نوع كان!! ...

«فليحمدوا الرب على رحمته ... لبني آدم...» (٩).

وشركة حب مع المسيح...

والمسيح لما وقع تحت الآلام الجاثرة دون أن يكون مستحقاً للألم البتة، حوّل مفهوم الظلم في الآلام. فبدل أن كان المتألم ظلماً يرفع عينيه إلى السماء ليلوم الله أو يسترحمه، فلا يجد رداً أو جواباً أو تعزية، لأن الخطية حجبت الإنسان عن خالقه، وأغلقت على المتألم والمظلوم معاً في قسوة لتدفعهما دفعاً إلى الموت والهلاك، لأن هذا طريق الخطية ونهايتها، نقول بدلاً من ذلك أصبح المتألم — وقد صار خراً من الخطية إلى الأبد في المسيح — لا يرى في تألمه شيئاً من الظلم مهما كانت آلامه ومهما كانت براءته... إذ يرى ويحس أنه لا يتألم قط لبني شيئاً عليه أو ليكفر عن ذنب جناه. فأشد أنواع الآلام بل وكل الآلام البشرية تجمع معاً لا تكفر عن خطية صغيرة، لأن الخطية خصومة مع الله وخروج من حضرته، والآلام هي عقابها ليس إلا... فإن وفينا العقاب، مَنْ يصالح؟ وحتى إن دفعنا أجرة الخطية بالموت، من يحمينا ويدخلنا إلى حضرة الله؟...

ولكن هوذا المسيح رفع الخطية وصالح وأحيا، وبذلك رفع صلة الآلام بالخطية المرعبة الذميمة... فلم تعد الآلام شركة في خطية آدم بل شركة في حب المسيح!...

إذن، فهمنا تألمنا — ونحن في المسيح — واشتدت بنا الآلام، فنحن لا نتألم قط عن استحقاق أو غير استحقاق للألم ذاته، قلّ أو كثر، فالألم لم يعد تعزيباً عن شيء ولا تكفيراً عن شيء، ولا عقاباً عن شيء! فالخطية التي كانت تسبب هذا التعزيم وهذا التكفير وهذا العقاب بالآلام، رفعها المسيح بعد أن وقى غرامتها وكفارتها وعقوبتها!

فصار الإنسان وكأنه يتألم مجاناً أو كأنه يتألم بلا سبب أو علة!

(٩) مز ١٠٧: ٨.

نعم وهذه هي آلام المسيح عينا!!
وهذا هو طقس آلام الحب والبذل والفدية!!
أو هذه هي شركة الألوهة، لأننا «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه» (١٠).

ثم شركة في مجد القيامة وأفراحها:

فهل لنا أن نفهم الآن سر الكلمة القائلة: «لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله» (١١)، فندرك أن الألم أصبح بالمسيح هبة بعد أن كان عقاباً...؟

وهبة الآلام التي ليست بسبب الخطية هي بالضرورة شركة في المجد.

فإذا التفتنا إلى كلمة يعقوب الرسول: «احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة» (١٢)، ندرك أيضاً كيف أصبح كل ألم مهما كان نوعه مرتبطاً حتماً بالمسيح، وعلمنا بالضرورة أن نقبله بالفرح شاكرين عالمين «أنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً» (١٣).

إذن فنحن لم نعد نتألم للخطية بل للمسيح، وكل ألم بدون المسيح هو خطية، وألم الخطية موت!

أما آلام الإنسان الذي يعيش مع المسيح فلا تُحسب أنها بسبب الخطية، هي ألم البر، هي فرح وسلام، «الآن أفرح في آلامي» (١٤)، هي شركة في ذبيحة المحبة العظمى التي قلدعها يسوع بآلامه وأكملها بموته، «لأعرفه... وشركة آلامه متشبهاً بموته» (١٥).

(١١) في ١: ٢٩.

(١٠) روم ٨: ١٧.

(١٣) ٢ كور ٥: ٥.

(١٢) يع ١: ٢.

(١٥) في ٣: ١٠.

(١٤) ١ كور ٢٤: ٢٤.

إذن فكلما ازدادت آلامنا ونحن في المسيح ، ازدادت بالحري شركتنا في هذه الذبيحة وتوثقت صلتنا بالقيامة وأفراحها...

وهكذا انقلب مفهوم الظلم في الآلام من الإستبدادية الهوجاء حسب ناموس الخطيئة الذي كان متسلطاً على العالم والإنسان إلى معيار جديد لهبة عظيمة واستحقاق للمجد وفرح القيامة «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني من ناموس الخطيئة والموت» (١٦).

وبطرس الرسول يتكلم في ذلك كمختبر «لأن هذا فضل إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزاناً متألماً بالظلم» (١٧).

شكراً لله الآب والرب يسوع .
«فليحمدوا الرب على رحمته ... لبني آدم...» (١٨).

* * *

أيها المتألمون تعزوا، لم تعد آلامكم بسبب خطيئة بل شركة في حب، في آلام جثسيماني !

أيها الحزاني والساكبي الدموع افرحوا، أحزانكم ليست للموت، هي في أحزان يسوع محفوظة للقيامة .

* * *

صلاة

يا من داس المعصرة وحده وانفرت فيه الآلام كسهام الموت...
أنا أدرك مقدار ما عانيت وحدك... وتلاميذك نيام.
اسمع وعرفني ماذا أصنع أنا الآن من أجلك...

(١٧) ١ بط ٢: ١٩.

(١٦) روم ٢: ٢.

(١٨) مز ١٠٧: ٨.

جثسيماني ماثلة أمامي وأنت جاثٍ بركبتك على الأرض العراء،
وبالرغم من برد الليل كان عرقك يتصبب كالدم...
— اقبلني اليوم جاثياً معك .

— واسمح واعتبر آلامي وأحزاني شركة متواضعة في آلامك...
— لقد رضيت أن تشرب الكأس عني .
— سوف أخدمك كل أيام حياتي...
— فقط عزّفي كيف أكرمك...

طلبت من تلاميذك أن يسهروا ويصلوا معك ساعة واحدة... فناموا...
سأسهر وأصلي ولن أغفل عن ذكر آلامك في جثسيماني...
سأرددها بالشكر وعرفان الجميل كل أيام حياتي...



الفصل الثاني في المحاكمة

براءة باتهام يسوع،
وحياة بموت يسوع.

دخل يهوذا بستان جثسيماني ليلاً، مع عساكر وخدام رئيس الكهنة بسيوف وعصي! وتقدم الخائن... وقبّل يسوع!... ثم ربطوا يسوع وقيدوه وساقوه للمحاكمة!

* * *

أليست هذه صورة لما حدث قديماً، حينما دخل الشيطان بستان الفردوس بخداع وخيانة الحية مُظهراً ودّه للإنسان كمحب نصوح، فأسقطه ثم ربطه بالخطية وقيدته بسلطانها وساقه للدينونة والموت!

* * *

بعد مداولات كثيرة، في ارتباك، وفرح، وخوف، وهمٌّ ثقيل، وسرعة محبّلة، استقر رأي رؤساء الكهنة بعد الرجوع إلى القوانين والتقليد وشهود الزور، أن تتلخص التهمة التي يحاكم المسيح بمقتضاها هكذا:
أولاً— أنه ساوى نفسه بالله فهو مجدف (١)!
ثانياً— أنه فاعل شر (٢).

* * *

أليست التهمة الأولى هي خطية آدم بعينها، أصل كل الخطايا!
وأليست التهمة الثانية هي خطية كل بني آدم!...
أولاً: فإن حُكِم على المسيح كمجذّف لأنه ساوى نفسه بالله وقبل الحكم ولم

(٢) يوحنا ٨: ٣٠.

(١) مت ٢٦: ٦٥.

يطعن فيه ، ألا يكون قد قبل الحكم ليس عن نفسه بل عن آخر، ومن هو الآخر إلا آدم الذي ساوى نفسه بالله اختطافاً فاستحق هذا الحكم ؟...
إذن قد تبرأ آدم باتهام يسوع .

وإن مات ابن الله تحت عقوبة هذا الحكم كمجلف ، ورضى أن يموت فعلاً ! ألا يكون قد مات ليس عن نفسه قطعاً بل عن آخر، ومن هذا الآخر إلا آدم الذي مات فعلاً ؟

إذن فقد قبل آدم الحياة بموت يسوع .

ثانياً : إن حكم على ابن الله كفاعل شر — وهو القدوس — وقبل هو هذا الحكم ولم يطعن فيه ألا يكون قد قبل الحكم ليس عن نفسه بل عن آخر، ومن هذا الآخر إلا أنا وأنت ؟.

إذن فقد تبرأنا باتهام يسوع ، نحن وكل من يؤمن أن الرب يسوع ابن الله الحي حكم عليه كفاعل شر وقبل الحكم عنا !!

وإن مات ابن الله تحت عقوبة هذا الحكم كفاعل شر ورضي أن يموت فعلاً... ألا يكون قد مات ليس عن نفسه قطعاً ولكن عني وعنك وعن كل فاعل شر آمن أن ابن الله القدوس قبل أن يموت كفاعل شر ؟
إذن فنحن أحياء بموت يسوع .

وهكذا خرج الرب من بيت حنان وقيافا ثم من بلاط هيرودس ثم بيلاطس ومعه وثيقة تحوي في ظاهرها إتهاماً « وحكماً » بالموت على المدعو « يسوع » وهي في طياتها السرية اختتام ملكية يامضاء ابن الله — كنائب عن البشر بالتجسد — تحوي براءة آدم وكل الخطاة ، مع وصية بإقامتهم من الموت ، يصير تنفيذها على الصليب !



صلاة

القبض :

التلميذ الذي أكل خبزك وشرب تعليمك رفع عليك عقبه...
وبقلة سلمك ، فتنجس المحبة...
بسيوف وعصي خرجوا عليك كأنهم يطاردون سارقاً...
واقنادوك مقيّداً كمذنب وسط الجموع الحاشدة...
— الآن أتذكروصيتك أن « ائبنوا في محبي »...
— سأثبت في محبتك وأمانتك ولوبيقت عريانا والعالم كله ضدي...
— سأبذل منطق القوة ، سأجحد السلاح وألقي العصي...
— وعوض منظر الذلة والعار ، إقبل شهادتي بلاهوتك...
— واعترافي بربوبيتك جهاراً قدام كل الناس...

* * *

أمام رئيس الكهنة :

لطمك عبد رئيس الكهنة على خدك بعنف وامتهان وبلا سبب...
حكما واستحضروا شهود الزور ولفقوا التهم...
كنت كالحمل الوديع وسط ذئاب يتحسسون منك موضع النهش ،
وأنت ساكت وهم مسرورون بسكوتك...
أخرجوا القضية ملفقة والكل يعلم أنهم أسلموك حسداً ، وأنت راض
بكل ما عملوه...
بصفقوا في وجهك ولكهوك ، وآخرون لطموك ، وقالوا تنبأ لنا من
ضربك ؟
وبطرس تشجع لما رأى أن الله لم ينقذك فأنكرك ولعن بقسم أنه لا
يعرفك !...

— ها خدي ياسيدي أعرضه للطم ولا أمنعه عن العبد وعن الرئيس...
— ولن أجزع من العنف والإمتهان ويكفي أن أكون كسيدي...

— ها عهدي ياسيدي أن لا يتسرب الظلم إلى قلبي أو شهادة الزور إلى أذني... —

— سأحفظ قلبي من النعمة ، ولن أنخس شفتي باتهام باطل... —
— سأختار الوداعة والسكوت ، ولو أحسست بالخنجر في ظهري... —
— ولن أدخل محاكمة إلا والرضى بما سيحكم به يلاً نفسي... —
— سأجعل وجهي كالصوان ولن أخزي من تشهر أو مذمة... —
— وإن أنكرني أبي أو أخي أو إبنی فسأصلي لكيلا يفنى إيمانه وإيماني... —

* * *

أمام بيلاطس :

أسلموك للوالي ، وعلا صراخهم ، وهيجوا الشعب لينالوا ما أضمرُوا ، وأنت هادىء إذ أضمرت لهم الغفران منذ البداية... —
عروك وجلدوك إلى أن سألت الدماء على ظهرك... وضفروا الشوك وكللوك به وأنت صامت كملك .

وانحنوا أمامك ساجدين ، ثم قاموا وضربوك بالقصبة على رأسك .
وأخيراً وضعوا الصليب عليك واقتادوك إلى الجلجثة... —
الآن علمت ياسيدي ثمن المناذاة بالحق .

— وعرفت معنى الإحتمال ، وأدركت طريق التضاع... —
— سأحتفظ لخصمي بالغفران والصفح ، مهما أضمر ضدي... —
— سأترك ظهري لأعدائي وأثبت قلبي نحو الجلجثة... —
— وسأحني كرامتي وعزة نفسي لضفري الشوك والضاربين على الرأس... —

— وسأحمل صليبي بغير تذمر وأسير خلفك صامتاً مثلك .



الفصل الثالث

في الموضع الذي يُقال له جلجثة

□ شركة في آلامه حولت الخطيئة
إلى توبة وإلى كرازة...

فخرج وهو حامل صليبه... إلى موضع الجمجمة ويُقال له بالعبرانية جلجثة!...
وصلبوه هناك!...

* * *

منظر لا يجوز لنا أن نتصوره بمشاعر الحزن خلواً من هيبة ألوهيته ومجد قيامته وفرحة
لقياه! لقد أخطأت بنات أورشليم إذ بكين عليه!... فسمعن منه هذا القول: «لا
تبكين عليّ بل إبكين على أنفسكن وعلى أولادكن» (لو ٢٣: ٢٨)...

ولكن لا نستطيع أبداً أن نتصور الصليب بمشاعر الفرح خلواً من حزن شديد!...
وإلا نكون قد فقدنا معنى الصليب ونسينا تطهير خطايانا الأولى، وصرنا كواحد من أهل
العالم الذين شاهدوا صلب يسوع باستهزاء وعدم مبالاة...

«الحق الحق أقول لكم إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح» (يو ١٦: ٢٠)...

نحن لا نبكي كما حدى الجاهلات اللاتي كن ينظرن إلى الرب كأنسان يموت عن
نفسه... ولا نفرح مع العالم اللاهي لئلا نكون شبه الصالين!!

* * *

نحن تقابلنا مع المسيح في جسيماني وقلنا إن شركة الآلام هي تقابل ما بعده
تقابل... وتأكدنا أنه منذ تلك الساعة صارت آلامنا تحسب مع آلام المسيح ذبيحة حب
وفرحة وشركة في مجد الألوهة. فها بالنا نقول الآن أنه ينبغي أن نتألم ونحزن ونبكي؟...

نقطة التلاقي الأولى: ألم الصليب:

نعم يجب أن نلتقي مع الصليب ففيه مذكرتنا حزن واكتئاب كثير... لأن لنا فيه مصدر تبكيت بسبب خطايانا الحاضرة... من ذا يستطيع أن يدنؤ من الصليب ولا يحس بخطاياه و ينظرها أمامه حاضرة؟

نحن لا نبكي المسيح على الصليب... بل نبكي أنفسنا التي لم تنتفع بعد من عار الصليب وعذاب المسيح!

نحن لا نتألم لأن المسيح تألم!... ولكننا نتألم لأن المسيح تألم ونحن لا زلنا نلهو...

نحن لا نحزن لأن المسيح شرب المر على الصليب!... ولكننا نحزن لأننا لم نرعو ولم نعتبر ذلك، ولا زلنا نشرب من ملذات الدنيا...

نحن لا نجنح حينما نتصور كيف ضغطوا إكليل الشوك على رأس المسيح وانغرس أشواكه في رأسه وجبهته وسال الدم من هنا ومن هنا إمعاناً في احتقار هلو كيته!... ولكننا نجنح حينما نتصور ذلك ونحن لا نزال نسعى وراء أجماد الدنيا وتكريم الوظيفة وعلو الدرجات!

نحن لا نرتعب من منظر المسامير وهي تُدق في اليدين والرجلين على الخشبة!... بل نرتعب لما نذكر ذلك ونتذكر كيف امتدت أيدينا للسرقة والرشوة وإمضاء الزور والإساءة إلى الأبرياء... ولا نزال تمتد!...

هذه هي شركة آلامنا في الصليب حيث يصير الصليب خشبة تبكيت وآلام ومصدر حزن توبة للحياة...

«الآن أنا أفرح لا لأنكم حزنتم، بل لأنكم حزنتم للتوبة... لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة» (١).

(١) ٢ كور ٧: ١٠ و ٩.

كذلك نحن مدعوون أن نكون شركاء في آلام المسيح، لا بمعنى أن نحمل عنه آلامه أو نشاطره أحزانه — إذ هذا تفسير جدّ خاطيء — بل بمعنى أن نكون مستعدين أن نقبل مثله ألم الرسالة واضطهاد الحق وضيق الكرازة، في كل ما يأتي علينا، حيث تُحسب لنا هذه كلها كتكميل لآلام المسيح، أو كاشتراك بنصيب متواضع في أحزان الصليب... «أكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة» (٢).

إذن في ذكرى آلامه نحن مدعوون لا أن نبكي عليه بل أن نبكي معه بأن نحمل صليبا ونتبعه، ونضيف آلامنا على آلامه!...

وحينما تقرأ الكنيسة أناجيل الصليب بنعمة الحزن فلتذكر أننا مدعوون أن نسير سيره ونُهان إهانتته ونُطرد مثله ونُخرج «حاملين عاره» (عب ١٣: ١٣)...

هكذا نتألم وهكذا نعرف آلام المسيح وعار الصليب...
فهي إما تنشئ فينا حزناً للتوبة والخلاص،
وإما تنشئ فينا حزناً على الخراف الضائعة.

نقطة التلاقي الثانية: فرح الصليب:

هي ليست نقطة ثانية، لأنها كاثنة بالأولى، فشركة آلامنا في الصليب قائمة أساساً على الفرح والعزاء...

فنحن إما نحزن ونتألم للتوبة، وأحزان التوبة تنشئ فرحاً ما بعده فرح، فالكتاب يصفه أنه «بلا ندامة» لأنه فرحة اللقيا بوجه المسيح لقيامة وحياة في الخلود... وإما نحزن ونتألم في الخدمة والكرازة، وأحزان الكرازة عزاء ما بعده عزاء لأنه تكميل لرسالة الصليب وبها نوهل أن نكون من التلاميذ أو التابعين... «قد امتلأت تعزية، وازدادت

فرحاً جداً في جميع ضيقاتنا، لأننا لما أتينا إلى مكدونية لم يكن لجسدنا شيء من الراحة، بل كنا مكتئبين في كل شيء، من خارج خصوصاً، من داخل مخاوف، لكن الذي يعزي المتضعين عزانا... بسبيكم» (٣).

* * *

أعماق:

وكما أن آلام الصليب لا يبلغ أعماقها إنسان، مهما كانت توبته قوية أو مهما كانت خدمته دامية... فأفراح الصليب قائمة بهذه النسبة عينها. وكل ما نعرفه أنه كلما ازدادت آلام الصليب في حياتنا ازدادت التعزية بالضرورة... «لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمشيح تكثر تعزيتنا أيضاً» (١).

وليدرك القارئ أن النسبة مطلقة... إن في الألم أو في الفرح فلا ينزعج من الألم إذا كثر وتجاوز الحد فليس للألم حدود... ولكن عليه أن يدرك أن عدم محدودية الألم هي عينها التي تنشئ فرحاً لا يُنطق به وبجيداً!...

فإن كانت آلامنا هي بلا حدود، فلكي تكون أفراحنا بلا حدود... ونحن الراجحون...

وإن كانت الآلام الشديدة تنشئ إحساساً بالموت، فالإحساس بالموت ينشئ إحساساً بحياة المجد.

ولكن لينتبه القارئ جداً لأنه إذا لم ينشئ الألم فرحاً ملازماً وعزاءً حاضراً، فليدرك أنه يتألم خارج آلام المسيح! ويكون متغرباً عن شركة آلام الحياة.

إحذر أيها القارئ أن تقبل ألاماً لا تجد فيه عزاءً، لأنه هو هو ألم الخطية الذي يورثك الهم والقلق والحزن المفسد الذي ينتهي بك إلى المرض والهلاك... فإذا أوقدت شمعة الضمير وفتشت في أعماق هذا الألم الحبيث تجده ولا بد متسبباً عن شيء في الذات، إما

(٤) ٢ كو ١: ٥.

(٣) ٢ كو ٧: ٤-٧.

أنانية، أو بغضة، أو حسداً، أو حقداً، أو كبرياء، أو خوفاً من الموت. وهذه الجذور سامة تغذي الذات بعصير الآلام المفسدة.

وأعلم أنه ليس في المسيح ألم بلا تعزية، ولا عزاء بلا ألم...
فقد زرع المسيح جسده في وسط الآلام، وأخرج لنا منها ثمرة مبهجة للحياة...
«فليحمدوا الرب على رحمته لبني آدم»...

يا إخوة لا تتألموا خُلُوا من فرح، كبنات اورشليم الجاهلات... ولا تفرحوا خُلُوا من
الآلام، كالصالبين أو كأحد المستهزين...

* * *

السلام للصليب قوة التوبة لخلاص بلا ندامة...
السلام للصليب قوة الكرازة وعزاء الرعاية...

* * *

صلاة

آلام... نزيف... عطش... دوار وغصة وتسليم الروح.
وأخيراً وقعت حبة الحنطة بإرادتها وماتت!
— الآن عرفت معنى المحبة...
— ومعنى الغلبة على العالم...
— أقدم لك ياسيدي قوتي إكراماً لجروحك النازفة...
— وصحتي وشبابي أضعتها تحت قدميك الداميتين...
— ومالي أضعه في يديك المجروحتين...
— سأصوم إكراماً لعطشك...
— سأفرح في أمراضي إكراماً لآلامك...
— سأبذل حياتي لذكرى موتك...
— سأبذلها في الخفاء، وعند الضرورة في العلن...

الفصل الرابع ونكس رأسه وأسلم الروح

(يو ١٩: ٣٠)

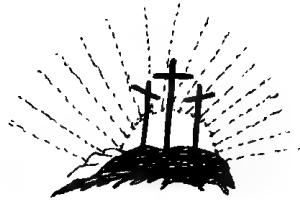
غلبة على العالم والخطية

أما يسوع فلما جاءوا إليه ... رأوه قد مات .
لكن واحداً من المسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء .

* * *

في الأيقونة القبطية التي تصوّر الصلبوت ، لوحظ أن في أسفل الصورة وتحت رجلي المسيح كان الرسام القبطي يضع حرف Ⲫ (تشيا) . وقد عجز علماء الأيقونات أن يفسروا هذا الحرف ، وإلى أي شيء يرمز ، إلى أن وُجدت أيقونة تحمل في أسفلها الكلمة Ⲫⲱⲡⲟ التي تبدأ بالحرف المذكور ومعناها باللغة القبطية «غالب» ، وهي اختصار لمفهوم آية وردت في سفر الرؤيا «وخرج غالباً ولكي يغلب» (١) ...

هكذا يوجهنا التقليد الطقسي كيف ننظر إلى المسيح كملك وهو في أشد حالات الذلة والعار والهوان!! مُعلّقاً على خشبة الصليب ، يتألم بالآلام الموت حتى أسلم الروح ... غالباً العالم ، والخطية ، والموت ...



(١) رؤى ٢: ٢٧.

أولاً: غلبة العالم

ثقوا أنا قد غلبت العالم:

القديس يوحنا الرسول يسجل في رسالته الأولى مفهوماً واضحاً عن العالم المغلوب للمسيح: «كل ما في العالم شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتعظم المعيشة» (١).

إذن، فالعالم المغلوب للمسيح ليس هو الأشياء التي فيه أو الناس، بل حركة الفساد وتيار الإثم الحق الذي ينسكب على العالم من مصدر الفساد والإثم، إبليس رئيس عالم الخطيئة أو رئيس العالم الخاطيء! ... لذلك يكمل القديس يوحنا قائلاً: «ليس من الآب بل من العالم».

والمسيح قال: «أنا لست من العالم» (٢)، لأنه لم يكن يصنع إلا مشيئة الآب! ... فقال مرة: «من منكم يكتني على خطيئة» (٣)، وقال مرة أخرى: «رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء» (٤).

هكذا غلب يسوع العالم ورئيس العالم، وإكليل الشوك الذي توجّه به العالم يوم صليوته شهادة أعظم شهادة أنه لم يمالء، ولم يكذب، ولم يجبن، ولم يخشَ سطوة رؤساء الكهنة، ولا عمل حساباً لحبث الكهنة ورياء الفريسيين، بل ما توانى عن أن يفضح ديانتهم الريائية التي تحق بمظاهرها اختطافاً، وخبثاً، وتجاوزاً عن الحق، والرحمة، ومحبة الله، والإيمان.

لم يتقابل المسيح مع العالم في نقطة إلا واصطدم بها كاشفاً الحق من تحت أغطية التعاليم الكاذبة والتقاليد الخاطئة، وقد اصطدم المسيح بكل نقط العالم السوداء...

(١) ١ يو ٢: ١٦.

(٢) ١ يو ١٧: ١٤.

(٣) ١ يو ٨: ٤٦.

(٤) ١ يو ١٤: ٣٠.

لذلك تضافرت كل جهود السلطات والهيئات التابعة « لهذا العالم » عالم الخطيئة ، على صلبه ! ...

لذلك بقدر ما في الصليب وآلام الموت من عار وذل وهوان ، بقدر ما في ذلك شهادة على غلبة المسيح على العالم .

فالعار والذل والهوان ، كأس يمزجه العالم حتماً لكل خارج عليه : « لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته . ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم » (٥) !

خارج المحلة :

وقف بولس الرسول عند منظر المسيح وهو خارج من باب أورشليم حاملاً صليب العار ، فتذكر بالروح منظر ذبيحة الخطيئة كيف كانت تحمل خارج المحلة لتُحرق بعيداً ... فاضطرم المنظر في قلبه كالنار وأحس بضرورة أن يشاركه هذا الخروج عينه ! ... « فلنخرج إذن إليه خارج المحلة » (٦) .

ولكن الخروج إلى المسيح خروج على العالم بالضرورة ... يلزم أن نستعد أن نخرج إليه « حاملين عاره » ، مستعدين أن نشرب من ذات كأس العالم الممزوج للمسيح ! ...

صعب ... وأيضاً أقول صعب ... ولكن هذا الوعد يشجعنا : « من يغلب فسأعطيهِ أن يجلس معي في عرشي كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه » (٧) .

حاملين عاره :

لقد استطاع « الناس » حديثاً أن يتغلبوا على عار الصليب ، فبعضهم أخفوه إما من إسمهم ، وإما من صدرهم ، وإما من على أيديهم وهؤلاء يهون أمرهم . وبعضهم أخفوه

(٦) عب ١٣ : ١٣ .

(٥) يو ١٥ : ١٩ .

(٧) رؤ ٣ : ٢١ .

إما من فهم، وإما من قلبهم، وهؤلاء بشس ما هؤلاء!... وبعضهم لم يخفوه، ولكنهم أعلنوه تحت إلزام وضرورة، هؤلاء تغلبوا على عار الصليب بأن جعلوه من ذهب، ورصعوه بفصوص جميلة ملونة، وتحايّلوا على شكله «كعلامة تقاوم» (لو ٢٤: ٣٤) حتى جعلوه تحفة فنية!! لكي يزول عنه عاره ويصير له بواسطة الذهب والفصوص الملونة كرامة... فأصبح الصليب قطعة للزينة ومقياساً للغنى والجاه والسلطان!

هذا — في الواقع — تعبير ضمني عن مدى تنكّرنا لحقيقة عار المسيح، وهذا يكشف — بلا مراعاة — عن نفسية منهارة عاجزة عن مواجهة العالم بحقيقة المسيح كإله مصلوب!

ولكن ليس بد... فيسوع إلهنا صُلب، وصُلب على خشبة مجردة، ولم يُصلب بكرامة، بل صُلب بفضيحة عظيمة، وبمذلة وعار كثير، شهادة ضد تعظم العالم وكبرياء الإنسان وأجناد الدنيا!... حتى من هذا الباب الضيق عينه ندخل، وعلى هذا الطريق الكرب ذاته نسير... هو قصد في نفسه ذلك قصداً وتعَمَّده لنفسه تعمداً، فجعل الصليب مأزقاً للنفس المتكبرة العاتية، وجعل الخلاص لا يتم إطلاقاً إلا عن طريق الإيمان بإله مصلوب!، ليكون محكاً جارحاً لعزة الإنسانية وتحطيماً لتشاخ ابن آدم... ليس انتقاماً بل ضماناً — وأي ضمان — للنصرة على الذات التي تستمد شهرتها من العالم وتتغذى على الكبرياء...

لقد كان المسيح يعلم أية مية شنيعة سيموت، وأشار إليها علانية «تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح وابن الإنسان يُسلّم ليُصلب» (٨).

لذلك كان يعلم تماماً أن طريقة خلاصنا — موته على صليب — ستكون نقطة حرجة في الإيمان، حجرة صدمة، صخرة شك للبشرية المتعجرفة الساقطة بكبريائها، وستكون سبب خزي وارتداد لكثيرين ممن يشفقون على كرامتهم ولن يطلبون مجد الدنيا ولن يخشون بأسها... ولكن «الذي يؤمن به لا يخزي» (٩). هؤلاء جميعاً قال الرب: «ماذا يدتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه أو خسرها لأن من

(٩) رو ٩: ٣٣.

(٨) مت ٢٦: ٢.

استحي في وبكلامي فهذا يستحي ابن الإنسان متى جاء» (١٠).

إن كنا طالبين كرامات ، ما لنا وعار الصليب ؟
إن كنا طالبين مجد الناس ، ما لنا والإيمان بإله مصلوب ؟
ولكن إن كنا نظن أنه يمكننا التوسط في الأمور فنخرج بين الفترتين لنكسب مجد الدنيا وكرامة الوظيفة ومجد المسيح وكرامة القديسين فهذا غش ، الذي يحاول أن يدخل إلى حظيرة المسيح من مكان آخر غير عار الصليب هو سارق ولص !...
لا تعبدوا ربي !!
الله واحد هو...

إن وحدة اللاهوت هي من وجهة نظر عملية أن يكون الله وحده هو معبودنا الحقيقي ! ماذا ننتفع إن كنا نشبت وحدانية الله بالبرهان الجدلي والمنطق الفلسفي ، ثم نحقق أن نحقق وحدانية الله في حياتنا ؟

إن كنا نشتهي شيئاً غير الله أو نخاف شيئاً غير الله ، فآلهتنا كثيرة .
« هذه هي الغلبة التي تغلب العالم : إيماننا ...
« من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع (المصلوب) هو ابن الله » (١١) !

* * *

ولكن الغلبة على العالم لا تتم بمجرد رفضنا لتيار الإثم الذي يسري في كل ركن من أركان الدنيا... ولا تتم بحفظ أنفسنا من دنس العالم...
وإنما تكمل حقاً حينما نتقبل كل الآلام التي يصدمنا بها العالم نتيجة لسلوكنا هذا .
حينئذ نستحق أن يرسم على جبهتنا ك .

(١١) ١ يوه : ٤ : ٥٤ .

(١٠) لوقا : ٢٥ : ٩٦ .

ثانياً: غلبة الخطية

كان التجسد الإلهي هو المرحلة الأخيرة والحرحة لتاريخ الخطية في العالم... وكانت آلام الصليب، حسابها الأخير... ولما نكس الرأس وأسلم الروح «أبطل الخطية بذبيحة نفسه» (١٢) ... «قد اكمل» (١٣).

* * *

ولكن لكي نفهم كيف غلب المسيح الخطية، أو بالحري لكي نغلب الخطية مع المسيح، يلزمنا أن نعب عبوراً سريعاً على مراحل الخطية التي مرت فيها بالنسبة للعالم وهي عينها التي يمر فيها كل إنسان...

المرحلة الأولى:

هي مرحلة آدم، وفيها دخلت الخطية إلى عالم الإنسان... أما ما هي الخطية، فنحن نعد القارئ أننا نعود إلى ذلك بالبحث في رسالة أخرى إن شاء الله... ولكن بصدد الصليب نستطيع أن نقول: إن الخطية دخلت عالم الإنسان خلصة، فلم يكتشفها آدم وإنما اكتشف آثارها، فعلم أنه قد أخطأ لما أبصر نفسه عرياناً...

المرحلة الثانية:

وهي مرحلة ما قبل الناموس أي من آدم إلى موسى... في هذه المرحلة ظلت الخطية تعمل في العالم من داخل طبيعة الإنسان، كما يفعل الميكروب العنيد في جسد الإنسان فيعاني آثاره دون أن يكتشفه، إذ أن الخطية لم تكن قد عُرفت، لذلك يقول بولس الرسول إنها لم تكن محسوبة «على أن الخطية لا تحسب إن لم يكن ناموس» (١٤). فالإنسان لم يكن قد تلقى بعد معرفة أعلى من معرفته الطبيعية،

(١٣) يروى: ٣٠.

(١٢) عب ٩: ٢٦.

(١٤) روم ٥: ١٣.

حتى يكتشف بها عنصر الخطية المحتفي في صميم طبيعته .

المرحلة الثالثة :

وهي مرحلة الناموس (الوصاية الإلهية) ، وهذه امتدت من موسى حتى مجيء المسيح . وفي هذه المرحلة ابتدأ عمل التدبير الإلهي ضد الخطية بصورة جدية . أما عمل الناموس بالنسبة للخطية فيلخصه بولس الرسول في قول مختصر : « بالناموس معرفة الخطيئة » (١٥) .

كانت الخطية قبل الناموس طاقة مخربة كامنة في الطبيعة البشرية ، فاعليتها شديدة وناشطة ولكن غير محصورة ، غير مفروزة ، فكانت الخطية تعمل في الإنسان دون أن يدرك الإنسان (عموماً) أنه يفعل الخطية « بدون الناموس الخطية ميتة » (١٦) .

وعمل الناموس هو أن يدفع هذه الطاقة المخربة الكامنة ويجبرها على الظهور على هيئة فعل محدود — تنهى عنه الوصية وتحذر من فعله — والوصية كما يقول بولس الرسول : « مقدسة وعادلة وصالحة » (١٧) ؛ فلما تعدى الإنسان على الوصية انكشفت في الحال الطاقة الخبيثة المسيطرة على طبيعة الإنسان كطاقة ضد القداسة وضد العدل وضد الصلاح !! ...

إذن — بمنتهى الاختصار — نقول إن الناموس كَشَفَ الخطية ... وأفرزها كعنصر مقاوم لله ، أو في واقعها الوجداني عداوة لله !!

ثم امتد اختصاص الناموس في كشف أصول الخطية وفروعها وذلك بتعدد الوصايا وتنوعها وتفرعها وتدقيقها ، حتى حصر كل اتجاهاتها وكل فاعليتها وكل نشاطها الذي كان مختفياً ومنبثاً في طبيعة الإنسان ، فأخرجها إلى حيز المعرفة وسجلها عملياً بالتعدي على الوصايا ...

وبقدر ما كشف الناموس الخطية بقدر ما اتضح أمام الإنسان خطورة عملها في الإنسان ، « لكي تصير الخطية خاطئة جداً » (١٨) ... إذ اتضح تشابكها وتفرعها وتولدها

(١٦) روم ٧ : ٨ .

(١٥) روم ٣ : ٢٠ .

(١٨) روم ٧ : ١٣ .

(١٧) روم ٧ : ١٢ .

بعضها من بعض بشكل مرعب ومذهل للعقل . وظهرت حقيقتها كحلقة مُحكمة أحاطت برقبة الإنسان تجذبه بلا هوادة إلى حتفه... بهذا الشعور عينه نظربولس الرسول إلى هذه الحقيقة : « ويحي أنا الإنسان الشقي من يتقذني من جسد هذا الموت » (١٩).

ثم نطلق بآية هي أعظم ما يمكن أن يبلغه شعور الإنسان حيناً يعرف وصايا الله ويفهم الحق وهو لم يأخذ بعد نعمة الله وهبة الخلاص : « عاشت الخطية فمُتُّ أنا » (٢٠).

المرحلة الرابعة :

وهي المرحلة الحرجة والأخيرة في تاريخ الخطية بالنسبة للإنسان !

في رسالة رومية نقرأ هكذا : « لأن غاية الناموس هي المسيح للبر لكل من يؤمن » (٢١). إذن فالناموس كان في الواقع يهد للمسيح ، فكان عليه أن يُخضع من كبرياء الإنسان إذ يعرفه بالخطية الساكنة فيه وكيف صار عبداً لها وعدواً لله : « كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح » (٢٢).

ولكن ظهر عجز الناموس وضعفه في حادثة دمشق مع شاول الطرسوسي رجل الناموس والفريسي الأول ، حيناً أدرك فجأة أنه بالناموس وبالغيرة على الناموس اضطهد المسيح وقاوم الحق وقتل القديسين...

وهكذا لما تقبّل شاول المعرفة الجديدة ، المتركة في شخص يسوع ، اكتشف بهذه المعرفة شناعة الخطية التي لم يكن الناموس كافياً لكشف طبيعتها ، كيف كانت كامنة فيه متركة جذرياً في طبيعته حتى استطاعت أن تغطي على عقله ووجدانه فجعلته يستخدم الناموس والغيرة على الناموس استخداماً عكسياً !! الأمر الذي لما اكتشفه فقد نفثه نهائياً في بر الناموس...

* * *

(٢٠) روم ٦: ٩.

(١٩) روم ٧: ٢٤.

(٢٢) روم ٣: ٢٤.

(٢١) روم ١٠: ٤.

— أيها القارئ، إحدِرْ أن تقع فيا وقع فيه شاول فتطغى عليك الخطية بخداعها دون أن تحسها، فتظهر لك بصورة غيرة على الناموس وعلى الحق أو الإيمان أو الواجب أو النظام أو الكنيسة أو الكرامة وتدفعك أن تضطهد إنساناً.

أذكرُ شاول، كيف بإخلاص نية وبغيرة «مقدسة» وكدفاع عن «الحق» وكطاعة لرؤساء الكهنة، اضطهد المسيح وأذل القديسين وسفك دم الأبرياء!

واذكر الحسرة والندم وعذاب الضمير الذي ما تركه قط حتى آخر لحظة في حياته: «اضطهدتُ كنيسة الله» (٢٣)؟!؟

لقد كان صادقاً جداً حينما قال هذا الرسول: «لأن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلتني» (٢٤).

* * *

وعند باب دمشق ألقى شاول المدعوبولس — وألقى معه كل إنسان — الناموس كسلاح للحق، وألقاه إلى الأبد...

ذلك لما تيقن أن الخطية أمكنها أن تستخدم حتى الناموس ضد الله. إذن فقد مهد الناموس فقط لعمل المسيح تجاه الخطية إذ بعدما حصر أعمالها حصراً كاملاً، وأظهر سلطانها على الإنسان عاد في حادثة شاول عند باب دمشق وأثبت أنه — أي الناموس — قد أنهى مهمته ضد الخطية...

وفي ذلك نرى الناموس وكأنما قد قبض على الخطية متلبسة بآخر جريمة لها (استخدام الحق ضد الحق) مع كل جرائمها العملية السابقة في طبيعة الإنسان، وقدمها للمسيح للحكم والدينونة...



عمل المسيح تجاه الخطية

أما عمل المسيح تجاه الخطية فكان على درجتين :

الأولى : دينونة الخطية .

والثانية : إبطاها !

والصليب في الواقع يختص بإبطاها ، ولكن يتحتم علينا أن نعرض كيف داناها حتى نفهم بل نشترك في إبطاها !

أولاً : دينونة الخطية بحياته :

نقرأ في رسالة رومية : «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد ، قاله إذ أرسل إبنه في شبه جسد الخطية ، ولأجل الخطية ، دان الخطية في الجسد» (٢٥) .

لقد استطاع الناموس أن يعرض أعمال الخطية وسلطانها في الإنسان وسلوكه الذي سماه بولس الرسول : «**ناموس الخطية**» (٢٦) . لذلك كان العمل الأول للسيد المسيح أن يدين ناموس الخطية ، أي يحكم بغشه وكذبه ويثبت أن ناموس الخطية العامل في أعضاء الإنسان ليس هو من الله ولا هو من طبيعة الإنسان أصلاً .

وكيف يكون ذلك ؟

كيف يحكم المسيح بغش عمل الخطية و يدين أفعالها التي يفعلها الإنسان ولا يستطيع أن يفعل أفضل منها حتى تهباً للإنسان كأن الخطية من طبيعة الإنسان ؟

كان على المسيح لكي يدين الخطية أن يعمل ، يعمل أعمال أبيه ، يعمل أعمال الإنسان الذي يحيا بلا خطية ولا يوجد في فيه غش ... وهذه الأعمال عينها تكون من تلقاء ذاتها ضد الخطية وتصير هي نفسها ناموساً تُدان به الخطية و يُحكم به عليها ...

(٢٦) روم ٧: ٢٣ .

(٢٥) روم ٨: ٣ .

فإذا أردت أن تعرف كيف دان المسيح الخطية أنظر إلى أعماله . كيف دان الكبيرياء باتضاعه ، كيف دان البغضة بحبه ، كيف دان النجاسة بطهره ، كيف دان الغضب بحلمه ، كيف دان الكذب والرياء والنفاق بصدقه وصراحته وشجاعته ، كيف دان شهوة المال والتلذذ بفقره وعوزه... ثم انظر كيف دان القسوة والظلم والخيانة والتلفيق باحتماله وصفحه وغفرانه!!...

ثم ماذا؟ إنه تعوزني صفحات كثيرة لأعرض ناموس المسيح بأصوله وفروعه الذي هو القانون الأساسي الذي دان الخطية بمقتضاه...

ثلاث سنوات ونيف استغرقها السيد المسيح في قضية خطية الإنسان فُتد ناموسها بنبدأ بنبدأ بناموس مضاد بنبدأ بنبدأ ، حتى أثبت عوارها وكشف للعالم كله أنه كالسيح هكذا يجب أن يكون كل إنسان ، وهكذا يجب أن يعيش ويحيا ، لأنه لهذا خلُق الإنسان ، وهكذا خلُق الإنسان!...

إذن فرسالة المسيح الأولى ضد الخطية كانت ليقول الحق ويعمله حتى يحرر الإنسان من الجهل الفكري والخطأ السلوكي... وفي هذا كمال دينونة الخطية...

— «لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم» (٢٧).

— «لولا أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية ، وأما الآن فليس لهم عذري في خطيتهم» (٢٨).

— «لولا أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية ، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي» (٢٩).

ثانياً: إبطال الخطية بموته :

«قد أظهر... ليُبطل الخطية بذبيحة نفسه» (٣٠).

(٢٧) يوحنا ٣٩: ٩٠ . (٢٨) يوحنا ٢٢: ١٥٥ .

(٢٩) يوحنا ٢٤: ١٥٥ . (٣٠) عب ٢٦: ٩٠ .

الذي استطاع أن تكون حياته دينونة للخطية، جعل موته إبطالاً لها بلا نزاع...

ولكي نفهم ونشترك في كيف أبطل المسيح الخطية يلزم أن ندخل في دائرة موته .
أي ندرك عمل الصليب وعمل الدم .

خطأ إذا نحن نظرنا إلى الصليب من على بعد، أو فكّرنا في المسيح مصلوباً من خلال التاريخ... حيث لا نرى إلا حادثة، نتصور فيها نوعاً من التضحية وشيئاً من الفدية، وكأنها لا تمت إلينا بصلة .

ولكن نتوسل إلى الروح القدس ليأخذ من المسيح و يعطينا لندرك حقيقة المسيح مصلوباً فينا، فننتعلم مع أهل غلاطية أن لا يفارقنا هذا النظر الباطني قط: «أيها الغلاطيون... أنتم الذين أمام عيونكم قد رُسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً» (٣١).

وهنا فليلاحظ القارئ كلمة «مصلوباً»، لأنها تفيد معنى الديمومة في الحاضر .
وهكذا بواسطة الشركة السرية في المسيح المصلوب بعمل الروح القدس، ندخل إلى دائرة موت الرب فنندرك أسرار «أبطل الخطية بذبيحة نفسه»، لنحيا أيضاً في قوتها... نعم يلزمنا تجربة توما على مستوى صوفي فنحيا و يدنا على المسيح هكذا:

«هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدي، وهات يدك وضعها في جني ولا تكن غير مؤمن بن مؤمناً» (٣٢).

عمل الدم:

خطأ إن كنا نظنه دعماً «سُفك» وانتهى واحتفظ لنا التاريخ منه بالفعل الماضي .
فنحن إزاء جوهر الإيمان والعقيدة الأرثوذكسية معاً...
فالدم حي لأنه إلهي، هو مسفوك ليظل هكذا... عهداً جديداً دائماً أبدياً، بيننا

(٣٢) يو: ٢٠: ٢٧ .

(٣١) غل: ٣: ١ .

وبين الرب المصلوب الذي رآه يوحنا في سفر الرؤيا خروفاً قائماً كأنه مذبوح...

والكنيسة تقدمه كل يوم جديداً كما كان وكذلك يكون من جيل إلى جيل وإلى
أبد الأبدين!

«كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح» (٣٣).

فالدّم في الإيمان المسيحي يعبر عن شخص المسيح في حالته بعد القيامة...
«متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح... بالإيمان بدمه» (٣٤).

«ونحن متبررون الآن بدمه، نخلص به من الغضب» (٣٥).

كذلك عمل المسيح عموماً يمكن أن يعبر عنه عمل الدّم وحده:

«ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم
المسيح» (٣٦).

هكذا نتحقق أن الدّم هو في الواقع تعبير عن شخص المسيح المصلوب والقائم من
الأموات، وهذا خلاصة الإيمان ومحور العقيدة.

إذن فلينتبه القارئ حينما يسمع كلمة «الدّم» فهي تفيد واقعياً الحاضرة
الإلهية!...

لذلك حينما يصرخ الكاهن: «الجدس المقدس والدّم الكريم» يسجد الإكليروس
وكل الشعب!!

ومن هنا تبرز حقيقة الصليب لتتخذ صفة الوجود المستمر...

كذلك نرى أن نربط أمام القارئ بين القيامة والصلب، بقوة القيامة ومجدها
تنعكس على الصليب والدّم فتغطيها بالمهابة والجلال، كالسحابة النيرة التي غطت
المسيح على الجبل المقدس فجعلت وجهه لامعاً كالشمس وثيابه بيضاء كالنور...

(٣٤) رؤ ٢٤: ٢٥.

(٣٦) أف ٢: ١٣.

(٣٣) ١ كو ١٠: ١٦.

(٣٥) رؤ ١: ٩.

هكذا بالقيامة نرى الصليب والدم في حالة تجلي! ...

إن الصليب لم يعد خشبة أو علامة أو آلة موت بل حقيقة حياة إلهية نيرة.

يوجد في «كتالوج» المتحف القبطي صورة قبطية أثرية فيها يظهر الصليب وقد اخضرت خشبته وأخرجت أوراقاً وعناقيد غنب... هذا في الواقع إحساس روحي تصوفي غاية في العمق، فالصليب أصبح حقيقة حياة تعيش فيها أو بالحري نعيش فيها، لقد مد الصليب جذوره في تربة الإنسان الحزينة فامتصت آلامه وحولتها في المسيح إلى عصارة حياة، فأورقت وأخرجت عناقيد الفرح والبهجة والخلاص، عصيرها نشر به دمًا حياً، دم الصليب: «بدم صليبه» (٣٧). فصرنا أغصاناً في كرمه مصلوبة، دمها يتحول فينا إلى قيامة وحياة...

إذن فإن كنا سنتقدم إلى الجلجثة عقلياً لنفهم معاً كيف أبطل المسيح الخطية بذبيحة نفسه، يلزمنا أن ندخل روحياً في هذه السحابة النيرة لننظر الصليب والذبيحة والدم في حالة تجلي — في نور القيامة — أي أولاً في مفهومها الإلهي الفائق القدرة، وثانياً في حضرتها الكلية المألثة للزمان والمكان والكيان.

وبذلك يلزم أن يحس القارئ أننا تجاه ذبيحة فائقة ليست زمنية بعد ولا مكانية، وكيانها ممتد ومتغلغل في الطبائع النفسية والعقلية أيضاً، أي أن فعلها غير محدود؛ بينما الخطية نراها زمنية مكانية محدودة في طبيعتها! وهكذا تحمل الذبيحة الإلهية في مفهومها العام والمستقبلي إلغاءً كلياً بل ومطلقاً للخطية! ...

ولا حاجة بنا إلى آية تثبت هذا المعنى أو اقتباس إنجيلي، فسفر الرؤيا كله يصور هذا المعنى ويثبته... فالخطية والخطاة والعالم الشرير ورئيسه سيبيدهم الرب.

وفي اللحظة التي نستوعب فيها هذه الحقيقة سنرى بأعين قلوبنا كيف تذوب فينا الخطية حينما تنطينا سحابة مجد الدم... فخطايانا محدودة مهما كثرت ودم المسيح يتلعم كل حدودها ويلاشيها! ...

(٣٧) كوا: ٢٠٠.

— «فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدّم نفسه لله بلا عيب يظهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي» (٣٨).

وليلاحظ القارئ كيف يشدد الرسول على أزية الدم وحيويته في الوقت الذي يضع الخطية بصورة «أعمال» في حالة نكرة وفي حالة ميتة!...

والآن إذ وضعنا الأساس الذي ينبنى عليه كل رجائنا نعود إلى التفاصيل لنثبت:

كيف يلغي الدم الخطية ويلاشيها في جميع صورها ومواقفها

في الترجمة الفرنسية لإنجيل يوحنا لا نجد في البدء كان «الكلمة» بل يقرأونها في البدء كان «الفعل»... لأنهم لما جاءوا في الترجمة لكلمة «اللوغس» اليونانية فسروها بالكلمة وهي في حالة فعل، أي كلمة حية فاعلة وهذا تصوير لفاعلية المسيح الدائمة والمستمرة.

فالمسيح لم يتوقف عمله قط كفعل إلهي بالنسبة للإنسان منذ الدهور، ولكن بعد أن تجسد صار هذا الفعل مُدرَكاً لنا بصورة ملموسة، وإنما منعطف دائماً ناحية الخطاة «لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (٥).

أما على الصليب فقد بلغ هذا الفعل إلى الذروة، وإنما تركز بصورة واضحة في الخطية ذاتها حتى أنه أصبح شخصياً (ذبيحة خطية)... لأن الموت من أجل الخطاة ذبيحة...

وهكذا إن كان المسيح قبل الصليب قد غفر الخطايا ورفعها: «ثم قال لها مغفورة لك خطاياك» (٣٩)، فإذا يكون عمل الدم — الذي قلنا سابقاً أنه يعبر عن شخصه مصلوباً من أجل الخطاة وقائماً من الأموات؟ ألا يكون الدم هو فعل الغفران ذاته؟!!

(٣٨) عب ٩: ١٤.

(٣٩) مت ٢٦: ٢٨.

(٥) مت ٩: ١٣.

«هذا هو دمى الذي للعهد الجديد الذي يُسبِّفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (٤١).

إذن فالدم هو لنا الآن وإلى الأبد بمثابة شخص المسيح المصلوب والميت والحى، قوة فعلية حية مستمرة للغفران... وما الغفران إلا إبطال فعلي للخطية وإنما على أساس الدم!!

فالخطيىء إذ يؤمن بالدم — بالمفهوم اللاهوتى — ويشربه من يد الكاهن — بالمفهوم السرى الكنسى، يصير في حالة حضرة إلهية ونطق إلهي «مغفورة لك خطاياك» (٤١)!

وهكذا حينما نتقرب إلى الذبيحة الإلهية تصير الخطية في حالة فناء أو كما تقول إحدى صلوات القديس «تضمحل الخطية من أعضائي»... إذ تقع تحت فعل الدم!
«الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصِّفح عن الخطايا السالفة» (٤٢).

والآن يستطيع القارىء أن يدرك ويحس معاً قوة فعل الدم... ولكن يلزمنا جداً لكي نستوعب هذه القوة ونحيط بهذا الفعل أو بالحري يحيط بنا، أن نعرف ماذا فعلته الخطية فينا... لأنه بقدر ما نعرف أننا خطاة بقدر ما نستحق للحضرة الإلهية، وبقدر ما نعرف خطيتنا بقدر ما يفعل فينا الدم!!

ماذا فعلت الخطية فينا؟

سنجوز مع القارىء في تطواف سريع مختصر غاية الاختصار فيما صنعتها فينا الخطية.

فالخطية أوقفنا أمام الله:

(٤١) مت ٩: ٢.

(٤٠) لو ٧: ٤٨.

(٤٢) رو ٣: ٢٥.

أولاً — كمتهمين تحت الحكم:

وذلك بسبب أعمال التعدي على وصايا الله سواء كان في حالة آدم، أو حالة الناموس أو حتى في حالتنا الراهنة... هذا الإتهام دائم ومستمر، وله يوم حساب للدينونة للمجازاة: «لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح» (٤٣)، «في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس» (٤٤).

إذن فبالخطية صرنا محفوظين للدينونة، ليس الخطاة فقط بل وكل من تعدى على وصايا الله حتى الملائكة: «الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام» (٤٥).

ثانياً: كأعداء:

وذلك لأن أصل الخطية هو «فعل» شيطاني عدائي لله، ليس أن الله أصبح عدواً لنا بسبب خطيتنا، بل نحن صرنا بالخطية أعداء لله، إذ يتكلم الله بدعوة «أبغضوني بلا سبب» (٤٦) ! وفي القديم يتكلم بتأسف على فم النبي: «لماذا تخاصمونني، كلكم عصيتُموني يقول الرب» (٤٧). ثم يرد بلسان الشعب: «قال شعبي قد شردنا لا نجيب إليك بعد» (٤٨).

فالعداوة لله هي فُرقة في الفكر أنشأت فُرقة في السلوك، ثم سقوطاً من المحبة. والسقوط من المحبة هو فعل عدائي، وهذه هي ديناميكية الخطية، فالذي يخفق أن يكون «مخلوق المحبة»، يصبح بالضرورة «خالق عداوة».

ثالثاً — كمدينين:

نحن علينا بالطبيعة واجبات لله كخالق لنا ومحِب، ولكن الخطية تُفسد قلب

(٤٤) روم ٢: ١٦.

(٤٣) ٢ كور ٥: ١٠.

(٤٥) يهوذا ٦.

(٤٦) يوحنا ١٥: ٢٥.

(٤٧ و ٤٨) إر ٢٩: ٣٠.

الإنسان وتغرس فيه روح الإستهتار وعدم المبالاة بواجبات الله وخشيته، وتدفعه إلى إهمال فروض المحبة والعبادة، سواء ما هو طبيعي بدافع الضمير أو ما هو إلزامي بواقع الوصية. هذه كلها ذنوب محسوبة ومكتوبة كضك دين علينا «الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا» (٤٩).

رابعاً - كعبيد أو كمسيبين :

نحن نُخلقنا أحراراً في الله، وللحق كأحباء وبنين، لأننا خُلِقنا لنكون على صورة الله... ولكن الخطيئة أذلّتنا واستعبدتنا فصرنا عبيداً ليس للخطيئة فقط، بل وللجسد والعالم والناس والشيطان وخوف الموت !!

للخطيئة: «كنتم عبيداً للخطيئة، قدّمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم، مستعبدين لشهوات ولذّات مختلفة» (٥٠).

للجسد: «ولكنني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطيئة الكائن في أعضائي» (٥١).

للعالم: «هكذا نحن أيضاً لما كنا قاصرين كنا مستعبدين تحت أركان العالم» (٥٢).

للناس: «قد اشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيداً للناس» (٥٣).

للسيطان: «كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله» (٥٤).

لخوف الموت: «أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية» (٥٥).

(٥٠) روم ١٧: ١٩ و١٤: ٣.

(٥٢) غل ٤: ٣.

(٥٥) عب ٢: ١٥.

(٥٤) أع ٢٦: ١٨.

(٤٩) كو ٢: ١٤.

(٥١) روم ٧: ٢٣.

(٥٣) ١ كو ٧: ٢٣.

وهكذا صارت الخطية كحاجز يفصلنا عن الله ، هذا الانفصال هو الذي أنشأ فينا هذه المواقف الأربعة !!

والآن فليتصور القارئ بل ليته يشعر ويحس أن هذا الحاجز، حاجز الخطية ، قد رُفع نهائياً بيننا وبين الله ! فهل يبقى انفصال ؟
ألا نصير في الحال في حضرة الله ؟...

ولكن فلينتبه القارئ ، فالحاجز ليس حاجزاً وهمياً ، ولا هو حاجز مادي يمكن أن ترفعه الأيادي ، ولا هو حاجز من ناحية واحدة ؛ فالخطية حجزتنا عن الله فحجزت الله عنا ، فهي لكي تُرفع تحتاج إلى عمل من الجهتين ، لهذا استلزمت التجسد ، « الله ظهر في الجسد » (٥٦) ، أي من ناحية الله ومن ناحيتنا .

كما أن الحالات الأربع أي الإتهام ، والعداوة ، والدُّنْى ، والعبودية التي أنشأتها فينا الخطية ليست حالات وهمية ، بل هي حقيقة الإنسان أمام الله بشهادة الضمير (والمرجوان تسأل نفسك في ذلك) ، لذلك احتاجت من ابن الله المتجسد عملاً إيجابياً لرفع هذه الحالات الأربع .

وماذا فعل الدم لنا ؟

وهذا هو عمل الدم تجاه حالات الخطية الأربع :

أولاً — من جهة الإتهام :

نجد أن المسيح تبئى قضية الإنسان مع الخطية ، فأكمل أولاً التاموس والوصايا ، وأظهر الخضوع الكلي لمشية الآب ثم أخيراً أكمل عقوبة الخطية عن المحكوم عليهم بسبب التعدي ، وأكمل العقوبة في جسده إذ تقبل حكم الموت ، فأعطانا حكم براءة من الدينونة أو المحاكمة ، وهذه البراءة تسمى في التعبير اللاهوتي « التبرير » لأنها ليست على أساس نُطق وإنما على أساس سفك دم « بار » .

(٥٦) ١٦: ٣

أما وسيلة حصولنا على وثيقة البراءة أي التبرير فلا يمكن أن تتم إلا عن طريق حصولنا على الدم نفسه، وذلك بالإيمان، لأن الإيمان بالدم هو اتحاد سري فيه، يتحقق عملياً في الأسرار! «قد تبررنا بالإيمان» (٥٧). وكما سبق وقلنا أن الإيمان بالدم هو إيمان بالمسيح شخصياً مصلوباً كذبيحة خطية، وميتاً كمكمل لعقوبتها، وقائماً من الأموات كمحيي... «نحن متبررون الآن بدمه» (٥٨).

ولكن ليحذر القارئ من خطأ شائع في مفهوم التبرير بالإيمان، أن يفهم أنه براءة نهائية... إذ لا يزال أمامنا أن نتوقع براءة كلية في يوم الدينونة العظيم «فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بر» (٥٩).

صحيح أننا نحمل الدم كوثيقة براءة أو كبر الله نفسه «نحن بر الله فيه» (٦٠)، ولكن نحن مسئولون عن حفظ الوديعة وكرامة الدم، لذلك يحذرنا بولس الرسول «في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة» (٦١).

ثانياً— من جهة العداوة:

عرفنا العداوة لله أنها فرقة عن الله وغربة — بسبب الخطية — كما عرفنا المسيح في قصة الإبن الضال، أو كما عرفها الوحي في العهد القديم بالطلاق بالنسبة لله معتبراً الخطية علة أساسية للطلاق (أي أن الخطية تفصل).

المسيح رفع الخطية، ورفع العلة، علة الطلاق والفرقة، أو علة الغربة والعداوة «الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم» (٦٢).

وهذا عمل الدم، إذ به «صنع تطهيراً لخطايانا» (٦٣) بأن غسلنا من نجاساتها

(٥٨) رو ٥: ٩.

(٦٠) ٢ كو ٥: ٢١.

(٦٢) ٢ كو ٥: ١٩.

(٥٧) رو ١: ١.

(٥٩) غل ٥: ٥.

(٦١) غل ٥: ٦.

(٦٣) عب ١: ٣.

«بغسل الميلاد الثاني» (٦٤)، وذلك بموته وقيامته (الذي هو مفهوم الدم)، لأننا بالإيمان بالدم نتحد به فنموت. هذا هو التطهير من الخطية، وإذ نشربه نحيا بالإتحاد بقيامته.

إذن فنحن بالدم خليقة جديدة لائقة أن تدخل معه إلى الله في عهد بنوة أو عهد زيجة كمروس أو ككنيسة! «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة... من الله الذي صالحنا لنفسه يسوع المسيح» (٦٥).

ولكن ليحترس القارئ من خطأ شائع أيضاً في مفهوم المصالحة، أن يفهم أن الله هو الذي تصالح، إذ نحن الذين تصالحنا، لأن الله لم يكن عدواً لنا بل نحن كنا أعداء.

لذلك يوضح الرسول بولس المصالحة: «صالحنا لنفسه» «مصالحاً العالم لنفسه» (٦٦).

أما قوة المصالحة فهي كائنة في الدم وبالدم: «عاملاً الصلح بدم صليبه» (٦٧).

ثالثاً— من جهة الديون:

كل ذنوبنا المحسوبة علينا التي كانت كصك دين ضدنا سواء ما كان بشهادة الضمير أو بمقتضى الوصية، هذه كلها رفعها المسيح بمجرد أن رفع الخطية من الوسط أي من بيننا وبين الله.

— «إذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسدكم، أحياكم معه مساحاً لكم بجميع الخطايا، إذ عا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدنا، وقد رفعه من الوسط مستمراً إياه بالصلب» (٦٨): (من الوسط أي من بيننا وبين الله).

(٦٤) ٣: ٥.

(٦٦) ٢ كور: ١٩.

(٦٥) ٢ كور: ٥: ١٨، ١٧.

(٦٨) ٢ كور: ١٤، ٣.

(٦٧) ٢ كور: ٢٠.

أي أن الدم المسفوك على الصليب كان فيه كل الكفاية لتزيق الصك أو تسميره (كما تسمّر العملة الفاسدة وتدق بمسار حتى تلعى قيمتها فلا تستعمل بعد)، الذي هو وثيقة الديون التي علينا تجاه محبة الله!

هذه المسامحة الكلية، المعبر عنها بالصفح أيضاً، تدعى في التعبير اللاهوتي «الغفران» — فالغفران مسامحة على أساس دم المسيح كعمل للنعمة المجانية: «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته» (٦٩).

أي أنه حالما رُفعت الخطية من الوسط برفع جسد المسيح على الصليب، صرنا بلا حاجز يفصلنا عن نعمة الله المجانية فتقبلنا فاعليتها في الحال. وفاعلية النعمة مصالحة وصفح وغفران مجاني على أساس الدم.

فإن الله في الواقع لم يكن دائئاً لنا بل نحن كنا بالخطية مدينين له، وبر الله كان عمله متعطلاً فينا بسبب الخطية وكان يتمهل علينا إلى أن رُفعت الخطية، فصرنا تحت عمل البر مباشرة، ودم المسيح هو بر الله!

— «الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار برّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله» (٧٠).

رابعاً — من جهة العبودية:

قد كان قديماً إذا سقط إنسان في أيدي تجار الرقيق وباعوه عبداً يلزم لتحريره أن يدفع (فدية). فكان أحياناً يدفعها الهيكل عن اليهود أو الكنيسة عن المسيحيين القدماء، وبذلك يُعتبر العبد حراً من الناس وإن ظل عبداً لله، وكانت الفدية تسمى (ثمن الرقبة).

أما في العهد القديم فنقرأ أن الله فدى شعبه: «من محبة الرب إياكم... فداكم من

بيت العبودية» (٧١). ثم نسمع دائماً أن الرب فدى، الرب يفدي، الرب فادي، سواء من ضيقة أو من ظلم أو من عبودية أو من موت أو من هاوية! إذن فتدبير فداء الإنسان كان خطة أزلية داخلية في نطاق التدبير والعمل منذ القديم، وإنما كانت من اختصاص الرب وكان الله نفسه معتبراً بصورة غامضة وسرية أنه هو الذي يدفع الفدية.

والآن على ضوء ما أكمله المسيح على الصليب بتقديم نفسه ذبيحة عن الخطاة ندرك تماماً كيف استُعلنت خطة الفداء، وكيف أكمل الله بدم ابنه تحرير الإنسان من كل ما استعبد أو يستعبد له!!

هذا الدم الإلهي هو الفدية، ثمن «الفكاك»، «ثمن الرقبة»، صرنا به أحراراً من الخطية والجسد والعالم والناس والشیطان والخوف من الموت! نعم صرنا أحراراً من كل شيء ومن كل أحد إلا الله! فتحن كنا «مبيعين تحت الخطية» (٧٢) واشترانا الله بدمه فصرنا عبيداً لله! «وإنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتم بثمن، فجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (٧٣).

أما هذا الثمن فيشرحه القديس بطرس الرسول بوضوح: «فسيروا زمان غربتكم بخوف عالمين أنكم افْتُديتم بأشياء تفتي، بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة... بل بدم كرم كما من حل بلا عيب ولا دنس دم المسيح» (٧٤).

فالمسيح اشتَرانا حقاً، لا من (عرق جبينه)، بل بدمه. ودفع الثمن وفك النير وحررنا من سبي جميع أعدائنا...

والآن نحن نتبعه من كل قلوبنا كمشاة في موكب نصرته، وهويتقدمنا كقائد خلاصنا، ولا أحد ولا شيء ولا زمان ولا مكان ولا كيان ولا قوة تقدر أن تفصلنا عنه — كما يقول بولس الرسول — لأننا مفديون! فعلينا ختم دم هوصك شراء خصوصي،

(٧٢) روم ١٤: ٧.

(٧٤) ١ بط ١: ١٨، ١٩.

(٧١) تث ٧: ٨.

(٧٣) ١ كور ٦: ١٩، ٢٠.

ختم تبعية وملكية مطلقة لله !

والآن نفهم سر قول المسيح : « خرافي تسمع صوتى وأنا أعرفها فتبني ... ولا يخطفها أحد من يدي » (٧٥).

خامساً - تقريننا إلى الله كأبناء :

ولكن النعمة في غناها لا تفك ولا تحرر فقط ، لأن محبة الله مفرطة لا تقف عند حد ، فهي لا تهدأ في الذين تختارهم وتحبهم إلى أن توحدهم بالله . فاتحادنا بالدم لا يعطينا فكاً وتحريراً فحسب بل يعطينا ذاته . يوحدنا بشخص المسيح فنصير فيه بنياناً لله بالنعمة . هو ابن لأبيه بالطبيعة ، لذلك فإن في دمه قوة البنوة وسرها ، وما نحن ننالها بالنعمة ...

وهكذا حررنا المسيح أولاً ثم تبنانا لأبيه !

— « لست بعد عبداً بل ابناً وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح » (٧٦) .

ولكن ليدرك القارئ أن البنوة ليست إدعاء كلام أو شكليات ، وإنما هي حقيقة حية كالدم نفسه كابن الله ! بشهادة الضمير في الروح القدس ! « ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب » (٧٧) .

ولكن فليحذر القارئ من خطأ شائع أيضاً في مفهوم الفداء ، أن يفهم أن عمل الفداء قد انتهى وأننا أكملنا الفداء بالإيمان ، إذ لا يزال أماننا عمل للإيمان نجاهد لنكمله ، فنحفظ الوديعة ونسهر على ختم الدم مدققين أن نكون بلا لوم أمام ضمائرنا حتى لا تنقطع منا شهادة الروح القدس ، إلى أن يأتي كمال يوم الفداء الذي نتوقه بالرجاء والصبر : « ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتِمتم ليوم الفداء » (٧٨) .

(٧٦) غل ٤ : ٧ .

(٧٥) يو ١٠ : ٢٧ ، ٢٨ .

(٧٨) أف ٤ : ٣٠ .

(٧٧) غل ٤ : ٦ .

وها بولس الرسول نفسه يعترف أنه بالرغم من كونه حائزاً على الروح القدس، إلا أنه لا يزال يتوقع كمال الفداء، وذلك لعدم اكتمال البتوة بعد بسبب الجسد! «بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبرير فداء أجسادنا» (٧٩).

إذن فليفهم القارئ ويتعزى أن عمل الفداء لن يكمل و يأخذ قوته وشكله النهائي كنصرة كاملة إلا بعد القيامة حينما تقوم الأجساد في غير فساد!

فنحن الآن نأخذ عربون الفداء ومقدم قوته: «إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس، الذي هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى» (٨٠).

وفي ختام عمل الدم في الفداء تغمرنا مشاعر الشكر والتسبيح لله فنهتف مع المفدين: «مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك دُبحت واشترىتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة» (٨١).

نعم قد أبطل الخطية بذبيحة نفسه، إذ أكمل بدمه «التبرير»، و«المصالحة» و«الغفران» و«الفداء» و«التبرير»!

* * *

ونحن الآن نتوسل إلى الله أن يستوعب القارئ قوة دم المسيح ببساطة الإيمان وفعل الروح القدوس بروح كنيستنا.



(٨٠) أف ١: ١٣، ١٤.

(٧٩) روم ٨: ٢٣.

(٨١) رؤ ٩: ٩.

صلاة

أيها الجسد المسحى المتخن بالجراح ، المكسور عني وعن كثيرين ...
لقد حان يوم تكفينك ...

ماذا أقدم اليوم إكراماً لجسدك الذي تمزق عني ؟ ...
أريد أن أكون كمرمى النشيطه ، التي سبقت بالرؤيا كنبية ، وطيبت
بالناردين الجسد حياً ...
ولا أريد أن أكون كالمجدلية التي ذهبت لتنطيه ميتاً فوجدت القبر
فارغاً ...

— ياسيد أقدم لك الآن شبابي قبل أن يذبل ...
— وأسكب حياتي كلها منذ الآن في حبك لأطيب قلبك ...
— اليوم أطلبك لأتوجك ملكاً على قلبي ...
— وأتقدم إلى مائدتك لأسجد لجسدك وأخذ شفاءً لموتي ودواءً
لأوجاعي ...

الفصل الخامس

القبر الفارغ

ذروة الإيمان المسيحي

إن كان الصليب هو علامة الغلبة التي غلب بها الرب الخطية والجسد والعالم، فأصبح رمز النصر في الجهاد ضد هذه الأعداء الثلاثة...
فالقبر الفارغ الذي تركه لنا الرب مفتوحاً هو علامة الغلبة على الموت، وشهادة ما بعدها شهادة للقيامة من الأموات العتيدة أن تكون!

وإن كان يوجد في العالم الآن صلبان كثيرة، اصطبغ عليها شهداء كثيرون بذات صبغة الرب! إلا أنه ليس في الأرض كلها إلى الآن إلا قبر واحد فارغ!... يحجُّ إليه المؤمنون الذين برّحت بهم مشاعر الحب والأمانة والوفاء، بشبه مريم المجدلية، ومعهم هدايا وعطور ومشاعر هي أثمن من الذهب الفاني، يسكبونها هناك على جدرانها، وفي أنحناء وخشوع وورع، يقبّلون الأرض والصخور ويدرّفون دموع الرجاء، رجاء اللقيا، بشبه الخاطئة...

أي تغيير أصاب الإنسان بقيامة الرب!
أي تجديد أصاب الطبيعة طراً!
أي انقلاب أصاب المعاني والمفاهيم والإصطلاحات!

— هوذا الإنسان يولد من جديد، فالقيامة وهبت الإنسان حياة من بعد موت!
— والقبر مستودع الظلام والموت، صار مصدر النور والحياة.
— والذهاب إلى القبور للنحيب والبكاء انقلب وأصبح حجاً وعزاءً وتقديساً!

وذهي الفم في عظته عن الفصح يتأمل في القبر الفارغ فيراه حقيقة تنطق بالغفران! [وقد أشرق من القبر حقيقة الغفران]. وهذا حق لأنه إن كان بالصليب قد تم الغفران فبالقبر الفارغ استعلن وصار برهاناً...

إن حقيقة الصليب تظل مخفية عن الأفهام، كما سبق وقلنا، إلى أن يشرق على القلب نور القيامة، ونخطايا الإنسان تظل ثقلًا ضاغطاً على الضمير إلى أن يُرفع الحجر عن الذهن فتبتد الآثام والذنوب والمعاصي، حيناً تواجه الأكفان موضوعة والرب قام كاسراً شوكة الموت المسمومة، وشوكة الموت هي الخطية بأصولها وفروعها...



من ذا يستطيع أن يغلب في معركة الدنيا ويواجه صليب حثان أو صليب هامان، إن لم تكن حقيقة القيامة قد اتحدت بفكره وضميره بل انفعلت في نفسه وجسده وأعدته لمواجهة الموت لحساب الخلود؟

وإن كان يتحتم على من يريد أن يقوم مع الرب أن يموت معه، فلن يستطيع أحد أن يموت معه إن لم يكن سر القيامة قد سرى في كيانه كما يسري النور في الظلمة.

الموت رعب هو، وكل الطرق المؤدية إليه مخيفة، إلى أن تشرق القيامة فتبتد سلطانه وتُخضعه للإنسان حتى يطأه بأقدام الإيمان كما وطئت أقدام الشعب قديماً نهر الأردن وهو في عز كبريائه!

فإن كان هذا الجليل فيه لمسة الجبن والرعدة، فلائنه لم ينمعن بعد بمعجىن الفصح فلم تسرفيه روح القيامة!

انظر إلى الرسل كيف تقبلوا أولاً أخبار الصلب والموت — بدون قيامة. فلائت الرعدة أوصالهم، وانتهاهم جنع وخوف أليم، فكادوا يندمون، أو هم ندموا، على زمن تقضى مع هذا المصلوب المائت، إذ شعروا أنه سيورثهم الحزى والعار والمهزأة أمام سلطات الدين والدنيا بل وبين الأهل والعشيرة! حتى كادوا يتبددون!

ثم انظر ما حدث لما انطلقت بشارة القيامة، كيف تجمعوا بل كيف تغيروا وتجددوا، بل كيف كرزوا وبشروا؟! فصار لهم العار والمهزأة فخراً، وصار العذاب والألم فرحاً، والصليب والموت إكليلاً!!

لقد تيقنوا أنه حتى ولو أحكم على الجسد في القبور بالأحجار والأختام، فسوف
تنفتح من تلقاء ذاتها يوماً فتقوم هذه الأجساد عينا بشبه الرب .

* * *

فالقيامة يا إخوة هي قوة الشهادة، هي رؤيا الخلود !
هي حالة تحلي، نرى فيها الألم عذباً، والصليب حياً، والقبر فارغاً !
هي إحساس سري إن بلغناه بلغنا الذروة، فهو نهاية الإيمان لأنه هو الاتحاد
بالله ...

* * *

صلاة

يا كاسر شوكة الموت، يا غالب الجحيم ...

بقيامتك :

نفضت أوجاع الجسد، وألغيت سطوة الألم ...

أقمت الإنضاع، أحبيت المحبة، مجدت الصليب ...

أدخلت الحياة الجديدة إلى عالمنا الميت ...

بددت بأس الإنسان وعوض العجز والذلة نفخت فيه صورة

سلطانك ...

كشفت سر الإنجيل، وأضأت الطريق وفتحت ذهننا لإدراك سر

الخلود ...

أسست رجاءنا بغير المنظور وبكل وعد الله وبكل ما هو آت ...

قويت إيماننا بنصرة الروح على الجسد وغلبة الحق على الباطل وحقيقة

الدهر الآتي .

رفعت المحبة لنتخطى الألم ونتجاوز الموت ونتشجع في بذلها إلى أقصى

حد .

أدخلت في قلبنا سر الفرح الحقيقي الذي لا يمكن لأحد أن ينزعه منا .

— أنا اليوم أنسم من قبرك رائحة حياتي...
— وأخذ من حنوطك مسحة لقيامة الجسد...
— الآن تحولت حقيقة القبر عندي من مقرإلى عبور...
— وعوض قسّمات الحزن ولطخات الدم، ينطبع بهاء نور وجهك في قلبي...
— الآن جروح يديك ورجليك تجعلني أسمو ببحروحي...
— وجنبك المفتوح، شهادة حياة، تبّدد عني كل أهوال الموت...
— قيامتك ياسيدي أكّدت لي وعد مجيئك، فلا تبطيء، وتعاك سرّياً...



القسم الثاني

كتاب

تأملات هادئة

من جمعة ختام الصوم إلى جمعة الصلבות

(سنة ١٩٥٣)

إنجيل جمعة ختام الصوم :

أردت ولم تريدوا

« كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما
تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها
ولم تريدوا!! » (لوقا : ١٣ : ٣٤).

يشير الرب بهذا القول إلى المرات الكثيرة التي حاول فيها الله أن يجمع شعب
إسرائيل إليه بحبه وحنانه بواسطة الأنبياء الذين أرسلهم مبكراً ومؤخراً . ولكن كانت
النتيجة دائماً ، كما في مثل الكرامين ، أنهم رفضوه وأهانوا كل من أرسلهم ...

كذلك فالرب يشير بهذا الكلام إلى تعاليمه وآياته ولطفه وإحسانه الكثير ، الذي
قصد به أن يجمع قلوبهم إليه بكل إشفاق ومودة ، فكانت النتيجة أن رفضوه وردلوه .

أجمع أولادك :

الرب هنا يخاطب أورشليم ، وأورشليم لم تكن في ذلك الوقت متفرقة بل كانت
مكتظة بأولادها من كل الأقاليم والأقطار ، والميكل يعج بالصلاة وبالمصلين . إذن
فالرب هنا لا يقصد تكتل بني إسرائيل ، لأنه لا اجتماعهم ولا تفرقهم أفادهم شيئاً
أبداً ، إذ أنهم في تفرقهم ودُلمهم تركوه وجدفوا عليه ، وفي تجمعهم وعزّهم خانوه وأغاظوه .

الرب هنا يتكلم عن سر مشيئته التي من أجلها جاء ليجمع المتفرقين إلى واحد ،
إلى صدره الحنون وتحت ستر جناحيه وفي ظل منكيه ، هذه التي طالما تغنى بها داود ،
وحسنت روحه إليها ، ولكن انظروا ماذا فعلوا فيه : عروا صدره الحنون وطعنوه وفردوا
ذراعيه الحانيتين وسمروها على الصليب ، والأرجل التي كانت تجول تصنع خيراً دقوها
بالمسمار على الخشبة! ...

وهكذا عوض أن يتجمع إلى صدره وتحت ستر جناحيه هؤلاء الأولاد الأشقياء بنو

إسرائيل، تركوه: «تركوني أنا الحبيب مثل ميت مرذول»^(١)، وذهبوا وراء شهواتهم، وهكذا تركت الفراخ حضن الدجاجة ولم تعبأ بتوسلها وندائها، فوقعت في مخلب الصقر المتربص، وانتهت إسرائيل إلى خراب ولعنة.

ولكن الدعوة مجددة لك هنا أيها القارئ العزيز، فالجناحان الحائيان مفردان على الصليب، والجذب الحبيب يسيل بدم الشفاء والفداء. المسيح لا يزال ينادي خرافه ويرسل صوته مبكراً كل يوم ليجمعهم تحت ظل جناحيه إلى أن يعبر الشر، هولا ينادي فقط بل ويجري وراء الحروف الضال ليبطل جهالته، ولكن ليس إلى المالا نهاية. ففي لحظة نلقي جزاء عنادنا حينما يتوقف الرب عن النداء وعن الجري وعن التوسل ليقول مرثيته للنفوس الجاهلة «كم مرة أردت ولم تريدوا». يقولها الرب ويكي على النفس التي «لم تعرف زمان افتقادها»^(٢)، إذ يكون العدو قد اقتنصها ووقعت في شباكه.

أردت ولم تريدوا:

تقول في نفسك إنه مجنون هذا الذي لا يريد ما يريد الله؟ ولكن رؤساء الكهنة وجمع السندرم وشيوخ الشعب وحكام إسرائيل لم يكونوا مجانين! بل كانوا متأكدين أنهم حكماء وعلى حق وكل الناموس في صفهم، ووصايا موسى كلها تسند حجتهم، وأنهم على صواب كل الصواب حينما يحكمون بأن يُرفض المسيح بل ويُصلب!...

ومن أين جاء هذا الإلتباس الخطير؟ جاء من حيث كانوا يعيشون حياتين: حياة خارجية ظاهرها التقوى والتدين والتدقيق في أصغر طقوس العبادة، وحياة داخلية منحلة كلها انتهاز فرص وأطماع وتكالب على الدنيا. وهكذا ضاعت منهم إرادة الحق ورفضوا، بل واستهزأوا بإرادة القدوس، لأن إرادتهم لم تكن في ناموس الله أبداً ولا هم كانوا في ناموسه يلهجون...

(١) مز ٣٧: ٢١، ٢٢ حسب النسخة القبطية.

(٢) لو ١٩: ٤٤.

وهذا الصوت يأتينا اليوم مجدداً، والمسيح في ختام صومنا يسأل هل تريدون ما أريد؟ أنا أريدكم من نصيبي وأن تكونوا دائماً حيث أكون، فهل تريدون؟ وأردتكم بقلب ودع مثل قلبي وأردتكم تطلبون ملكوتي ويري، فهل تريدون؟

أنا أردتكم لا تهتمون بهوم الدنيا بل أن تحملوا نيري وأنا أحمل كل همكم فهل تريدون؟

وأردتكم لا تسمعون وراء المتكآت الأولى حتى آخذكم معي لتتكنوا في ملكوتي، فهل تريدون؟

وأردتكم لا تطالبون بحقوقكم ولا تنتقمون لظلمكم وأنا أرد لكم مئة ضعف، فهل تريدون؟

وأردتكم أن تحبوا أعداءكم وتباركوا لاعنيكم وتحسنوا إلى مبغضيكم وتصلبوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم وأنا أجازي، فهل تريدون؟

أردتكم أن تحملوا الصليب ولا تجزعوا من الصلب كما حملت أنا صليبي وصلبت عليه، فهل تريدون؟

أنا جزت هذا كله من أجلكم وغلبت العالم لتتشجعوا وتسيروا وراثي، فهل تريدون؟

والآن لكي ننقل من إنجيل الجمعة إلى إنجيل السبت يلزمنا أن نصفي حسابنا أولاً مع الصوت القائل: «كم مرة أردت ولم تريدوا؟». لأنه إذا انتهت إرادتنا إلى هذا التعارض، فلا مناص من الدينونة الرهيبة وسماع الصوت المخزن: «هكذا بيتكم يترك لكم خراباً» (٣) ...! وإذ قد تم بالفعل خراب الهيكل المقدس وبق خراباً إلى يومنا هذا آية لصدق كلمة المسيح، فلا أقل من أن نشفق على أنفسنا من هذا المصير عينه لأن «هيكله هونحن» (٤).

(٣) لوقا ١٣: ٣٥.

(٤) راجع ٢ كور ١٦: ١٦.

حلّوه ودعوه يذهب

(يو ١١: ٤٤)

سبت لعازر يحمل معاني عميقة لحبي الطقس وهواة التلذذ بربط المعاني والغوص في بحر لآلئ الأرثوذكسية.

كل ما عرفناه عن السبت والسبوت أنه رمز الراحة والتوقف عن أعمال الحياة. هكذا جعله العهد القديم رمزاً لإنهاء الخلقة الترابية.

ولكن فجأة، وكختام لعهد قديم وشاخ، يأتي سبت لعازر ليقلب معنى السبوت كلها معلناً عن بداية جديدة للحركة والحياة وفك نختوم السكوت والموت واقتحام الطريق الموصل بين القبر والهاوية.

هكذا تتلقف الكنيسة سبت لعازر لتجعل منه أحداً صغيراً وقيامه صغرى ترابية لواحد من أولاد آدم الأول، تمهيداً لقيامه عظمى إلهية للمسيح آدم الثاني.

سبت لعازر هو في الأرثوذكسية مفتاح سر البصخة، سر الانتقال من القديم إلى الجديد، من عهد السبوت إلى عهد الآحاد، من عهد الموت إلى عهد القيامة. وهو أول مرحلة من مراحل العبور التي جازها مخلصنا، إذ بإقامة لعازر من الموت قدّم المسيح صورة للنهاية قبل البداية فأطلق في القلوب سر فرحة النصر على الموت حتى لا تخور في موكب الصليب.

ليس جزافاً أن يطلق المسيح في يوم السبت سراح لعازر من بطن الهاوية وقيمه من بين الأموات، ولكنه أراد أن يمهّد بسبت لعازر للسبت الكبير، حتى تكون آلامه وصلبه ودفنه على رجاء، وقيامته يقيناً كالفجر.

هكذا كانت ولا تزال قيامة لعازر حجة رجاء ضد الموت و يقين قيامة ننتظرها على

كافة المستويات حتى ولو انتنت أجسادنا وانحلت وذابت وتلاشت في الماء أو بين ذرات التراب .

هل كان لعازر في حاجة إلى أسبوعين يضافان إلى حياته أو شهرين أو عدة سنين أخرى؟

كلا، ولكن كان التلاميذ، بل نحن، بل العالم كله، في أشد الحاجة أن يقوم لعازر من الأموات ليؤمن الجميع بالمسيح ليس فقط أنه قادر أن يقوم بل و يقيم من الأموات أيضاً!!

والقصة تبدأ عندما أرسلت مريم ومرثا إلى المعلم بلهفة أن: أسرع، فلعازر الذي تحبه مريض... والإسراع هنا يفيد توقف إيمان الأختين بالرب عند حد شفاء الجسد: «يا سيد لو كنت ههنا لم يمُت أخي» (١). لهذا كانت اللفظة وكان الإسراع من جانب الأختين للاموت وتضييع الفرصة... وبالرغم من ذلك نرى المسيح يتأخر، لأنه يرى في موت لعازر فرصة لإيمان أعلى «فلما سمع أنه مريض مكث حينئذ في الموضع الذي كان فيه يومين ثم بعد ذلك قال لتلاميذه لنذهب...» (٢)!!

وفي الطريق قال لهم: «لعازر مات وأنا أفرح لأجلكم أي لم أكن هناك لتؤمنوا» (٣). الرب هنا يفرح عند ازدياد فرصة الإيمان أمام التلاميذ عندما يسترد نفساً من بين مغالب الموت... ولكن العجيب أنه بعد قليل يواجه المسيح الأختين و يرى بكاءهما، فبيكي هو أيضاً من فرط تحننه «انزعج بالروح واضطرب... بكى يسوع» (٤)... فالذي رأيناه يفرح بازدياد فرص الإيمان للتلاميذ والأختين تجاه الموت، نجده يبكي عندما يقف بين الباكين، وكأنما الفرح والبكاء عند المسيح نظير أورهن ما يسرنا و يبكيننا!! ولكن بتأمل صغير نجد أن الفرح والبكاء جاءا مختلفين في ترتيبها لدى المسيح عن ما كان لدى الأختين والتلاميذ، فعند المسيح الفرح أولاً ثم البكاء،

(١) يوحنا ١١: ٢١ و ٢٢.

(٢) يوحنا ١١: ٣٣ و ٣٥.

(٣) يوحنا ١١: ٢١.

(٤) يوحنا ١١: ١٥ و ١٦.

إذ كان يرى القيامة قبل الموت، ولكن بالرغم من ذلك لم تعقه فرحة الرؤيا المسبقة للعازر قائماً من بين الأموات عن أن يذرف الدمع مع الباكين أمام القبر، وهكذا بدأ يسوع فائقاً جداً في حنانه وترفعه بالتألمين إذ أدخل نفسه من فرحته النبوية لِمَا سيكون، فبكى كما يستلزمه الإشفاق وتحتم به المودة.

أما الأخستان، فإذا اختفت رؤية القيامة عن مستوى إيمانها بكتاء بكاءً مرأً خلواً من فرحة النبوة المسبقة بما سيكون! ...

وأمام القبر وقف رب الحياة وسيد القيامة ونادى لعازر، فقام، وقام معه رجاء الإنسان كله، كل بني آدم، بالحياة الأخرى... والذي نادى لعازر باسمه فقام من بين الأموات ويده ورجلاه مربوطات، سيأتى وسينادي الإنسان، كل إنسان، لقيامة أبدية ودينونة وحياة.

* * *

حلوه ودعوه يذهب :

ربي أنا هو لعازر الجديد، أنا الميت ...

رباط الخطيئة يلف أعضائي وأنا مسجى في قبر شهواني ...

عيناي انطفأ عنها نور الحياة، وظلمة الباطل أطبقت على عقلي.

التصق لساني بحنكي، وكفت شفثاي عن النطق بحقك.

انسد حلقي بكلمات الإثم، وشهادة الزور أطبقت على صدري.

توقف قلبي عن أن ينبض بحبك، وتورمت جدرانها بالحقد والعداوة.

كليتي تحجرتا برواسب الشهوة، وسوم الملذات أذابت أحشائي.

سُلت يميني عن الرحمة، وتصلبت رجلاي عن مسيرة السلامة.

وجهي مستور عنك بمندبل قبائحي، وتنن أعضائي ينضح فوق أفراط

كرامتي.

ربي، إن كان للموق رجاء في بكاء، هكذا يكون رجائي.

ولكن بكاءك على لعازر هو كفضي بل ذاك معتمدي.

يا من دمعت عيناك على حبيب ميت . أنا ليس لي مرثا ولا مريم ، أنا
اليوم ميتك فابكيني .
أتوسل إليك بحبك وحنانك ، أوعز إلى ملائكتك أن (حلوه ودعوه
يذهب) .

إنجيل أحد الشعانين (أحد الخلاص)

أوصانا

«هوشعنا أي خلصنا»

على قبر لعازر استعلن المسيح (رئيس الحياة وملك الدهور) (١)... ألم يُهزم آخر عدو يبطل وهو الموت!! كان هذا ختام آياته وأعماله كلها، وياه من ختام يحمل كل إشارات ومؤهلات المجيء الثاني!! والآن وبعد أن تدنّ بالطيب كميت وقد قام، بل وهو القيامة ذاتها والحياة، من المناسب جداً أن يعلن ملكوته السلامي ويدخل مدينة أورشليم المزينة بأغصان الزيتون والنخيل، وياه من دخول يحمل كل الإشارات عن أورشليم العليا وعربسها حيث ننتظر ظهورها واستعلان ملكوته الأبدي.

لقد وُلد المسيح كابن لداود في بيت لحم مدينة داود، والآن يدخل أورشليم مدينة الملك كوربث داود الشرعي في مُلكه النبوي السلامي...

وإن كان صوت النبوة قد أعلن أن من عبّر الأردن جليل الأمم (الناصرية) يشرق نور عظيم، يعود الصوت النبوي ليقول في موضع آخر مخاطباً أهل أورشليم سيدة المدائن داعياً إياها بإبنة صهيون: «ابتهجي جداً يا إبنة صهيون. اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك وديعاً وهو عادل ومنصور، وديع راكب على حمار وعلى جحش ابن أتان» (٢).

لقد رفض المسيح كل أيام حياته مظاهر المجد والتكريم، وتحاشى المسير في المواكب والظهور في الأعياد رسمياً، أما هنا فلأول مرة ولآخر مرة في حياته يرتب بنفسه موكب الظفر والمسيرة الرسمية للدخول إلى أورشليم كملك، حتى اندهش منه الكثيرون وضح

(١) مطلع صلاة الصلح في القداس الكيرلسي وهي من الصلوات التي كان يحبها ويردها كثيراً البابا المتنيح كيرلس السادس.

(٢) زك ٩: ٩.

منه رؤساء الكهنة والفريسيون... نعم فقد آن الأوان فعلاً أن يعلم العالم أنه المسيا الملك القادي المخلص !!

فهذه أغصان الزيتون رمز السلام تشير إلى المسيا (شيلون) (رجل السلام).
وهذه أغصان النخيل تشير إلى أقواس ظفريه الملوكي (٣) الإلهي.
وهذه الأصوات (أوصنا في الأعالي) تشير إلى الخلاص والفداء الإلهي.

وهذا الموكب المزدحم بالمعاني العميقة والأسرار ينتهي تاريخ إسرائيل الزمني لبدء ملكوت المسيا الذي فيه تتحقق النبوات جميعها مع كل التوقعات والآمال لكافة الأنبياء والرئين من قريب ومن بعيد...

ولعل في المتأفات التي قيلت في ذلك اليوم وسجلها لنا البشرون توضيحاً لكل هذه التحققات التي كملت باستعلان المسيا في شخص يسوع المسيح في هذه المناسبة:
+ «أوصنا (خلصنا) لإبن داود مبارك الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي» (٤).
+ «مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب. أوصنا في الأعالي» (٥).
+ «مبارك الآتي باسم الرب. سلام في السماء ومجد في الأعالي» (٦).

والعجيب أن المسيح كان موافقاً على كل ما كانوا يهتفون به حتى بلغ هتافهم عنان السماء، بعكس كل مواقفه السابقة التي كان يحرم فيها أي هتاف له: بل لما طالبه الفريسيون أن يُسكت الهاتفين قال لهم: «إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ» (٧).

إذن، فكل ما هتفت به الجموع كان هتافاً نبوياً من عمل الروح الذي كان ينطق في أفواه الأطفال والرُضع !!

(٣) في سفر اللاويين ٢٣: ٤٠ يعملون «المظال» بسعف النخل رمز الحضرة الإلهية. وفي سفر المكابيين الأول ١٣: ٥٠-٥٢ ومكابيين الثاني ١٠: ٩-١٠ يعيدون عيد الحرية بسعف النخل.

(٤) مت ٢١: ٩. (٥) مر ١١: ١٠.

(٦) لو ١٩: ٤٠. (٧)

(٦) لو ١٩: ٣٨.

تطهير الهيكل ومظاهر العنف :

جديد علينا وغريب جداً منظر المسيح وفي يده سوط يطرد التجار من الهيكل ويعتف مُنَوِّي الصلوات؟ ... ما سر هذا العنف المفاجيء؟ ... وهل له في النبوات مرجع؟

الآن عودة إلى النبوات :

ففي سفر ملاخي يصف النبي هذا الموقف بحساسية مرهفة : « و يأتي بقتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه ، وملاك العهد الذي تُسرون به ... ومن يحتمل يوم مجيئه ؟ ومن يثبت عند ظهوره ؟ لأنه مثل نار المحص ومثل أشنان القصار ، فيجلس ممحصاً ومنقياً ... واقرب إليكم للحكم وأكون شاهداً سريعاً على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الخالفين زوراً ... وعلى السالبين ... » (٨) .

ولكن لا يزال السؤال باقياً : ما سر هذا العنف الذي لم نعتاده قبلاً من المسيح ؟ هنا يلزمنا رجعة إلى الإنجيل . فالقديس لوقا يعطينا الجواب على هذا التساؤل وإغنا على مستوى سري يحتاج منا إلى مزيد من الإنفتاح الذهني لندرك الإشارات العميقة .

فقبل أن يورد القديس لوقا حادثة دخول الرب أورشليم يوم الأحد يورد مثلاً للمسيح (٩) ، قاله حال دخوله أورشليم ، وهو له علاقة هامة جداً بالموضوع ، وهو الذي يشرح لنا أسرار ذلك اليوم الكبير . يقول الإنجيل :

« فقال مثلاً لأنه كان قريباً من أورشليم . وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال ، فقال إنسان شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكاً و يرجع ... أما أهل مدينته فكانوا يبغضونه ، فأرسلوا وراءه سفارة قائلين لا نريد أن هذا يملك علينا . ولما رجع بعد ما أخذ الملك أمر أن يدعى إليه أولئك العبيد ، وحاسبهم حسب أمانتهم ، ... أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا

(٨) ملاخي ٣ : ١ - ٥ .

(٩) لوقا ١٩ : ١١ - ٢٧ .

بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي ! ولما قال هذا تقدم صاعداً إلى أورشليم» (١٠) !

يلاحظ القارئ هنا قول الإنجيل : «لأنه كان قريباً من أورشليم»، فهذه إشارة خفية تنبهنا أن المثل المذكور الذي قيل هنا له علاقة بدخول المسيح أورشليم يوم الأحد، ثم قوله : «وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال» تعطي إشارة أن المسيح سيشرح في المثل أن ملكوت الله لن يظهر في الحال . وفعلًا قد أوضح ذلك المسيح في المثل عند قوله : «ذهب إلى كورة بعيدة» كما تفيد أيضاً عبارة : «وكانوا يظنون أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال»، أن طريقة دخول المسيح الهيكل يوم الأحد سوف تشرح لنا كيفية ظهور الملكوت ومجيء المسيح في ملكه... وهذا يظهر بوضوح أكثر بقوله في نهاية المثل : «ولما قال هذا تقدم صاعداً إلى أورشليم»... وفعلًا دخل المسيح الهيكل بهيأة ملك، وحال دخوله بدأ في الحال يحاسب ويوبخ ويعتف المسؤولين بسلطان، كملك، مما أذهل رؤساء الكتبة والفريسيين، ولم يدروا أنه كان يعمل عمل الديان...

+ وهنا نلاحظ انقسام الناس عند استقباله إلى فريقين : فريق غاضب وهم الذين يسيئهم مجيء الرب الثاني لأنه سيفضح شر حياتهم، وهؤلاء كان يمثلهم الفريسيون. وفريق فرح مهلهم وهم الذين يسرهم مجيء الرب لأنه سيعلم برهم. وهؤلاء كان يمثلهم التلاميذ والأطفال والشعب البسيط القلب.

+ وأما طرده الذين يبيعون ويشترون وقلبه لموائد الصيارف، فكان إشارة إلى حرمان الذين استخدموا الدين للتجارة والربح الزمني.

+ أما قلبه كراسي باعة الحمام وطردهم من الهيكل فهو إشارة إلى رفض الرب الذين باعوا مواهب الروح القدس (الحمام)...

+ وأما العنف الذي بدا على المسيح واستخدامه السوط فكان إشارة سرية إلى

(١٠) لوقا ١٩: ١١-٢٨.

مستوى الدينونة، الذي سيبلغ منتهى عنفه، عندما تبدأ محاكمة الشيطان علناً هو وكل أعوانه وأتباعه الذين رفضوا أن يملك المسيح عليهم، عندما يطرحهم تحت قدميه، حسب قول القديس لوقا، وهنا سر عنف المسيح الذي بدا في الهيكل.

* * *

يارئيس الحياة وملك الدهور، بامن فديت من الموت نفسي، يا من فككت قيودي...

اليوم في ذكرى موكبك الصاعد، إلى اورشليم، أسبرغوبيتك وأجدد عهودي...

أجل سعي وزيوتوني لأنصبك ملكاً لحياتي وأهتف أوصنا في الأعالي... ليس لي أبواب زاهية أفرشها في طريقك، ولكني أطرح حياتي على عتبة بيتك...

أدخل، بالفرح، كنيسة موضع ملكك وأسجد بالخوف أمام هيكلك مكان عرشك...

أقبل أبوابها وأعتابها وأمسح بترابها جيبني، لعلك ترفع وجهي.
ربي، لا تجعل لي فيها مغنماً ولا نصيباً مع الذين يبيعون فيها ويشترون...
ربي، اليوم أعاهدك: لك كل حياتي، كل أموالي، أوصنا في الأعالي.

عظة يوم الإثنين من البصخة المقدسة

شجرة التين غير المثمرة

«وفي الصباح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع. فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط. فقال لها لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد فيبيست التينة في الحال» (١).

هذه الآية صنعها يسوع يوم الإثنين
من أسبوع الآلام الأخير.

• • •

تعاليم المسيح تمتاز بالأثر العميق الذي يبق في النفس إلى الأبد نظراً لما تشمله من تمثيل واقعي، مدعماً أمثاله بأعمال قوية واضحة حتى يُثبَّت في ذهن الإنسان القصد الذي يرمي إليه.

نظر يسوع شجرة تين مورقة على الطريق فجاء إليها ينشد ثمرأ ولكنه لم يجد، فلعنها فجفت في الحال. كان لابد أن يكون مع الورق ثمر لأنها بيدآن معاً، بل أن الثمر تظهر براعمه مبكرة عن الورق. فلما وجدها اخضرت وأورقت ولم تحمل ثمرأ حكم عليها بالموت لأنها لم تعد تصلح لشيء إلا للنار حسب القول: «كل شجرة لا تصنع ثمرأ جيداً تقطع وتلقى في النار» (٢).

وفي هذا لم يكن يعطف على الفلاح الذي كان يتعب فيها عبثاً، ولا على تعطيل الأرض التي تحملها.

ولم يلعنها لتكون وقوداً لتدفيء الأيدي الباردة، ولكنه قصد ما هو أعظم من هذا، فإنه قصد أن يدفيء بها القلوب الجامدة.

(١) مت ٢١: ١٨-٢٠.

(٢) لو ١٣: ٩.

من هي الشجرة:

كانت التينة المورقة العقيمة من الثمر رمزاً للأمة اليهودية التي حفظت الشريعة عن ظهر قلب وتممت الطقوس بدقة فائقة وتمسكت بالشكليات إلى أبعد حد! طقوس الكهنتوت متممة على أكمل وجه بالزبي الفاخر والطياليس والأهداب الطويلة. والكتبة أتقنوا النساخة إلى أبعد حدود الدقة. والفريسيون يشرحون الناموس ويعلمون وصاياها بأكثر مما يحتمل الناموس صعوبة وتعقيداً. ذبائح منتظمة وبخور في الصباح والمساء. وفي أفواههم على الدوام نحن أولاد إبراهيم شعب الله المختار، هيكل الله، هيكل الله.

أما قلوب الجميع فكانت بعيدة عن الحق، حفظوا الناموس بأفواههم وليس بقلوبهم. تمموا الطقوس للناس وليس لله. ذبحوا الذبائح ليأكلوا، وقدموا البخور ليرهبوا الناس لا ليمتلئوا رهبة وخشية من حلول الله في بيته.

هذه كانت الأمة اليهودية، شجرة خضراء جميلة ولكن ليس فيها ثمر... دخل المسيح الهيكل فرآه كما رأى التينة، رآه مغارة للصوص، ونظر إلى الكهنة والكتبة والفريسيين فلم يشكرهم ولم يتركهم بل أعطاهم الويل المضاعف لأنه وجدهم مرائين يأكلون الأرامل ولعلّة يطيلون الصلوات وشبههم بالقبور المبيضة من الخارج وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. فلعن هيكلهم كما لعن التينة «هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً» (٣)، حتى أنه لم يبقَ منه حجر على حجر. وظل الهيكل خراباً حتى اليوم ومجمعهم وكهنتهم معطل حتى هذه الساعة... ذبل الهيكل كما ذبلت التينة حتى جاء معول الرومان واقتلع الهيكل والعبادة اليهودية من أصولها كما وُضعت الفأس على أصل هذه التينة الجافة واقتلعتها يوماً.

ماتت الشجرة ومات الهيكل وظل هذا المثل القوي حياً، سيفاً مسلطاً على كل أمة

لا تعمل البر وكل فرد يتمسك بالمظهر دون الجوهر و يفتخر بعقيدته دون أن يفتح قلبه
لرب العقيدة!

حسبناه خروفاً فوجدناه ذئباً:

انظر يا أخي لثلا تكون شجرة تين خضراء ولك مظهر العمل والخدمة واستطعت
بمظهرك أن تجذب إليك الناس من بعيد، فتوهموا أنك الغني ومعلم النور، وفاتح كنوز
المعرفة والماسك بمفاتيح الملكوت... وأنت الفقير العريان الجالس في الظلمة ولم يشرق
النور على قلبك بعد، المعرفة على لسانك وليست في قلبك، وقفت على الباب فادخلت
أنت ولا جعلت الداخلين يدخلون... إن كنت أنت هو فاشفق على نفسك وعلى الناس
لأن الفأس قد وضعت على أصل الشجرة... وكيف يقول الناس عنك حينئذ؟ يقولون
حسبناه خروفاً فوجدناه ذئباً.

حسبناه أصلاً فوجدناه فرعاً:

انظر يا أخي لثلا تكون شجرة خضراء أخرجت أوراقها قبل أن يتم نموها وتصلح
لحمل الثمار فاعترت بأوراقها وليس لها ثمر. لك غيرة على الحق ولكن ليس حسب
المعرفة، لك نشاط وجهاد ولكن ليس كمن يرضي الله بل كمن يرضي نفسه والناس!
لازلت تستقي اللبن في معرفة الله وتدّعي أمام الناس بمنظرك وكلامك وتقواك
المصطنعة أنك بالغ القامة في المسيح، وقبل أن تشتعل تريد أن تضيء!

إن كنت أنت هو فاحذر لأن البستاني لن يشفق على جمالك وأوراقك ويمشاه
الحاد سيقطع فروعك الكاذبة ويعريك من أوراقك الكثيرة وحينئذ تظهر بين الأشجار
صغيراً على حقيقتك. ولكن كيف يقول الناس عنك حينئذ؟ سيقولون حسبناه أصلاً
فوجدناه فرعاً.

له صورة التقوى ولكنه أنكر قوتها:

انظر يا أخي لثلا تكون شجرة خضراء نمت في تربة قليلة العمق فاخضرت وأورقت

وإذ ليس لها عمق طلعت الشمس فضربتها والجفاف مصيرها . عمق يأخي في الأساس لئلا يكون تعبك باطلاً وجهادك كله للحريق . أرسل جذورك قبل أن تخرج أوراقك . انعكف على نفسك أولاً وتظهر من أدناسك وخطاياك وغشك وريائك ، تأصل أولاً في معرفة الله وحينئذ تقوى على شمس التجارب وأعلم أن إبليس أسد زائر(٤) ولن يقف أمامه ضعاف النفوس العاشون لأنفسهم ولكلمة الحق غير المتأصلين في معرفة الله ، إذ يضرهم ضربة لا يكون لها شفاء فتكون الظلمة أحب إليهم من النور والدنس أسهل عليهم من شرب الماء والغش والمكر والخداع دروهم التي يتحصنون بها .

فُتِّش ودُقِّقَ ربما أنت واحد منهم ولكن كيف يقول الناس عنك حينئذ ؟ يقولون كانت له صورة التقوى ولكنه أنكر قوتها .

يا أسني على هذه الأشجار التي أخضرت للحريق وولدت للعنة ، ياليتها ما أخرجت ورقاً لأنها اكتفت بالأوراق دون الثمر وخذعت الناس للمجيء إليها فأتعبتهم بلا طائل . صاروا لعنة لأنفسهم وضلالة للناس .

وأنت أيها الشجرة الخضراء المورقة اعلم أن المسيح قادم إليك مع شهود ليرى فيك ثمرأ ؟ هل وراء أقوالك وأعمالك ثمار الروح : إيمان وحب وحق وفرح وسلام فيه ؟ مع تواضع وإنكار للذات وحرارة في الصلاة ؟

الرب قادم إليك :

الرب قادم إليك لأنه جوعان ، جوعان إلى ثمارك . أما أوراقك فإنها مرة لا تؤكل ولن ينتفع أحد بها . إنه جوعان لحبك ، جوعان لطهرك وعفافك وقد استك ، جوعان لثقتك فيه جوعان لصومك وصلاتك .

(٤) ١ بط ٥ : ٨ .

ثمن الدم والجسد:

إنه طعمك بدمه كيف لم تخرج رائحته منك، إنه أطعمك جسده كيف لم تثمر بعد؟

إنه سقاك بعرقه المتصبب من جبينه وسَيَّج حولك بإكليل الشوك ليحميك من أعدائك فما هو عذرك؟ الفرصة أمامك اكتشف نفسك بنفسك ولا تخدع ذاتك أو تحاول أن تخدع الله!

أنت نجحت فقط في كيف تخدع الناس... أما عين الله فلن تخدع قط وهو قادم ليطلب الثمر ثمن الجسد والدم! حدد موقفك وإلا فلا تُلْمُه إن هو لعن التينة!

لم يلعن المسيح شيئاً قط، لم يشأ أن تنزل نار من السماء وتأكل المضادين، كما أشار عليه أحد تلاميذه، ولم يلعن ضاربيه أو صالبيه بل كان مبدأه دائماً فتيلة مدخنة لا تُطفأ وقصبة مرضوضة لا تُقصَف (*)، ولكنه لم يحتمل التينة الكاذبة غير المثمرة.

(٥) مت ١٢: ٢٠.

عظة يوم الثلاثاء من البصخة المقدسة

العشر عذارى

«جاء العريس والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأغلق الباب» (١).

كان يوم الثلاثاء مليئاً بالتعاليم،
ولكن مثل العشر عذارى كان
تأكيداً لنحيته الثاني.

* * *

انتظرت العذارى معاً طويلاً، ولم يكن أحد يستطيع أن يفرق بين الحكيمات منهن
والجاهلات، فالمصباح كانت في أيديهن موقدة وظلت موقدة طويلاً حتى منتصف
الليل.

وقبل منتصف الليل بقليل ظهرت علامات التعب عليهن جميعاً فتثقلن بالنوم. غير
أن خمساً منهن تهايمن مع بعضهن أنه لا فائدة من السهر، فالعريس لن يحضر، لقد
أتعبنا أنفسنا وخسرنا زيتنا عبثاً، وحينئذ اتفقن معاً في جهالة أن يطفئن مصابيحهن
وينمن، وكان نومهن عميقاً كمن ينام نوم الموت.

أما الخمس عذارى الأخباريات فكن قد تعبن بالجد فقط، أما الروح فكان
نشطاً. فجمعن زيتاً في أوانٍ تكفيهن، ومن، ولكنهن كن مستعدات وصح فيهن قول
الكتاب: «أنا نائمة وقلبي مستيقظ» (٢).

جاء العريس بالرغم من الانتظار الطويل، وبعد أن انتصف الليل سمعن صوته
وصوت المهللين لقدمه. فياحسرة الجاهلات وياخيبة أملهن، ويا فرحة المستعدات
ويا سعادتهن!

(٢) نش: ٥: ٢.

(١) مت ٢٥: ١٠.

قامت الجاهلات وحاولن عبثاً أن يشعلن مصابيحهن فوجدن الزيت قد فرغ .
وقامت الحكيمات وأخذن من مخازن زيتن وأشعلن مصابيحهن فأضاءت ،
وأضاءت وجوههن من الفرح .

سيأتي المسيح ومجيئه أشد تأكيداً لنا من مجيء العريس عند الحكيمات . نعم
سيجيء بعد منتصف الليل ، بعد انتظار طويل ، بعد أن يفرغ علمنا وفهمنا وتقديرنا ،
عندما نستسلم له بقلوبنا فقط ، عندما نهدي هذا العقل ونشفق على هذا التفكير وندعه
جانباً ، هذا هو النوم الحقيقي ، نوم اليقظة ، الذي فيه تكون الروح نشيطة ، عندما نهمل
كل أمور هذا الجسد وننتظر بالروح مجيء العريس السمائي .

المستعدون :

إن مجد المستعدين سيبدأ عندما يظهر العريس لأن وجهه سيشرق لهم فيجمل
وجوههم تضيء بالمجد ، حينئذ سيكونون معه حيث يكون هو ، لن يفرقهم عنه زمان أو
مكان ، فعندما يظهر سيكونون معه في الحال ولن يفصلهم عنه شيء . «أيها الآب أريد
أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا مجدي الذي
أعطيتني» (٣) .

نعم سيقود المسيح الذين اشتركوا معه في آلامه ، وصبروا واحتملوا وخرجوا من
ضيقة هذا العالم ظافرين ، إلى السعادة الأبدية ، سيقودهم بنفسه ليشتركوا معه في مجده
لأنهم ذاقوا آلامه وغسلوا خطاياهم بدمه واستحقوا أن يعيشوا معه إلى الأبد ، ومصدر
سعادتهم أن يروا وجهه كل حين و يفرحوا معه في وليمة عيد الأبدية ؟!

ما أجمل حفلة العرس الأرضية وما أبهج أعياد الناس ، فكم وكم تكون حفلة عرس
السما عيد الله في الأبدية... من يستطيع أن يتصور مقدار سعادة المدعوين إليها ؟ وإن
كان الفكر يعجز عن وصف هذه السعادة ، فكيف أستطيع أن أتكلم عن العلاقة

السرية الإلهية التي ستربط العريس بعروسه ! وعروسه هم المدعوون الذين خطبهم
لنفسه وطهرهم جداً حتى يتحدوا به إلى الأبد بلا مانع...

من هم المستعدون؟

— هم الذين تعبوا وأشقاهم الحاضر ولبسوا عُذَّةَ الجندية وانجرحوا، ولكنهم جاهدوا
حتى الدم ولم يلقوا السلاح فدافعوا عن إيمانهم وعقيدتهم واعترفوا بسيدهم ولم ينكروه،
ولما طلب العدو رقابهم قدموها بفرح ثم دخلوا معه إلى العرس.

— هم الذين أبغضوا أنفسهم وازدروا بالعالم، فتركوه وراء ظهورهم مستهينين
بمجده وعاشوا «معتازين مكرويين مذلولين... تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق
الأرض. وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم» (٤).
وذلك من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح، ولما دعاهم دخلوا معه إلى العرس.

— هم الذين تعبوا في الكرم وخدموا بأمانة، رعوا الرعية وسهروا عليها، ولم يتركوا
خروفاً واحداً ليخطفه الذئب بل كانوا مستعدين أن يفتدوه بأنفسهم، أطعموا
المسكين، وسندوا الضعيف، وحاموا عن الأرملة واليتيم، وأشبعوا الخراف من التعلاليم
الحية، ورووها بمعرفة القدوس ومحبتة، وكانوا قدوة للخراف في العفة والطهارة
والقناعة وإنكار الذات، وحينئذ دعاهم وأعطاهم الأجرة أن يدخلوا معه إلى العرس.

— هم الذين جاهدوا ضد الخطية، ولم يكن في فهم غش، وحفظوا أجسادهم بلا
دنس، وعاشوا أظهاراً فاستحقوا أن يدخلوا معه إلى العرس.

— هم الذين أخطأوا وزلوا وسقطوا، في جهل وفي ضعف، ولكنهم بشجاعة قاموا
وتابوا وغسلوا ذواتهم بدموعهم وبَيَّضُوا ثيابهم في دم الخروف، فولدتهم التوبة الأم
الجديدة، ولدتهم أبكاراً بتولين من جديد، كما خرجوا من بطون أمهاتهم، وحينئذ
صاروا أهلاً أن يدخلوا معه إلى العرس.

(٤) عب ١١: ٣٧، ٣٨.

«وقال لي أكتب طوى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف» (٥).
نعم طوى لمن كان نصيبه مع هؤلاء ، لأنه سيكون مع المسيح إلى الأبد.

والأغلق الباب :

ما أصعب هذه العبارة وما أقساها ! ليس لهم نصيب مع المسيح لأنهم سيُحرمون منه إلى الأبد. ولكنها في ذات الوقت حلوة عند المدعوين لأنها تفيد أنهم لن يحرموا منه أبداً !

فالباب أغلق في وجه المطرودين حتى لا يرون وجهه ، وأغلق أيضاً حتى لا يخرج المدعون من حضرة العريس إلى أبد الآبدين .

هؤلاء يذهبون إلى الظلمة الخارجية حيث الندم والحزن والكآبة وصرير الأسنان ، وهؤلاء يدخلون إلى فرح سيدهم ينعمون و يعيدون عيد الأبدية .

المطرودون :

هم الذين لم يجدوا زيتاً في مصابيحهم عندما أقبل العريس ، فذهبوا يبحثون عن الزيت في غير وقته ، فلم يجدوا زيتاً ولم يجدوا وقتاً ، فعادوا ووجدوا الباب مغلقاً .

هل ستكون من بين المطرودين أيها السامع وأيها القارئ ؟
يا للأسف ! ويا للحزنى ان كنت قد وضعت في نفسك أن تستهين بالدعوة . إني أصلي من أجلك وأطلب من الله أن لا يكون نصيبك في الظلمة الخارجية بين المحرومين من نعمة الوجود مع الله ... بل ينسكب روح الله فيك ليغير قلبك لتقدّر أهمية الدعوة التي دعيت اليها مع المسيح .

يا ليت للمطرودين شكلاً خاصاً حتى نعرفهم ونميزهم ، أو حتى نتوسل اليهم ونرجوهم أن لا يختاروا هذا النصيب المشؤم .

ولكن ليس تفرقة. قط ولا تمييز بين المدعويين وبين المطرودين حتى يجثي العريس
إذ هم عذارى ولهم مصابيح واحدة وساروا معا في ذات الطريق وسهروا معا وناموا معا
واستيقظوا على صوت العريس معاً، وقاموا ليصلحوا المصابيح معاً، ولكن يالللحسرة لم
يكن لبعضهم زيت لينثروا به ، هنا ابتدأ المصير يتقرر، فالنعمة العاملة في القلوب هي
التي تشملنا لننضيء وتوكلنا للقاء العريس . هذا هو الزيت الذي أهل العذارى
الحكيما للدخول مع العريس ... وهو الذي افتقدته العذارى الجاهلات فلم يجدنه .

إجمعوا لكم زيتاً قبل أن ينتصف الليل فلا تجدونه يا أحبائي .



عظة يوم الأربعاء من البصخة المقدسة

تذكار المحبة

« فأخذت مريم مناً من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمي يسوع ومسحت قدميه بشعرها » (١).

أمضى يسوع هذا اليوم في بيت عنيا
في خلوة حيث تقبل من مريم
هديتها .



هناك خدمات وأعمال نعملها باسم الله نحو الفقراء والمحتاجين . وهذه الأعمال ممدوحة ومشكورة لأنها صادرة من شعور بالرحمة والتضحية .

وهناك أعمال نعملها مع الله مباشرة ، وهذه لا ترى ولا يسمع بها الناس ، وهي أعظم من أن تُمدح أو يُشكر عليها ، لأنها صادرة عن حب داخلي من القلب نحو الله .

الأعمال الأولى تُمدح عليها من الناس ، وربما لا تُمدح عليها من الله ، إذا كانت قد عُملت من أجل مديح الناس وشكرهم وتعظيمهم لنا . أما مقدمة قلوبنا لله بأعمال المحبة المباشرة نحوه فهذه تكون صادقة ليس فيها غش أو رياء ، يقبلها الله كما قبل الطيب المسكوب على جسده من مريم ، هذه إذا رآها الناس أو شعروا بها فإنهم يردّلونها أو على الأقل يغتاطون « وكان قوم مغتاطين في أنفسهم فقالوا لماذا كان تلف الطيب هذا » (٢) .

(١) يو ١٢ : ٣

(٢) مر ١٤ : ٤

محبة التمجيد:

ما أقل الصادقين في حبهم نحو المسيح الذين يعملون ويخدمون ، لا من أجل الناس ولا من أجل أنفسهم ، وإنما بدافع الحب العميق للمسيح المتأجج في قلوبهم .

حينما تقدم صدقتك للمسكين ، أتشعر أنك تقدمها للمسيح بدافع الحب له ؟

حينما تصلي وتسبح مع المصلين ، أتشعر أنك تخاطب الله بقلبك ؟

حينما تحب أهلك وأصدقائك ومعارفك ، هل تشعر أن دافع المحبة مصدره حبك للمسيح ؟

حينما تتقدم على المذبح للتناول من جسد الرب ودمه ، هل تشعر أنك له وهولك ، يربطكما رباط المحبة الخالدة ؟

إن كانت أعمالك مصدرها حبك للمسيح ، فتق أنك تمجد الله بمحبتك وأعمالك وقد صارت لك هذه كلها بخوراً زكياً أمام الله كل حين .

أما إذا كانت أعمالك بدافع الواجب أو المجاملة للناس أو الفخر ، فتق أنها كلها خسارة وقد صارت كالسقط الذي يولد ميتاً .

تمجيد المحبة:

تقدمت المرأة الخاطئة بقارورة طيب كثير الثمن وسكبته على رجلي المسيح ومزجته بدموعها ومسحته بشعرها ، فقال عنها المسيح أنها أحبت كثيراً ولذلك غُفرت لها خطاياها الكثيرة (٣) .

وتقدمت مريم أخت لعازر بقارورة طيب كثير الثمن أيضاً ودهنت به قدمي المسيح ومسحت قدميه بشعر رأسها ، فقال عنها أنها كفنت بالطيب جسده .

(٣) لوقا ٧: ٤٧ .

ما أكثر الحب الأول، فقد استطاع أن يكفر عن كل الذنوب والخطايا السالفة .
وما أروع الحب الثاني، فقد استطاع أن يكفّن جسد المسيح ذاته !
الحب الأول عاد بالخير على صاحبه ، والحب الثاني كان للمسيح بلا مقابل .
ما أعجب الحب الخالص الذي بلا مقابل وبلا ثمن !
جيد أن نحب المسيح لأنه افتدانا من اللعنة والخطية وسلطان الموت .
وجيد أن نحب المسيح لأنه فتح لنا باب الفردوس الذي كان قد أُغلق في
وجوهنا .

جيد أن نحب المسيح الذي أهلكنا أن نشترك معه في مجده الى الأبد .
ولكن أعظم من هذا كله أن نحب المسيح «لأنه هو أحبنا أولاً» (١) !

محبة غالية :

من هي مريم التي قدمت قارورة طيب بثلاثمائة دينار؟ لم تكن ملكة ولا أميرة أو
حتى ذات أموال، بل امرأة فقيرة، ولكنها جمعت كل أموالها واشترت زجاجة طيب ...
إنه جنون المحبة الذي هزأ به يهوذا اللص الخائن، وقال عنه إنه إتلاف، أما المسيح
فدحه جداً... يهوذا قلّده بالمال وثمّنه كخبير في الأسعار بثلاثمائة دينار، أما المسيح
فقلّده المحبة التي فيه فوجدها تفوق الأرض وما عليها .

إن كل خدمة نؤديها أو عطية نعطيها أو كلمة نقولها سوف يزنها المسيح بميزان
الحب، وحينئذ تكون المكافأة والمجازاة، لا عن مقدار الخدمة أو عظم العطية أو قوة
الكلمة، وإنما عن صدق المحبة التي دفعتنا إلى ذلك .

محبة ناضجة :

لم يكن شعوراً طارئاً ذلك الذي دفع مريم لتقديم هديتها، ولكنه شعور بدأ عندما
كانت تجلس عند قدميه، وعلمت منه سراً أنه سيموت بأيدي رؤساء الكهنة واليهود،

(٤) ١يو: ١٩ :

وأيقنت من كلام السيد أن هذا لابد أن يكون... حينئذ ابتدأ حبها يفعل فيها لتقدم له شيئاً يليق بموته!!

ومنذ تلك اللحظة وهي تجمع كل ما لديها حتى اشترت قارورة الطيب التي أذابت فيها كل مشاعر المحبة، وحفظتها عندها الى أن يحين الوقت: « فقال يسوع اتركوها إنها ليوم تكفيني قد حفظته » (٥).

هذه هي المحبة التي مَحَصَّها الزمن، فقويت. وهاجتها شكوك النفس، فثبتت. وقامت ضدها حاجة المعيشة فغلبت!

كثيراً ما نتقدم بعمل من أعمال المحبة وإذ تُترك لنا الفرصة قليلاً نتردد، وإذا طال الزمن نبرد، فإذا طولبنا بوعدنا نرفض!

ياليت حبنا يكون ناضجاً عنيداً نحفظه في قلوبنا لوقته فلا تزيده الأيام إلا قوة وتأكيداً.

قدمت مريم هديتها في اللحظة المناسبة، إذ بعد أن دهنت رجله بالطيب، قام وذهب ليصلب وترك بيت عنيا ولم يعد إليها.

الفرص أمامك يا أخي، ولا تستشيرني ماذا أقدم للمسيح لأن مريم لم تستشر أحداً إلا قلبها.

محبة صامته:

مريم حفظت الطيب عندها سراً، وقدمته صامته، ولم تتحدث عنه بعد ذلك لأحد.

يا من تحب المسيح، تعلم من مريم...

عظة يوم خميس العهد

الجسد المقدس والدم الكريم

هذا هو اليوم الفاصل بين عهدين ،
الذي أسس فيه السيد المسيح سر
التناول .

« وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا
هذا هو جسدي ، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم لأن هذا هو
دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » (١) .

يومان في تاريخ البشرية هما كل التاريخ .
اليوم الأول كان بعد الطوفان الذي أهلك كل بني البشر إلا نوحاً وأولاده ، يوم أن
عاهده الله أنه لا يعود يلعن الأرض أويبيت كل حي فيها ... وكانت علامة العهد قوساً
يظهر في السماء بعد كل مطر شديد علامة لرضى الله ...
والثاني هو الذي نصنع تذكاره اليوم ، وفيه جلس يسوع مع تلاميذه وكشف لهم
عن سر العهد الجديد في مغفرة الخطايا ونوال الحياة الأبدية .

كان العهد الأول ضماناً لاستمرار الحياة البشرية على الأرض .
وكان العهد الثاني ضماناً لنوال الحياة الأبدية بعد الموت !

جسدي ودمي :

خرج آدم من لدن الله وقد فارقت النعمة الإلهية بسبب مخالفته ، فدخلت الخطية
جسده وأظلمت روحه المنيرة التي كان يرى بها الله .

(١) مت ٢٦: ٢٦-٢٨ .

وهكذا عاش بعيداً عن الله غير لائق لميراث الملكوت... إلى أن جاء المسيح، فكان لابد أن يظهر الجسد ويعطيه سلطاناً على الخطية ويقّس الروح لتؤهل لرؤية الحياة الأبدية.

ابتدأ المسيح يعلم تلاميذه، فتغيرت أذهانهم. وقدم لهم الآيات والمعجزات، فأمنوا به وعلموا يقيناً أنه هو يسوع المسيح ابن الله الحي... ولكنهم ظلوا كما هم تحت سلطان الخطية بعيدين عن الحياة الأبدية، فلا التعلم استطاع أن يظهر الجسد ولا الإيمان وحده كان كافياً لكي يقّس الروح... إلى أن جاء هذا اليوم الأخير الذي كلل فيه تعاليمه ومعجزاته بتقدمة جسده ودمه للأكل والشرب، بسر عجيب، حتى نتغير بها إلى حالة الطهارة والقداسة بقوة اللاهوت الكائن فيها.

بهذا صارت البشرية مرة أخرى مهياة لحياة الشركة مع الله وللحياة الأبدية.

خذوا كلوا... اشربوا منها كلكم:

ما أعظم هذا النداء ليس هو رجاء ولا دعوة ولكنه أمر.
ليس لنا أن نقول لا... مهما كنا خطاة أردنا لأننا كلنا خطاة أردنا.

وليس ولا واحد بمستحق هذه العطية التي يصير بها واحداً في المسيح.
أراد بطرس أن يرفض غسل رجليه بيدي السيد المسيح تواضعاً منه فأنتهره المسيح قائلاً: «إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب...» (٢).

أقول أنها ليست دعوة ونحن أحرار في قبولها أو رفضها، كلا، لأن في قبولها حياة وفي رفضها موتاً، والرب لا يشاء موت الخطاة بل بالأحرى أن يرجع ويتوب إليه.

لقد جاء المسيح ليعطينا جسده ودمه فكل من لا يأخذ من جسده ودمه فالمسيح ليس له، وإن كان المسيح ليس لنا فليس لنا رجاء بل ونكون أشقى الناس.

(٢) يوحنا ١٣: ٨.

ألا تريد أن تتخلص من خطاياك، ألا تريد أن تحيا حياة مقدسة، ألا تريد أن يستضيء ذهنك بالمعرفة الروحية؟ ليس من سبيل إلا أن تأخذ المسيح فيك لتحيا به لأننا لسنا كفاة من أنفسنا.

إني متعجب من ذاق كيف أعطي لي أنا الإنسان الحقير التراي الخطيء أن آخذ المسيح في! آخذه كله في داخلي؟ لست أستطيع ولا أحد بمستطيع أن يفسر هذا لأنه فوق الفهم والتفسير، ولكني أؤمن به فهو إنجيلي... وهو نفسه قال خذوا كلوا هذا هو جسدي!!

إني لست أجتريء على شيء ليس هو لي، ولكنه هو الذي قال لي: خذ كل. آدم أخذ من الشجرة التي قال له الرب لا تأكل منها فأكل ومات! وها هو المسيح يقول لي خذ كل لتحيا... فكيف لا آكل؟؟

كلوا... اشربوا:

ليس هناك عملية يمكن أن نتحد بها مع المسيح مثل أن نأكله ونشربه! فيتحد الجسد بأجسادنا والدم بدمائنا وبعدئذ لا شيء في الوجود بمستطيع أن يفصلنا عنه إذ يكون المسيح قد دخل إلى أعماق أعماقنا.

ما أسهل أن نأكله وما أسهل أن نشربه وما أصعب أن نفصل عنه بعد أن نأكله ونشربه.

لمغفرة الخطايا:

هذا هو الجسد والدم الذي حمل جميع خطايا العالم، فذابت وتلاشت كما تذوب أوساخ الناس في البحر والبحر كما هو لا يتسخ، وكما تموت الميكروبات في أشعة الشمس والشمس باقية لا تتلوث!

إن خطية واحدة قادرة أن تحطم حياة الإنسان إلى الأبد، ولكن جميع الخطايا التي

اقترفت البشرية في الأجيال السالفة والتي ستقترفها في الدهور القادمة وُضعت كلها على السيد المسيح، فذابت وتلاشت كما تتلاشى قطرة الماء على قطعة حديد محماة بالنار.

إن مقدار قدرة الجسد والدم على مغفرة الخطايا تجل عن الوصف والتقدير. ولكي نستطيع أن ندرك شيئاً من قوتها، علينا أن نتأمل في مقدار الخطايا التي اقترفناها منذ صبا.

كيف امتلأت أفواهنا بالكذب والرياء والغش، وقلوبنا بالحسد والحقد والغضب والمكر والخداع وأفكار الشر والشهوة والدنس.

نعم هذه كلها التي نتذكرها والتي لا نتذكرها يستطيع الجسد والدم أن يمحوها مع توبة صادقة... أي مقدرة هذه؟ إني متعجب!!

لو أنك شهدت شهادة زور أمام المحكمة وأُخذ بها وعوقب المتهم البريء، فإنك لا تستطيع أن تصلح الأخطاء التي حدثت ولا الآثار التي ترتبت على هذه الخطية مهما أوتيت من حكمة ومقدرة... ولكن هذه وأعظم منها يستطيع دم المسيح أن يمحوها بكل آثارها...

طوبى للذين «غسوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف» (٣).
هلم يا خطاة يامن أثقلتكم الخطية بقيودها وعاداتها المرة...

هلموا إلى بحر رحمة المسيح وشمس طهارته لتغتسلوا وتطهروا.

«إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. إن كانت حمراء كالودودي تصير كالصوف» (٤).

(٤) إش ١: ١٨.

(٣) رؤ ٧: ١٤.

عظة يوم الجمعة العظيمة

أما يسوع فجلدوه وأسلموه ليصلب

في هذا اليوم تمت جميع النبوات
والرموز. يوم تكدست فيه جميع أنواع
المظالم والقسوة ليتم كل المكتوب
عنه.

* * *

كانت محاكمة يسوع والسعي في سفك دمه أموراً تجري بغاية السرعة لأن حقد رؤساء الكهنة والفريسيين عليه كان شديداً، حتى أن كل لحظة تأخير كانت تزعجهم. وكان كل غرضهم أن يتخلصوا منه حتى يتفرغوا للتمتع بالعيد والإحتفال به...

كان سخطهم عليه شديداً لأنه كشف ما بداخلهم لأنفسهم وللناس فلم يطيقوا رؤيته أو احتمال بقاءه.

كانوا قساة ولكنها قسوة مملوءة بالخوف والرعب منه، فأرادوا أن يتأكدوا من موته بأنفسهم، ولما مات ظلوا مرتعين أيضاً لئلا يعود فيقوم كما سبق وقال لهم... كم من معاندين ليسوع المسيح اتصفوا بالجرأة والقحة في أساليب مهاجمتهم له ولأولاده في كل العصور، ولكن كان دائماً في قلوبهم رعب من سطوته أشد من رغبة اليهود الذين قتلوه...

أصلبه أصلبه:

كان الشعب ضحية القيادة العمياء، وكان المال أصل البلاء. فهؤلاء الذين استقبلوه بأجل مما يُستقبل به الملوك، استطاع رؤساء الكهنة بمالهم وسلطان كهنتهم أن يجعلوهم يصرخون في وجهه: «أصلبه أصلبه» (١)!

(١) لوقا ٢٣: ٢١.

نسوا إحساناته ومواساته... أين معجزاته! أين الذين أقامهم من الموت، أين الذين شفاهم من البرص والشلل والعمى والصرم، أين الذين أعتقهم من قيود الشيطان، أين الخمسة آلاف الذين أطعمهم في الجبل وأشبعهم من تعاليمه! أين تلاميذه، أين الشجاع بطرس... هربوا، هربوا كلهم! ما أحقر المثل والمشاعر التي قدمتها البشرية نحو مخلصها في يوم الآله!! ولو كنا نحن في أيامهم لعملنا كما عملوا، وربما أردنا مما عملوا، لأننا بدوننا لا نساوي شيئاً.

ابكين على أنفسكن (٢):

لم يقبل المسيح بكاء النسوة عليه... رفض أن يتقبل مشاعر الأسى والحزن نحوه لأنه كان «مجروحاً لأجل معاصينا مسحوقاً لأجل آثامنا. أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً» (٣).

لم يتألم لأنه كان مستحقاً للألم، ولم يُصلب من أجل ذنب عمله حتى يتقبل تعزية الناس له.

أخشى أن نخطيء في هذا اليوم ونحزن أو نبكي كبكاء النسوة ظانين أنه تألم من أجل نفسه... إنه جيد أن نبكي على أنفسنا وعلى أولادنا لثلاث تكون كل هذه الآلام التي قاساها السيد عبثاً، إذ نكون بجهالتنا قد ابتعدنا عنه بقلوبنا، فنُحرم من المجد الذي أعدّه لنا بالآله!

إن كل ضربة وكل إهانة وكل ألم عاناه المسيح على الصليب كان من أجل كل فرد من البشرية في ماضيها وحاضرها، ليرفع عن كل واحد منا الحكم الذي كان لابد أن يوفيه...

إنها لم تكن آلام المسيح في الحقيقة ولكنها آلامي وآلامك المستحقة علينا، نعم فلنبك على أنفسنا...

(٣) إش ٥٣: ٤، ٥.

(٢) لو ٢٣: ٢٨.

«فخرج وهو حامل صليبه» (٤).

يوحنا الرسول يوضح لنا أن سمعان القيرواني لم يحمل الصليب كل المسافة، إذ قام المسيح بحمل صليبه في الأول ولما سقط تحت الصليب رفعوه عنه وأعطوه لسمعان القيرواني، لا رحمة بالمسيح، وإنما خوفاً لئلا يموت في الطريق فلا يتممون شهوة حقدهم وغيظهم بصلبه!!

أود لو نتأمل لماذا سقط السيد المسيح تحت الصليب:
لقد أمضى نصف الليل في جثسيماني في الصلاة وكان عرقه يتصبب كقطرات دم...

ثم جاء يهوذا مع أعوانه وقبضوا عليه وقدم وحكم أمام مجلس السندريم.
ثم ذهبوا به موثقاً لبيلاطس ليصادق على الحكم، فاستهزأ به ثم أرسله إلى هيرودس، وبعد فحصه أعاده هيرودس إلى بيلاطس مرة أخرى، حيث ضغط رؤساء الكهنة على بيلاطس بإثارة الشعب وبتهديده بمكر أنه إذا أطلقه يكون عدواً لقيصر! فأسلمه لهم ليصلب بعد أن هزأ به عساكر الرومان غلاظ القلوب وجلدوه ووضعوا على رأسه إكليل الشوك وحينئذ خرج وهو حامل الصليب!!

كم مرة خار في الطريق؟ لا ندري... كم مرة أغمي عليه؟ لا ندري... إنها أخفيت عنا ولم تُذكر لأنها أفسى من أن توصف!!

احملوا هذا الشرف:

نعم احملوا الصليب، لا أقصد هذه الصليبان الذهبية المتألثة على صدوركم علامة البذخ والترف، وإنما أقصد صليب الموت!! لأن ليس للصليب معنى إلا الموت...

يسوع المسيح حل الصليب لأنه كان مستعداً أن يموت عليه.
فكل من يحمل الصليب ولا يكون مستعداً أن يموت عليه فهو كذاب منافق، لم

(٤) يوحنا ١٩: ١٧.

يكذب على الناس وإنما على الصليب...

من يحمل الصليب عليه أن يستعد للموت ، ومن استعد للموت عليه أن يحتمل آلام الصليب وما قبل الصلب . فقبل أن تحمل الصليب أعد نفسك للآلام !

طوبى للإنسان الذي لا يخشى الموت ، وأسعد منه هو الإنسان الذي مات عن العالم وصلب أهواءه مع شهواته !

شعر بذلك القديس أغسطينوس فقال : « وقفت على قمة العالم حينما شعرت في ذاتي أنني لا أشتهي شيئاً ولا أخاف شيئاً » .

ياأبتاه اغفر لهم (٥) :

هذا هو تاج الصليب أن نُصَلِّب نحن ، ولكن لا نُصَلِّب أحداً معنا !!
كان لابد أن يقول المسيح هذا و يطلب المغفرة لصالبيه حتى لا يكون في صلبه صلب لأحد ، ولا يكون في موته موت لأحد ، بل يموت هو ليعطي الحياة لجميع الناس !!

هذا هو الذي قال لنا : « أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم » (٦) .

احملوا الصليب ياأحبائي . ولكن أعود فأقول ليس صليب الذهب ذو السلاسل الجميلة ولكن صليب الموت ، الموت عن العالم ، الصليب ذو الآلام وذو الصفع والغفران .

(٦) مت ٥ : ٤٤ .

(٥) لو ٢٣ : ٣٤ .

القسم الثالث

كتاب

دراسة لآلام الرب

من الإنجيل والأسفار

(سنة ١٩٧٩)

الرب يسبق ويصف آلامه المزمعة بدقة مذهشة ثم تم بنفس الدقة التي أنبأ بها

لقد اقتصرنا فيما مضى لتوضيح آلام الرب، كما جاءت في الإنجيل، على أقوال الرب المباشرة عن آلامه المزمع أن يواجهها، والتي تلخص في ثلاثة مواضع متلاحقة من إنجيل مرقس الرسول كالاتي:

الموضع الأول: ٨: ٣١: «وابتداً يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً ويُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم».

الموضع الثاني: ٩: ٣١: «لأنه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم إن ابن الإنسان يُسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه، وبعد أن يُقتل يقوم في اليوم الثالث».

الموضع الثالث: ١٠: ٣٣، ٣٤: «ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ويسلمونه إلى الأمم، فيهزأون به ويجلدونه ويتفلون عليه، ويقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم».

ويمكن تقسيم حوادث الآلام والموت التي ذكرها الرب إلى ست مراحل:

١ - يُسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة + (يُرفض من الشيوخ).

٢ - فيحكمون عليه بالموت.

٣ - ثم يسلمونه للأمم.

٤ - فهزأون به، ويجلدونه، ويتفلون عليه. (يسلم إلى أيدي الناس).

٥ - ويقتلونه.

٦ - وفي اليوم الثالث يقوم.

وفي الحقيقة نجد أن ما ذكره الرب عن آلامه المزمعة، حدث بالفعل وبالدقة المتناهية وبحسب الترتيب الزمني الذي ذكره الرب.

والعجيب بالنسبة للأبحاث الحديثة في تحليل ونقد الإنجيل، أن العلماء الذين طرحوا جانباً جوهر الإيمان كلاً وجزءاً، يُعزّون سرد الحوادث بهذه الدقة إلى أن كتابتها تمت بعد تكميلها (٥)، وكأن الإنجيل تاريخ ملفّق. ولكن حقيقة الإنجيل التي نعيشها بالإيمان هي العكس تماماً، أي لأن الحوادث تمت بنفس الدقة والترتيب الذي ذكره الرب سابقاً فإنها تحسب كعمل من أعمال النبوة. ومن هنا يأخذ الإنجيل إحدى خصائص قوته الروحية والهامية وهيبته كإنجيل نبوات مكتملة.

فالذي حدا بالرسول إلى تقدّيس حياة الرب وأقواله وأعماله وإلى كتابة الإنجيل عامة وذكر حوادث الآلام خاصة، هو اندهاشهم وتأثرهم البالغ من أن كل ما قاله الرب تم بالفعل وب نفس الدقة التي ذكرها: «وقال لهم هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا المكتوب (وهذا بداية السلطان الذي كُتبت به الأنجيل)، وقال لهم هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث... وأنتم شهود لذلك» (لو ٢٤: ٤٤-٤٨). (كتابة الإنجيل شهادة لِمَا قِيلَ وَلِمَا تَمَّ بالحق وبالفعل).

وفي إنجيل يوحنا يكشف الإنجيل عن الصلة الأيمنة والدقيقة والترابط الصادق والمخلص والمؤازر بالإلهام، بين كل ما قاله وما عمله المسيح قبل الموت والقيامة وبين ما تم بالفعل بحسب كل ما قاله وفعله بحسب الإنجيل هكذا: «فلما قام من الأموات تذكّر تلاميذه أنه قال هذا فأمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع» (يو ٢٢: ٢٢). وهذه الآية تكشف لنا بالدرجة الأولى عن أحد المصادر البالغة القوة التي كان يستمد منها التلاميذ والرسول قوة شهادتهم وحرارة إيمانهم بالرب يسوع، فكل ما قاله الرب تم بالفعل «فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه» (يو ١٨: ٤)، ولم يتم بصورة عامة غامضة، بل بكل دقة مما أذهل التلاميذ ورفع حرارة إيمانهم إلى الدرجة القصوى وجعلهم بالفعل على مستوى الإلهام بل وعلى مستوى نفس فكر المسيح «أما

(*) Bultman, Theology I, 31, 32.

نحن فلنا فكر المسيح» (١ كور ١٥: ٢)، «لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد» (يو ١٣: ٧).

وقد ألمح المسيح على مدى الإنجيل إلى هذه الحقيقة الإنجيلية الفارقة، وهي الإنطباق الدقيق المذهل لكل ما يقوله ويعمله المسيح على ما سوف يتم له ويكمل بالحرف الواحد:

— «أجاب يسوع وقال له: هل آمنت لأني قلت لك إني رأيتك تحت التينة؟» (أي اندهشت مني كمن يتنبأ ويرى الخفيات — بنوع من سبق الحوادث وعلى بعد زمني ومكاني) «سوف ترى أعظم من هذا» (يو ١٥: ٥٠).

— «فقال لهم يسوع متى رفعت ابن الإنسان فحينئذ تفهمون» (معجزة انطباق القول على العمل) «أني أنا هو، ولست أفعل شيئاً من نفسي (حوادث زمنية) بل أتكلم بهذا (حوادث إلهية تفوق الزمان والمكان والحوادث في عمقها وأهدافها اللانهائية) كما علمني أبي» (يو ٨: ٢٨).

— «لكني قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أني أنا قلته لكم، ولم أقل من البداية لأني كنت معكم» (يو ١٦: ٤).

— «وقلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون» (يو ١٤: ٢٩).

وهنا يوضح المسيح جداً هذه الحقيقة التي هي عماد الإنجيل كله أن كل رواية الإنجيل هي انطباق فائق الوصف والدقة بالنسبة لإنطباق القول على الحادثة والحادثة على القول، الأمر الذي احتسبه المسيح نفسه أنه جوهر الإيمان!! «حتى متى كان، تؤمنون!!».

فالإنجيل كله كتاب نبوي، برؤيا مسبقة للحوادث على مستوى المعجزة، فيسوع تسمى قبل أن يحمل به في البطن، والمسيح كان يصور الحوادث قبل أن تقع دون أن يدفعها خارجاً عن مسارها عندما يأتي زمانها، ويرضخ للعنف والظلم وهو قادر على

ضبطه وإلقائه .

فقد أن اختار هو بنفسه يهوذا كتلميذ، كان يعلم أن ذلك التلميذ الخائن قد وُضع في يد الشيطان «لأنه عرف مسلمه» (يو ١٣: ١١)، ولكن بالرغم من ذلك سلمه الصندوق ليسرق ما يشاء. وفي النهاية يشنق نفسه به «ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك» (يو ١٧: ١٢) — شأن كل من يسرق مال الكنيسة!! وفي اللحظة التي وجده المسيح جالساً على العشاء الأخير قلقاً يريد الاستئذان ليكمل خطة تسليمه المتفق عليها مع رؤساء الكهنة، قال له — مسهلاً مهمته — «ما أنت تعمل فاعمله بأكثر سرعة» (يو ١٣: ٢٧).

كذلك وعلى نفس المستوى نجد المسيح، في يوم الخميس، يجلس على العشاء يحكي عن كسر جسده وسفك دمه المزمع أن يكمله في الغد دون أن يحاول تعطيل المشورة الإلهية...

وهكذا كانت حياة المسيح — في ذاته — رؤياً مكشوفة كان عليه أن يوقعها على حوادث الزمن بتوافق إعجازي «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو ١٢: ٢٧).

ولكن نود في هذا المقال أن نتأمل أكثر في المواضع الأخرى من الإنجيل التي أشار فيها الرب إشارة مباشرة أو غير مباشرة إلى آلامه وموته للذين كان مزمعاً أن يجوزها. لأن هذا مجد ذاته يحضرنا في صميم الإنجيل، بالإضافة إلى ما نحن نعيشه الآن بالروح والطقس معاً في أسبوع الآلام. وقصدنا الوحيد من هذا هو أن نحيا أمانة الإنجيل، أو بالحرى إيماننا المسيحي، ونستمتع بكل نبوة وكل إشارة فيه، وكأنها رؤية مجددة لأرواحنا ونفوسنا وعقولنا على درب الآلام، تزد الصليب وضوحاً وتزيد القيامة يقيناً، وتدخلنا في شركة حرة مع آلام الرب وقيامته.

١ - مرحلة التعبير الرمزي أو غير المباشر التي وصف بها الرب آلامه وموته

مثل الكرامين الأردباء: مرقس ١٢: ١-١٢

— « فإذ كان له أيضاً ابن واحد حبيب إليه ، أرسله أيضاً إليهم أخيراً قائلاً
إنهم يهابون إبني . ولكن أولئك الكرامين قالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث
هلموا نقتله ، فيكون لنا الميراث ، فأخذوه وقتلوه وأخرجوه خارج
الكرم ... ، فطلبوا أن يسكوه ولكنهم خافوا من الجمع لأنهم عرفوا أنه قال
المثل عليهم !... » .

في هذا المثل الرقيق الدقيق الذي يجمع الماضي كله والحاضر كله في سطور بل
في كلمات يوضح الرب أموراً كثيرة :
فهو يحدد أوصاف نفسه « بالإبن الوحيد المحبوب للآب » .
ويحدد رسالته — بالنسبة للأنبياء السابقين الذين رفضهم هؤلاء الرؤساء — بأنها
آخر رسالة : « أرسله إليهم أخيراً » .

ويحدد السبب الأساسي الذي أضمره رؤساء إسرائيل (الكرامون) لقتل المسيح ،
وهو رغبتهم في الاحتفاظ بمراكزهم للإستيلاء على رئاسة الشعب والأرض ، حتى ولو
أدى ذلك إلى كسر وصايا الله ، « فقالوا في أنفسهم هلموا نقتله فيكون لنا
الميراث » ، وقد تحقق هذا الإحساس الحقود بالفعل لدى رؤساء الكهنة ، إذ يقول
الإنجيل حسب القديس مرقس ١١: ١٨ « وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف
يهلكونه لأنهم خافوه ، إذ بهت الجمع كله من تعاليمه » .

— أما رؤساء الكهنة فيسجل الإنجيل اعترافهم هكذا : « إن تركناه هكذا
يؤمن الجميع به فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا » (يو ١١: ٤٨) .

ويحدد نوع الآلام والموت ومكان الدفن «فأخذوه، وقتلوه، وأخرجوه خارج الكرم».

بل ويستمر المثل بعد ذلك فيحدد ما سيصيب هذه الأمة من مصائب فظيعة وهلاك رؤسائها «يهلكهم هلاكاً ردياً»، وتؤخذ منهم رسالة الخلاص وتُعطى للأمم «ويعطى الكرم لآخرين»...

في هذا المثل لا يدع المسيح أدنى شك لأي علم أو عالم نقدي يقول إن تاريخ الآلام المسيح وموته إنما صيغت على ضوء الحوادث التي تمت، فواضح من هذا المثل أن المسيح يصف أموراً تفوق إدراك التلاميذ، فهو يضع نفسه كآخر من سيرسله الله، سواء من أنبياء أورسل أو كتبة أوفريسين أو حتى رؤساء كهنة، بل ويرفع نفسه بالنسبة لجميع من سبقوه كإبن لله وحيد ومحبوب، في مقابل وضع الأنبياء كافة كعبيد وخدم، وهم يطلبون الأجرة، أما هذا فوريث وصاحب الكرم!! ثم يشرح المسيح بشجاعة وجرأة تفوق أي قامة بشرية كيف ستنتهي حياته على أيدي هؤلاء القتلة.

والذي نريد أن ننبه إليه ذهن القارئ هنا هو معرفة المسيح معرفة كاملة ودقيقة بنوع رسالته وغايتها ونهايتها بما يفوق تصور التلاميذ مهما أوتوا من رؤيا. لذلك كانت كل أقواله وتعاليمه وأعماله ذات هدف وذات معنى وذات نفع وذات دوافع صحيحة وفعالة على مدى مئات السنين، وهذا بحذ ذاته جعل كتابة الإنجيل فوق مستوى التلاميذ والرسل وأي بشر على الإطلاق، لأنها ترتفع بإلهام الروح القدس إلى مستوى فائق من جهة تحقيق القول بالتطبيق الدائم وباستمرار مما جعل حياة المسيح وآلامه وموته وقيامته آية ومعجزة وبشارة إلى مدى الدهور.

فالإنجيل بهذا الوصف كلمة فعالة تمت بقوة إلهية فائقة ولا تزال تتم حتى هذه اللحظة، أو بالحرى فعل حي من داخل الكلمة على مدى الزمن والأبدية معاً. لذلك إذ نعود إلى أنفسنا حيناً نقرأ الإنجيل، يلزمنا أن نعيش هذا الفعل الحي في كل آية وكل معجزة وكل بشارة، لأن كل كلمة قالها الرب لها هدف، وهدف الكلمة لا بد أن يتحقق في ملء الزمن...

فالإنجيل كله ليس قصة ولا هوتاريخ أو مجرد كلام يُقرأ للفهم أو للبركة ، بل هو وعد حي صادق لنوال الحياة الأبدية ، لكل من يقرأ و يؤمن .

فقصة آلام الرب وموته وقيامته هي لدى الباحث اللغوي أو العالم الناقد المحقق مجموعة من وثائق ينقصها الشيء الكثير من الدقة التاريخية والرتابة والبرهان المنطقي ، أما لدى بني الوعد فهي ميراث حيّ كامل ننال منه حياتنا وقوتنا ونمونا ورجاءنا وفرحنا وانتصارنا وشفاءنا كل يوم ، « قل كلمة فقط فيبراً غلامي » (مت ٨: ٨) .

والمسيح لم يكتفِ بالرمز والتلميح بل تعدّى ذلك إلى المواجهة الصريحة على نفس المستوى والمعنى :

— « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ... أنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم مكيا لآبائكم ... ، ها أنا أرسل إليكم أنبياءاً وحكماً وكتبة ، فمنهم تقتلون ، وتصلبون ، ومنهم تجلدون في مجامعكم ، وتطردون من مدينة إلى مدينة ، لكسي يأتي عليكم كل دم زكي ... » (مت ٢٣: ٢٩-٣٥) .

لذلك فالمثل هنا خطير بالنسبة لحياتنا ، فالإنجيل يورثنا ميراث الكتبة والفريسيين والكهّامين الأرياء الذين انتزع منهم الكرم . وأمانتنا الآن لم تعد على النواميس والبوصايا الأولى ، بل على دم المسيح في الإنجيل ، فإن كان الوريث قد دُبح من أجلنا ، إذن فقد صار ميراثه لنا بعكس ما ظن القاتلون . فلو تصورنا أننا كنا واقفين من خلف السور ننظر ما جرى للمسيح داخل الكرم كيف قام عليه الكرامون وقتلوه ، لأدركنا الثمن الفادح الذي دفعه المسيح ثمناً لكي ينقل كرم الملكوت ، أي الإنجيل ، من تخوم إسرائيل لكي يضعه في أيدينا .



٢ - مرحلة التعبير الواضح والمباشر

التي عبّر بها الرب عن آلامه وموته

أولاً: التصريح العلني الأول عن آلامه

بالإضافة إلى الإشارات والرموز غير المباشرة التي أوردناها، كان الرب في بعض المواقف يتكلم علانية و بوضوح عن آلامه وعن موته . ولكن حتى هذه العلانية الواضحة جداً جاءت متفاوطة في التدقيق والكشف عن كيفية الآلام وأنواعها وكيفية الموت ونوعه، ويمكننا تقسيمها هي الأخرى إلى ثلاث مراحل من حيث أزمانها أو من حيث موقعها في رواية الإنجيل، لأنه يكشف عن تسلسل معين قصده الرب، فقد كان يزيد من وضوح الحوادث الآتية كلما اقترب منها .

وهذا التسلسل نجده واضحاً جداً في رواية الإنجيل الواحد، مثل إنجيل مرقس . فالتصريح الأول عن الآلام الذي يأتي علانية في أصحاح ٨: ٣١ يليه التصريح الثاني وهو أكثر وضوحاً، يأتي بعده في ٩: ٣١، ثم التصريح الثالث والأخير، وهو الأكثر وضوحاً وعلانية، يأتي في ١٠: ٣٣ .

ولكن سنحاول أن نضيف أيضاً الأقوال الموازية التي جاءت في الأناجيل الأخرى، لتعطي الصورة الكاملة لهذا التسلسل .

التصريح العلني الأول للمسيح عن آلامه وموته:

أ- نص إنجيل مرقس ٨: ٣١:

— « وأنتم من تقولون إنني أنا؟ فأجاب بطرس وقال له أنت و، المسيح، فأنتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه . وابتدأ يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي δει (يتحنم must) أن يتألم كثيراً و يُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم — وقال القول علانية، فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينهزه . فالتفت وأبصر تلاميذه . فأنتهر بطرس قائلاً: اذهب

عني يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس .
ودعا الجمع مع تلاميذه وقال لهم : من أراد أن يأتي ورائي فليترك نفسه
ويحمل صليبه ويتبعني . فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها . ومن يهلك نفسه
من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها . لا أنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم
كله وخسر نفسه . أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه . لأنه من استحقى بي
وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطيء فإن ابن الإنسان يستحقى به متى جاء
بمجد أبيه مع الملائكة القديسين .
وقال لهم الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يدركون الموت حتى
يروا ملكوت الله قد أتى بقوة » (مر ٢٧ : ٩-١) .

واضح أن أول مناسبة هنا ، التي يبدأ الرب يعلن فيها عن آلامه وموته — كما يقول
هنا « وقال القول علانية » — هي بعد أن أكمل تعاليمه ، وأراد أن يختبرهم فيما أدركوه
عنه شخصياً من هو ، فلما صرح له بطرس أنه هو المسيح ، أي المسيا الآتي ، ومعروف أن
المسيا عندما سيأتي سيعلم عن ملكوته ورد كل شيء — وخاصة ليرد الملك
لإسرائيل — فالمسيا في فكر إسرائيل كلها هو الملك النقيذ والمخلص لشعب إسرائيل ،
نقول لما صرح بطرس أنه هو المسيح ، أصبح أمراً لازماً جداً أن يبدأ المسيح و يشرح لهم
عن مرحلة الآلام والموت التي سيعبرها المسيح أولاً ، حتى يتم الخلاص والملك الأبدي !!

لذلك لا يفوت الباحث المدقق وقوفه هنا على أهمية كلمة «ينبغي» — δεῖ —
«ينبغي أن يتألم» — يعني «يلزم ويتحتم أولاً» ! فوضع كلمة «ينبغي» يكشف عن
سبب ورود هذا النص بأكمله ، لأن تلاميذه والجمع الذي يتبعه كان يحسب أن
المسيح سوف يعلن سرياً عن نفسه ملكاً ، وأن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال
بمجد وعظمة وسلطان . لذلك وضع لهم المسيح كلمة «ينبغي» أن يتألم أولاً . بل
أضاف على كلمة «يتألم» كلمة «كثيراً» ، إمعاناً في الإعلان عن مرحلة الآلام
العظيمة القائمة بذاتها قبل استعلان هذا الملكوت المنتظر موضعاً أنه «ينبغي أن يتألم
ويتألم كثيراً» . كما شرحها هو بنفسه بعد قيامته هكذا «أما كان ينبغي = δεῖ
أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده» (لو ٢٤ : ٢٦) ولم يكتفِ المسيح بهذا بل رفع

صوته ليسمعه الجميع» وقال القول علانية».

كما يلزم للباحث أن يدرك أن كلمة «ينبغي» (δεῖ) لا توجد في العبرية ولا الآرامية، فهي يونانية — كما جاءت في إنجيل مرقس. وهذا مما حدا بالعلماء الحزبيين الذين طرحوا الإيمان والبصيرة جانباً ليجروا وراء الحروف والكلمات، أن يقولوا أن القديس متى — والقديس لوقا من بعده — أضاف هذه الكلمة وربما النص بأكمله، وهذا أمر لا يخزناً بقدر ما يذهلنا، لأن القديس مرقس كان يصيغ نفس التعبيرات التي كان ينقلها من اللغة العبرية، إما من نص مختصر أمامه أو من فم القديس بطرس مباشرة، وهذا هو الأرجح بحسب التقليد. وتسجيل مرقس البشير لكلمة «ينبغي» على فم المسيح لم يأت جزافاً في موضعها هنا، بل هي تتبع حتمية التسلسل من جهة الكلام السابق والكلام اللاحق. فالتلاميذ والجمع المرافق كانوا في لهفة وانتظار ورجاء خاطيء بأن المسيح سيعلن نفسه ملكاً سريعاً ومرة واحدة، و يباشر سلطانه بقوة وإعجاز. فالمسيح ردّ عليهم بكل وضوح، أو كما يقول القديس مرقس نفسه: «وقال القول علانية أنه ينبغي — أي يتحتم — أن يتألم كثيراً أولاً».

أما فيما يخص الكلام اللاحق، فالرب تأكيداً لقوله «إنه يتحتم أن يتألم» عاد ووضع عليهم هم بالتالي وبالضرورة حتمية هذه الآلام التي ينبغي أن تكون قبل الإشتراك معه في الملك والمجد «من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه وعمل صليبه ويتبعني» مرّيداً بذلك أن يقول إنه ليس فقط يتحتم على ابن الإنسان أن يتألم كثيراً ويُرفض ويموت، بل يتحتم على كل واحد منكم أن يكون على نفس الاستعداد لحتمية الآلام الكثيرة، والإستعداد أن يُرفض «ينكر نفسه»، والإستعداد لمثل نفس نوع الموت «يحمل صليبه» لكي يدخل هذا الملكوت.

وليس ذلك فقط، بل حذرهم أن لا يحاول أحد أن ينال الخلاص والمجد بدون الآلام، متهرباً من صليبه، فهذا لن يكون له خلاص بل هلاك «من أراد أن يخلّص نفسه (بالهروب من الصليب) يهلكها. ومن يهلك نفسه (باحتمال صليب الآلام حتى الموت) من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلّصها» (مر ٨: ٣٤، ٣٥).

ونلاحظ أن كلمة «ينبغي» بوضعها (الحتمي اليوناني) هذا، دخلت ضمن تقليد الكتاب المقدس كله. فنجدها متكررة في ذكر آلام الرب وموته بصورة واضحة ومتعمدة، ليس على لسان المسيح فقط (لوقا ٢٤: ٤٦)، بل وعن التلاميذ أيضاً، إنما بصورة مشروحة كما نجدتها في تصريح بطرس الرسول هكذا «هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه» (أع ٢: ٢٣). بل وطبقها بولس الرسول على كل الذين يسعون لنوال ملكوت السموات أيضاً «إنه ينبغي بضيقات كثيرة أن ندخل ملكوت الله» (أع ١٤: ٢٢).

أما موضوع الرسول بطرس بخصوص محاولته لكي يثني عزم الرب عن دخوله الآلام والموت الإرادي، فهو يزيد النص أصالة وقوة ودقة، فعلوم أن هذا النص ورد أولاً في إنجيل مرقس، والقديس مرقس استلمه من القديس بطرس مباشرة ومن فمه، علماً بأنه نص مهين لكرامة بطرس، لأن الرب لقبه فيه بالسيطان، ولكن هي أمانة الإنجيل وأمانة النص وأمانة القول والتسليم. وهذا بحمد ذاته يرفع من كرامة بطرس في أعيننا، بل ويرفع من كرامة مرقس البشير أيضاً الذي ارتضى أن يسجل هذا على الرسول بطرس، بل ويرفع من تكرمنا لكل حرف وارد ليس في هذا النص فحسب بل في الإنجيل كله.

ويلاحظ القارئ أن الرسول بطرس بلباقته، لما سمع من المسيح مسألة أنه ينبغي أن يتألم كثيراً ويقتل، أخذ المسيح على جانب وبدأ ينتهره لأنه لم يحتمل الأمر، ليس على المسيح بل على نفسه، لأنه كان يتبع الرب على أساس الملك الآتي والجلوس معه في ملكه؛ مثل كثير منا الآن. فجزئنا وسعينا سواء في الخدمة أو العبادة أو تحمّل المسئوليات هو كله في انتظار الأجر والمكافأة الحسنة، والكل أصبح عنده قدرة مذهلة مثل بطرس في جرأته للتهرب من الضيقات والآلام، وهكذا سدوا آذانهم عن قول الإنجيل أيضاً: «إنه ينبغي (δεῖ) يتحتم) بضيقات كثيرة أن ندخل ملكوت السموات» (أع ١٤: ٢٢).

وإزاء «عملية» بطرس هذه، التفت المسيح نحو التلاميذ والجمع، وما سمعه من

بطرس في الخفاء — على جانب وحدها — رَدَّ عليه بصوت عالٍ حتى يسمعه التلاميذ .
 «ولكنه التفت ونظر إلى تلاميذه، منتهراً بطرس قائلاً اذهب عني يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس» . وعاد المسيح محذراً «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله (معيداً للأذهان ما قاله الشيطان نفسه للمسيح على جبل التجربة إذ أراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه جميعها...) وخسر نفسه» (مر ٨: ٣١-٣٦)

يُلاحَظ هنا أن ما صنعه بطرس هو تكميل وتأكيد لما قاله الشيطان للمسيح على جبل التجربة، لكي ينحاز إلى اختيار راحة العالم ومُلْكِهِ وعظمته، ويتخلل بالتالي وتلقائياً عن الصليب، أي عن مشيئة الله لخلاص العالم «ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عالٍ جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي، (الباب الواسع والوسيلة السهلة) . حينئذ قال له يسوع: اذهب عني يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (مت ٤: ٨-١٠) .

إذن تأكيد المسيح على الآلام وحتميتها «ينبغي أن يتألم كثيراً ويُرفض ويُقتل» هو في أعماق المسيح نداء الطاعة المطلقة لمشيئة الله . وهذا عند المسيح حتمية، وأي محاولة للتخلص من حتمية الآلام هذه، كما أرادها بطرس للمسيح، هو في عرف المسيح «لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس» . بل والأخطر أن مثل هذا الإهتمام في محاولة التخلص من الآلام هو هو صوت الشيطان نفسه! لأن النطق الذي واجه به المسيح الشيطان على جبل التجربة هو بعينه نفس النطق الذي واجه به بطرس «اذهب عني يا شيطان» .

إذن نلخص جوهر هذا النص في هذه الكلمات «ينبغي (δεῖ) يتحتم) أن يتألم كثيراً ويُرفض ويُقتل»، «وقال القول علانية»، «اذهب عني يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله»، «من أراد أن يأتني فليُنكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (مر ٨: ٣٤) .

هذه الكلمات تصور لنا أول مرحلة أعلن فيها المسيح جهاراً رؤيته الواضحة عن

آلامه وموته ووثوقه الكامل من أن كل خطوة سيخطوها هي من صميم إرادته، لأنها من صميم إرادة الله.

ولكن لا ننسى إطلاقاً أن في إنجيل مرقس وراء الآلام والرفض والقتل هناك وعد أكيد بالقيامة والمجد العتيق أن يكون للمتألمين «وبعد ثلاثة أيام يقوم» في ذات النص. وفي ذات النص أيضاً، وبعد حثهم على حل الصليب والسير وراء المسيح وعدم انخيازهم لجذب العالم — على طريقة نصيحة بطرس — يوجد الوعد بالمجد الآتي حتماً: «متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين». بل وفي نفس النص أيضاً يستطرد المسيح مباشرة معلناً «وقال لهم الحق أقول لكم إن من القيام هنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة»، مشيراً إلى يوم حلول الروح القدس. بل ولم يتركهم المسيح نبهاً لأفكار الخوف والحزن من إعلانه عن آلامه وموته، بل بعد ستة أيام أخذهم إلى جبل التجلي، وجعلهم يرون مجده علانية، حيث سمعوا صوت الآب من السماء يشهد له ويشجعهم أن يسمعوا له.

لذلك أود أيها الأحباء أن أنبه ذهنكم إلى أن النصوص الواردة عن آلام المسيح يستحيل اقتطاعها من موضعها، فهي داخلة ضمن نسيج الإنجيل الحي، والإنجيل ينبض بها منذ البداية إلى النهاية في توافق وتسلسل وتداخل، يستحيل معه حذف كلمة أو حرف، كما يحاول أن يعمل علماء اللاهوت المحدثين في كل الدنيا الآن.

ب — النص المرادف في إنجيل القديس متى:

معروف أن القديس متى كان يسترشد بما كتبه مرقس البشير، أو بما كان يسترشد به مرقس، ويُرِيد عليه ما رآه وما سمعه وما يعرفه وما يناسب من كان يكتب إليهم، لذلك سنجد نفس النص بكل ظروفه مع إيضاحات ستزيد الرؤيا أماناً وضوحاً: — «وأنتم من تقولون إني أنا؟ أجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي...»

... حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح...

من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يُظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم
و يتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل ، وفي اليوم الثالث
يقوم ، فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً حاشاك يارب لا يكون لك هذا .
فالتفت وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان . أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله
لكن بما للناس .

حينئذ قال يسوع لتلاميذه: إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه
و يحمل صليبه و يتبعني . من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من
أجلي يمجدها لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ، أو ماذا
يعطي الإنسان فداءً عن نفسه . فإن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع
ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله ؛

الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يدوقون الموت حتى يَرَوْا ابن
الإنسان آتياً في ملكوته ؛

وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس و يعقوب و يوحنا أخاه وصعد بهم إلى
جبل عالٍ منفردين» .

[متى ١٦ و ١٧]

من هذا النص يتضح لنا أكثر أن هنا بداية تعليم الرب جهاراً عن آلامه «من ذلك
الوقت ابتدأ يسوع يُظهر لتلاميذه أنه ينبغي» ، الذي يقابله في إنجيل مرقس «وابتدأ
يعلمهم أن ابن الإنسان ينبغي ...» .

والبشيران يتفقان هنا أنه بعد ما أكمل الرب تعليمه عن الملكوت والتوبة وعن
رسالة المسيح ، ابتدأ يسألهم عن نفسه من يكون هو؟ ولما أجاب التلاميذ وكشفوا عن
فهمهم لشخصيته أنه المسيا ، ابتدأ — كما سبق وقلنا — يكلمهم عن آلامه الحتمية .
فالقديس مرقس الرسول يذكر: «وقال القول علانية» ، والقديس متى الرسول
يذكر: «وابتدأ يُظهر لتلاميذه» . وهنا إشارة إلى بدء التعليم العلني عن رؤية المسيح
لآلامه والموت العتيق أن يكمله .

أما فيما يختص بمحاولة بطرس منع الرب عن المضي في طريق الآلام، فيزيد متى الرسول على ما سجّله مرقس قول الرب لبطرس: «أنت معثرة لي». هنا يكشف القديس متى عن رؤية الرب لطريق الآلام كطريق ممهد بالمشيئة الحرة والرضى والطاعة لتدبير الآب. وهنا تدخل بطرس يشكّل «عثرة خطيرة على طريق التدبير الإلهي». وبطرس يشكّل العثرة على أساس «حاشاك يارب أن يكون لك هذا»، أي عدم لياقة الآلام والصليب. بطرس أراد أن يحقّر من قيمة الآلام، ويستصغر من شأن الصليب. وهكذا، وبناءً عليه، ينتقل بطرس سريعاً من حيازته على لقب «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة» بسبب اعترافه العلني بيسوع المسيح إبناً لله الحي، إلى كونه أصبح صخرة ولكن صخرة شك وحجراً للعثرة «أنت معثرة لي»، لأنه وقف ليحجب رؤية الآلام والصليب عن المسيح إبن الله الحي.

سقطت بطرس هنا أنه كان ينظر لذاته ومركزه ونصيبه ومستقبله بالنسبة للمسيح، لذلك ردّ الرب عليه في الحال: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه». هنا الاختبار الحق والاختبار الوحيد لإمكانية السير وراء المسيح وتصديق أقواله، أما من استطاع أن ينكر نفسه، فهو في الحال سيدرك قيمة آلام الرب وعظمة صليبه، وبالتالي وتلقائياً سيحمل صليبه ويتبع الرب، لا عن قناعة فحسب بل عن فرح وسرور حيث ستكون له نفس رؤية المسيح «ينبغي أن يتألم كثيراً».

أما بخصوص عملية الموازنة بين إعطاء الرب للتلاميذ أول جرعة من المفهوم العلني الصريح للآلام الحتمية والموت الذي سيجوزه، وبين حتمية استعلان ملكوت الله ومجيئه في مجده، فالقديس متى يسجلها باهتمام ووضوح على لسان المسيح، حتى لا يجوز التلاميذ أي نوع من الحيرة واليأس، فيقول مباشرة: «فإن إبن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي (يكافئ) كل واحد حسب عمله».

ثم لا يكتفي إنجيل متى بهذا، بل يسجل أيضاً حادثة التجلي مباشرة مثل إنجيل مرقس ذاكراً بنوع من الإشارة الخفية المبدعة أنه أخذ تلاميذه المختارين الثلاثة «وأصعدهم على جبل عال». على نفس النمط الذي فعله الشيطان «ثم أخذه إبليس

على جبل عالٍ جداً». أما إبليس فأراه ممالك العالم ومجدها، أما المسيح فكشف لتلاميذه عن مجده الحقيقي حيث أضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور وأسمعهم صوت الآب من السماء يشهد له.

جـ- النص المرادف في إنجيل القديس لوقا ٩: ٢٢:

يذكر القديس لوقا هذا النص كما هو وارد في إنجيل مرقس وإنجيل متى تماماً. ولكن توجد إشارتان إضافيتان يهمن أن نعلق عليهما.

الإشارة الأولى: قول القديس لوقا: «ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم»، حيث التوضيح هنا يتركز في أن القيامة لا تكون بعد مضي ثلاثة أيام، ولكن في اليوم الثالث، وهذا مجد ذاته يفسّر لنا قيامة الرب في فجر الأحد.

الإشارة الثانية: يضيف القديس لوقا في موضوع حمل الصليب وإتباع الرب هكذا: «ويحمل صليبه كل يوم»، وهي المرادف البديع لقول الرب عن نفسه أنه «ينبغي أن يتألم كثيراً»، حيث يتكشف من نص إنجيل لوقا أن قصد المسيح ليس أن يكون التسلميذ أو المؤمن الذي يتبع الرب مستعداً أن يموت فقط من أجل ملكوت الله متشبهاً بالمسيح، بل أن يتهيا ليموت كل يوم بمعنى الإمامة الذاتية أو النسك أو التعفف وصلب الأعضاء الدائم للأهواء والشهوات، وهو المعنى الذي التقطه بولس الرسول وأفاض في شرحه وتوضيحه.

حيث ينبه الرب ذهننا أن المزيد من الآلام يدخل في صميم تدبير الخلاص والمجد الآتي، سواء للمسيح حيث بناءً عليه أخذ مجداً فوق كل إسم يُسمّى في هذا الدهر والدهر الآتي، أو لنا كشركة في ذات الآلام، حيث سنتمجد معه، وحينما يظهر المسيح في المجد سنظهر معه، أو كما يقول يوحنا الرسول «سنكون مثله» (١ يو ٣: ٢)!!

وهكذا في هذه المرحلة الأولى تمتد رؤية المسيح لآلامه بوضوح وقوة وثبات حيث تشمل ما سيتأتى بعدها من مجد وما سيصيبنا نحن من هذه ومن ذاك في يقين كيقين الفجر.

ثانياً: التصريح العلني الثاني للمسيح عن آلامه وموته

مر ٣١ و ٣٢	مت ١٧ و ٢٢ و ٢٣	لوقا ١٤ و ١٥ و ١٦
«لأنه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم:	وفيا هم يترددون في الجليل قال لهم يسوع:	قال لتلاميذه: ضعبوا أنتم هذا الكلام في آذانكم
إن ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه وبعد أن يقتل يقوم في اليوم الثالث وأما هم فلم يفهموا القول	إبن الإنسان سوف يسلم إلى أيدي الناس فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم، فحزنوا جداً.	أن ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدي الناس. وأنما هم فلم يفهموا هذا القول
وخافوا أن يسألوه.		وكان يخفي عنهم لكي لا يفهموه وخافوا أن يسألوه عن هذا القول.

في هذا التصريح لا يختلف البشرون الثلاثة في شيء، فالمشترك بينهم هو الذي يوضح ظروف وأسباب هذا النص الثلاثي. فالواضح في هذه النصوص أن الرب لم يقل هذا الكلام كمقولة أو مجرد حديث، ولكنه يظهر هنا أنه مجمل تعليم وتعليم متكرر: «وكان يعلم تلاميذه»... فهي هنا عملية تلقين متكرر ومستمر، وفي هذا يتضح من نص إنجيل متى إذ يقول «وفيا هم يترددون في الجليل قال لهم يسوع»، أي أنه كان بمثابة درس متكرر طول مدة ترددهم في الجليل.

وفي نص إنجيل لوقا يظهر هذا المعنى بوضوح أن الرب لم يعطه كخبر، وإنما ترسيخ كلمات يكررها لتستقر في أذهانهم بقصد أن يتذكروها ولا ينسوها قط، إذ يقول: «ضعوا هذا الكلام في آذانكم» أي عليهم أن يستذكروه عن ظهر قلب. وليس أوضح

من هذا تعبيراً لكشف قصد الرب لتلقيهم ماذا سيحدث «حتى إذا كان تؤمنون». فهنا التعليم أو التلقين واضح أنه يختص بما يؤده المسيح أن يكون بعد قيامته — أي ليتذكروا ما سبق وقاله عما تم له حتى يكون إيمانهم قوياً — لذلك لم يهتم المسيح أن يفهمهم معنى ما يقول بل كان كل قصده هو أن يضع الكلام في آذانهم ، كما يقول القديس لوقا.

والدليل على ذلك أن كلاً من القديس مرقس والقديس لوقا شددوا على أن التلاميذ لم يفهموا شيئاً ، بل ويؤكدان أيضاً أن التلاميذ خافوا فيما بينهم أن يسألوه عن هذا — وطبعاً كان المسيح يعلم أنهم لم يفهموا شيئاً . ولكن العجيب هو أن إنجيل لوقا يزيد على ذلك أنه يستقريء من عدم محاولة الرب تفهيم تلاميذه شيئاً عن هذا الأمر ، أن الرب قصد أيضاً إخفاء ملابسات تسليم ابن الإنسان إلى أيدي الناس عن تلاميذه بقوله : «وكان مخفي عنهم لكي لا يفهموه» .

وهذا بحمد ذاته كلّف المسيح أن يكرر لهم هذا الموضوع مراراً ، بل ولكي يرشّخ في أذهانهم هذه الحقيقة الختمية الحدوث ، حاول الرب أن يضعها أمام التلاميذ في صورة جملة منسجمة قصيرة لا يمكن أن تُنسى ، وهي تبدو كذلك في اللغة الأرامية بكل وضوح هكذا : [ميتاً صار بار إناسا ليذا بني إناسا] وترجمتها التقريبية [وسوف يصير سريعاً تسليم ابن الإنسان لأيدي الناس] .

ولكن العجب أن العلماء (e) تمسكوا بهذه الآية وقالوا إنها أقدم نص فاه به المسيح للتعبير عن تسليم نفسه ، وكل ما جاء بعد ذلك هو تخريج منها ، ولكن الحقيقة واضحة جداً أن الرب وضع هذا التعبير بهذا الاختزال والانسجام في آذان التلاميذ حتى لا يمكن أن يُنسى ، وبقصد أن يتذكرو التلاميذ بعد قيامته فيؤمنون .

ولا يفوتنا هنا أن نعتبر كلمة «يُسَلَّم لأيدي الناس فيقتلونه» هي توضيح لتسليمه لأيدي الأمم — أي الرومان — الذين يقومون بعملية القتل . وهنا درجة متقدمة عن التصريح الأول الذي فيه قال المسيح إنه يُرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ، حيث لم يحدد القاتل آنئذ .

(*) New Test. Theology, by J. Jerem., p. 282.

ثالثاً: التصريح العلني الثالث للمسيح عن آلامه وموته

مر ١٠: ٣٢-٣٤	مت ٢٠: ١٧-١٩	لو ١٨: ٣١-٣٤
«وكانوا في الطريق صاعدين إلى أورشليم. ويتقدمهم يسوع وكانوا يتحIRON وفيما هم يتبعون كانوا يخافون.	وفيما كان يسوع صاعداً إلى أورشليم،	
فأخذ الإثني عشر أيضاً وأبدأ يقول لهم عما سيحدث له:	أخذ الإثني عشر تلميذاً على انفراد في الطريق وقال لهم:	وأخذ الإثني عشر وقال لهم:
هانحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت و يسلمونه إلى الأمم فيهزأون به ويجلدونه ويقتلون عليه وفي اليوم الثالث يقوم	هانحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت و يسلمونه إلى الأمم، لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم	هانحن صاعدون إلى أورشليم وسيم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان لأنه يسلم إلى الأمم ويستهزأ به ويُشتم ويُفعل عليه ويجلدونه ويقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم وأما هم فلم يفهموا شيئاً من ذلك. وكان هذا الأمر مُخفياً عنهم، ولم يعلموا ما قيل.

كانوا صاعدين إلى أورشليم ، وكان هذا هو الصعود الأخير!! ، وكان يسوع بحسب إنجيل مرقس — يتقدمهم!! كان منتعشاً ، لأنه كان يرى نهاية الرحلة المضنية ، ويلمح السرور الموضوع أمامه ، الجلجثة أنشودة الحياة الأبدية التي انتزعها الرب من وسط الجحيم!! ثم يبدو أنه كانت معه جوع أخرى ، لذلك حاول أن يسرع لينفرد مع الإثني عشر — بحسب إنجيل متى — «أخذ الإثني عشر تلميذاً على انفراد» .

ومرة أخرى يبدأ الرب يكشف لتلاميذه الأخصاء عن سرِّه الأعظم والكبير . وابتدأ يقول لهم عما سيحدث ، وهو عالم ومتيقن مسبقاً أنهم لن يدركوا منه شيئاً — بحسب إنجيل لوقا — الذي يصمم على ذلك للمرة الثانية «وأما هم فلم يفهموا شيئاً من ذلك وكان هذا الأمر مخفياً عنهم ولم يعلموا ما قيل» .

إذن ، فما هي الفائدة أو ما هو قصد الرب من هذا الإلحاح الشديد على كشف كل ما سيحدث له ، وفي هذه المرة الأخيرة يبدأ يوضِّح بكل تدقيق كل أنواع العذاب والآلام التي يعانها ؟ الأمر واضح جداً ، فلم يعد متبقياً على هذه الحوادث جميعاً سوى أقل من أسبوع واحد ؛ إذن فيلزم أن يكون في سجل ذهن التلاميذ أقصى ما يمكن من دقائق الحوادث التي ستحدث ، حتى إذا حدثت لا تبدو لهم أنها جزافية ، ثم عندما يتذكرون ما سبق وقاله الرب لا يعثرون فيه كأنه وقع تحت سلطان رؤساء الكهنة والكتبة والأمم عن ضعف منه أو عن قوة وغلبة منهم ، بل يدركون أن المسيح إنما سار في الطريق الذي اختاره ورسمه بنفسه وخضع للحوادث التي سبق وحدد لنفسه أنه سيجوزها بسابق علمه ومحض إرادته .

ويلزم جداً للقارئ أن ينتبه لعمق ألفاظ الرب ، فهو حينما يقول «وابن الإنسان» ، يُسَلِّمُ ، «» ، فهنا يأتي هذا الفعل في صيغة المبني للمجهول ، حيث الفاعل الحقيقي الذي سيسلِّمه إلى رؤساء الكهنة والكتبة هو الله أبوه بنفسه ، هذا الأمر يكشفه بولس الرسول بكل وعي وفطنة «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله — سلِّمه — لأجلنا أجمعين» (رو ٨: ٣٢) . وكذلك يكشفه أيضاً بطرس الرسول «هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي أئمة صلبتموه وقتلتموه» (أع ٢: ٢٣) .

ثم مرة أخرى يكشف المسيح رؤيته الواضحة والدقيقة لما سيجري عليه عند رؤساء الكهنة والكتبة، فيصدرون عليه حكمهم الأول بالموت، وبعد ذلك يسلمونه للأمم.

ثم يدخل بعد ذلك في تفاصيل ما سيجري عليه قبل الموت — الذي يحدده في إنجيل متى بأنه سيتم بواسطة الصلب — ويبدأ الرب يعدد أنواع العقوبات التي سيتحملها وكأنها واجبات، عليه أن يؤديها قبل تكميل الموت على الصليب من هزء وجلد وتفل وشتم، وكان الرب يسردها دون جزع وكأنه يفتخر بها مسبقاً!!!

ولكن حدثت مفارقة خطيرة ومحزنة للغاية، فبينما يتقدم الرب التلاميذ صاعداً نحو أورشليم بهدوء فائق، وعلى وجهه مسحة العظمة السماوية، تفعمه روح الثقة من النصر الأكيدة «وفي اليوم الثالث يقوم»، إذا بتلاميذه — كما يخبرنا إنجيل مرقس — «يتحيرون، وفيما هم يتبعون كانوا يخافون». كانوا يتبعون حقاً، ولكن يتبعون في خوف، فلا ثقة ولا رؤية ولا إيمان!! وهذا هو الفارق الهائل، أن المسيح كان يرى أمامه كل شيء من مهانة وفضيحة وعار وصلب وتعذيب حتى غصة الموت. ولكن لأن هذه الرؤية كانت مطابقة لمشيئته تماماً، لذلك لم يجزع ولم يتحير بل تقدمهم واثقاً من إرادته.

هنا نود أن نلفت نظر القارئ إلى بعض الألفاظ التي تأتي في الإنجيل وكأنها غير ذات أهمية، أو على هامش التصريحات والحوادث الجسام، مع أنها تحمل في طياتها تصديقاً لما يرادها من أحداث، حتى لتكاد ترتفع إلى مستوى الحدث ذاته.

وسنضع مرة أخرى أمام القارئ هذين النصين ليستخرج منها بنفسه قوة البرهان الذي يحمله كل منهما:

الأول: بالنسبة للرب: «وكانوا في الطريق صاعدين إلى أورشليم ويتقدمهم يسوع!!».

الثاني: بالنسبة للتلاميذ: «وكانوا يتحيرون، وفيما هم يتبعون كانوا يخافون!!».

ثم ألا تحكي لنا الألفاظ الجانبية كيف كان المسيح يعيش في رؤيا كاملة وواضحة لدقائق الآلام وموته، جعلته ثابتاً قوياً في اختيار مسيرته، يحكي لتلاميذه بلا جزع عن كل ظروف المهانة والفضيحة والعار، بينما كان يتقدم إلى أورشليم ليلاقيها!!

الأساس الذي كانت تقوم عليه رؤية المسيح المسبقة لأنواع الآلام التي سيجوزها:

ثلاثة عناصر أساسية كانت هي الخلفية الحية التي يتحرك عليها المسيح في حياته، وخاصة في رؤيته لآلامه وموته وقيامته :

العنصر الأول : النبوات .

العنصر الثاني : الواقع الذي يتصادم معه يوماً بعد يوم .

العنصر الثالث : « كما علمني الآب » .

العنصر الأول : النبوات (وسنكتفي به هذه السنة) :

كان المسيح يعي تماماً أنه جاء ليكمل الناموس والأنبياء، هكذا أعلن صراحة في بدء خدمته حتى يؤكد امتداد وتكميل عمل الله وصدق الأنبياء « لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل » (مت ٥: ١٧) . كان هذا في بدء خدمته .

ثم يعود المسيح في نهاية خدمته، بل وبعد تكميل كل الأعمال التي جاء ليعملها ويحقق طاعته للآب حتى إلى الموت، موت الصليب؛ وبعد قيامته أيضاً عاد يكرر هذه الحقيقة الأساسية، وهي أنه جاء ليكمل الناموس وكتب الأنبياء، الذين ما كتبوا وما تنبأوا إلا عن آلامه وموته وقيامته منذ البدء هكذا: « فقال لها أيها الفبيان والبطيئنا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء، أما كان ينبغي (δεῖ) يتحتم) أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده؟ ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لها الأمور المختصة به في جميع الكتب » (لو ٢٤: ٢٥-٢٧) .

وفي موضع آخر، يشدد الرب مرة أخرى وأخيرة على مدى أهمية دراسة وفهم انطباق أعماله وأقواله على ما كتبه الأنبياء سابقاً، موضحاً أنه إنما كان يذكّرهم فيها مضى وهو معهم عن صحة أقوال الأنبياء عنه وأنه أتى ليكملها، وها هو الآن وبعد القيامة يعود ويذكر لهم ذلك بوضوح فائق: «وقال لهم هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في ناموس موسى والأنبياء والمزامير» (لو ٢٤: ٤٤).

والمدهش حقاً والذي يتحتم علينا أن ننتبه إليه ونعني في قلوبنا وحياتنا، أن هذه الإعلانات الغامضة التي جاءت في ناموس موسى، والرموز والتشبيهات والتلميحات التي جاءت في النبوات، والأوصاف التي جاءت في المزامير تحوي في نظر المسيح أعماقاً روحية هائلة، وهي كفيلة أن تكشف أسرار القداء التي أكملها المسيح وتزيدها وضوحاً ورؤية وقوة، لذلك وهب المسيح على الفور بعد قيامته التلاميذ قوة بصيرة روحية، أي فتح عيون عقولهم ليدركوا هذه الأعماق التي على أساسها يقوم الإنجيل كله.

و يقول القديس لوقا: «حينئذ فتح ذهنبهم ليفهموا المكتوب»، فقطوس موسى أو كلام الأنبياء أو تصريح المزامير لا يمكن من ذاتها أن تنضح الأسرار التي فيها، ولكن هذا يتأتى بقوة الروح القدس الذي عمله الأساسي فيما يخص العهد القديم بالنسبة لحياة المسيح هو «ذاك يجعدي لأنه يأخذ مما لي ويخبركم، كل ما للآب هو لي، لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم» (يو ١٦: ١٤ و ١٥).

والمسيح بعد قيامته يعطي صلاحية مطلقة للعهد القديم كشاهد لآلامه وموته وقيامته، ثم يعود وينبه التلاميذ أن انطباق ما جازه وما أكمله من آلام وموت وقيامه بحسب أقوال الكتب والأنبياء تماماً، التي سبق ونبّههم عنها بكثرة وتأكيد، هو في الحقيقة شهادة عظمى مجد ذاتها عن صدق الأنبياء وصدق المسيح معاً بأن واحد، مما يعطينا رؤية منيرة وفائقة لعظمة التاريخ القديم وقيمته الفائقة في قبول حوادث الآلام والصليب والقيامة كقمة التاريخ ونهاية قصد الدهور «وقال لهم هكذا هو مكتوب،

وهكذا كان ينبغي (δει) يتحتم أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات في اليوم الثالث وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم» (لوقا ٢٤: ٤٦، ٤٧).

وليكن في علم القارئ أن هذه الحقيقة — كما أوضحناها الآن — فيما يختص بقميصة الأسفار المقدسة من ناموس موسى والأنبياء والمزامير لتوضيح وإثبات وفهم أعماق عملية الفداء التي أكملها المسيح بالآلام والموت والقيامة، تدخل في صميم تقليد الكنيسة كمركز أساسي ومتين لكل علم ولكل فهم ولكل شرح فيما يختص بالعهد الجديد، بل لا تغالي إذا قلنا أن هذا التقليد عينه — أي قيمة الأسفار في تعمق الأسرار — هو المنطلق الأول أو هوبداية الطريق والمفتاح المؤدي لكل معرفة صادقة وسليمة للعهد الجديد كله.

وهذا المبدأ اللاهوتي المختص بأساس الإيمان، نقرأه واضحاً جداً في بولس الرسول: «وأعترفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به... إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثاً — فإنني سلّمت إليكم في الأول، ما قبلته أنا أيضاً، أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دُفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب» (١ كور ١٥: ١-٤)، حيث «الكتب» هنا هي أسفار العهد القديم، لأن الإنجيل لم يكن قد كُتب منه ولا صفحة واحدة بعد!!

كما نقرأه واضحاً أيضاً في كلام بطرس الرسول: «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح وبمجده بل قد كنا معانين عظمتة... وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم إلى أن يتفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم» (٢ بط ١: ١٦-١٩).

وبفاعلية استنارة الذهن التي وهبها المسيح بعد قيامته مباشرة لتلاميذه لفهم الفداء والخلاص الذي تم، بفهم كتب الأنبياء «وفتح ذهنهم ليفهموا الكتب»، بدأ التلاميذ يسترجعون جميع الحوادث الأخرى التي تمت على يد المسيح، وجميع ما تم له من آلام

وموت على ضوء الكتب. ونستطيع أن نقدم عشرات الأمثلة القوية التي تمسك بها التلاميذ من النبوات للتأكيد على صدق وصحة كل ما تم للمسيح باعتبارها قولاً فصلاً لا عاجة فيه. ولكن نكتفي ببعض الإشارات الأولى التي بدأت بها الكنيسة في هذا المضمار.

وأول إشارة إلى ذلك جاءت في سفر الأعمال هكذا:

— «وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ، وكان عدة أساء معاً نحو مئة وعشرين. فقال أيها الرجال الإخوة كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب، الذي سبق الروح القدس فقال بهم داود عن يهوذا... لأنه مكتوب في سفر المزامير «لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر» (أع ١: ١٥-٢٠).

— «أيها الرجال اليهود... ليكن هذا معلوماً عندكم واصنفوا إلى كلامي... هذا ما قيل بيوثيل النبي...» (أع ١٤: ١٦-١٧).

— «أيها الرجال الإسرائيليون... هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدي أئمة صلبتموه وقتلتموه الذي أقامه الله... لأن داود يقول فيه...» (أع ٢: ٢٢-٢٥).

— «فإذ كان (داود) نبياً وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه لم تترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فساداً» (أع ٢: ٣٠-٣١).

— «والآن أيها الإخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم أيضاً وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح قد تممه هكذا» (أع ١٧: ١٨).

— «الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة ردّ كل شيء التي تكلم عنها الله بهم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر، فإن موسى قال... وجميع الأنبياء من صموئيل فما بعده جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام» (أع ٣: ٢١-٢٦).

— « فلما سمعوا (أي التلاميذ) رفعوا بنفس واحدة صوتاً إلى الله وقالوا أيها السيد... القائل بفهم داود فتاك لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه، لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته هيرودس وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل ليفعلوا كل ما سبقت فعّيتت يذك ومشورتك أن يكون » (أع ٤: ٢٤-٢٨).

— « بإقاسة الرقاب وغير المحتوين بالقلوب والآذان أنتم دائماً تقاومون الروح القدس كما كان آباؤكم كذلك أنتم، أي الأنبياء لم يضطهده آباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار الذي أنتم صرتم مسلميه وقتليه » (أع ٧: ٥١ و٥٢).

والمكان هنا لا يتسع لكي نورد كافة الإستهادات التي أوردها أصحاب الرسائل، وخاصة رسالة العبرانيين، التي تُعتبر برمتها قائمة ومؤسسة بصورة منهجية مدروسة على ناموس موسى والأنبياء والمزامير، بحيث يمكن احتسابها أول شرح لاهوتي متكامل للفداء على أساس التطبيق المباشر على الأسفار.

وهكذا إذ نستشعر هذه القوة الفائقة في بداية قيام الكنيسة والتي صاحبت رؤية الرسل والتلاميذ الواضحة للنبوات في التفسير لكل ما حدث وتم للمسيح، ندرك يقيناً أن هذه الموهبة التي سلّمها الرب لتلاميذه كانت على أقصى ما يكون من الأهمية، لأنه على أساس هذا التفسير والشرح الذي قدّمه التلاميذ لكل حوادث الآلام والرفض والصلب والقتل والدفن والقيامة، قام الإنجيل!! وبالذات إنجيل القديس متى بالدرجة الأولى.

ولكن يهنا الآن أن نعود إلى الوراثة إلى المسيح نفسه ونستشف من كل هذا الذي سردناه أمام القارئ إلى أي مدى كان المسيح نفسه مدركاً لهذه النبوات التي جاء ليكملها، بل وإلى أي مدى كان صفاء الرؤيا أمامه في تحديد جميع الحوادث والآلام والموت في زمانها وموضعها بكل دقة!!

فيذا كان المسيح قد أبدى هذا الإهتمام، بل هذه الضرورة الحتمية في إدراك

دقائق النبوت وكل ما جاء في الأسفار عن آلامه وموته بالنسبة للتلاميذ، فإذا كانت رؤيته هولهذه النبوت ؟ بل ومدى الأهمية والجدية التي كان ينظرها إلى كل ما سبق وكتب عنه ؟

ليس من الضروري أن نورد أمثلة لإستشهاد المسيح بالنبوت، ومع أن إنجيل متى الرسول مليء بمثل هذه الإستشهادات، ولكن من الصعب جداً أن نفصل بين الخط الفكري العام للمسيح عن أقوال النبوت بصفة عامة في الإنجيل كله، لأن تأثير النبوت في أقوال المسيح وأعماله لا ينحصر قط في الإستشهاد بها، بل هي في الحقيقة تشمل كل الأقوال وتغطي مساحة الإنجيل كله منذ الميلاد حتى الصليب والقيامة.

فبالرغم من أنه لم يعلن ولا سُمع لأحد من تلاميذه أن يعلن صراحة أنه هو المسيا، ولكن كان حديثه وكان تصرفه كله ينطق ويؤكد علناً أنه هو المسيا !!

فإن كان المسيح قد أدرك ووعى أنه هو هو المسيا الآتى، فإذا ننتظر بعد ذلك من أقواله وأعماله، إلا أن تكون شاملة شمولاً كلياً لكل خصائص المسيا ورسالته وأعماله وآلامه وموته وقيامته، كما جاءت في جميع الأسفار المقدسة من موسى والأنبياء والمزامير، وإنما في رزانة الحق الإلهي وفي سر الإنجيل !!

فالدارس المدقق لحياة المسيح وأقواله لا يمكن أن يلاحظ أن المسيح كان يقوم بدور ما أو كان يكلف نفسه بأن يأتى بأعمال مجرد أنها كتبت عنه أو قيلت عليه في الأنبياء. وهذا يتضح تماماً من أن التلاميذ لم يلحظوا قط أن منهجه العام كان هو بذاته منهج المسيا الآتى. فكم مرة سأله تلاميذه والجموع التي كانت تتبعه وهي متحيرة، أن أعماله وكلامه لا ينطبقان قط على ما عرفوه عن المسيا الآتى: «نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد فكيف تقول أنت إنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان ؟ من هو هذا ابن الإنسان ؟» (يو ١٢: ٣٤).

— «ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به» (يو ١٢: ٣٧).

— «قال له يسوع أنا معكم زماناً هنه مدته ولم تعرفني يا فيلبس» ؟ (يو ١٤: ٩).

— «فقال قوم من تلاميذه بعضهم لبعض ما هو هذا الذي يقوله لنا: بعد قليل لا تبصروني ثم بعد قليل أيضاً تروني، ولأني ذاهب إلى الآب، فقالوا ما هو هذا القليل الذي يقول عنه لسنا نعلم بماذا يتكلم» (يو: ١٦: ١٧-١٨).

كل هذا يكشف لنا أن منهج المسيح النبوي الذي كان يؤديه بكل دقة حسب كافة النبوات لم يكن قط في متناول التلاميذ ولا الأخصاء من الذين كانوا يتبعونه، لأن المسيح لم يكن يطبق حرفية الناموس أو حرفية النبوات، ولكن كان يتم أولاً وقبل كل شيء مشيئة الآب التي هي روح النبوة، والتي لم يكن حتى الأنبياء أنفسهم على دراية كاملة بها، وهم ينطقونها ويسجلونها للتاريخ.

ولكن في مواقف كثيرة خرج المسيح عن تحفظه الشديد هذا، فوبّخ وأنبأ وأخذ، معلناً أن كل ما يقوله ويعمله مكتوب، وكان ينبغي على الجميع أن يدركوه فهو مسجل في الناموس ومُعلن في الأنبياء والمزامير:

— «قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا؟» (مت ٢١: ٤٢).

— «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية. وهي التي تشهد لي» (يو: ٣٩: ٣٩).

— «لا تظنوا أنني أشكوكم إلى الآب. يوجد الذي يشكوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوني لأنه هو كتب عني» (يو: ٤٥: ٤٦).

— «فسأله رئيس الكهنة أيضاً وقال له، أنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع أنا هو» (مر ١٤: ٦١، ٦٢).

— «أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع أنت قلت» (مت ٢٦: ٦٣، ٦٤).

ويلاحظ أن القديس متى وضع الإجابة غير مباشرة «أنت قلت»، لأن رئيس

الكهنة قال: «استحلفك بالله الحي»، وهذا غير مقبول ولا جائز من وجهة نظر المسيح، لأنه معلوم أن المسيح قال: «لا تحلفوا البتة» (مت ٥: ٣٤)، ولكن القديس مرقس الرسول، لكونه يكتب للأهم، وضعها في صيغتها الإيجابية — متحاشياً القسم — فجاء جواب المسيح إيجابياً بلا حرج.

وهنا يلزمنا أن ننبه ذهن القارئ أن إعلان الرب يسوع المسيح عن نفسه صريحاً وعلناً هنا أنه هو المسيح ابن الله الحي، لم ينفع رئيس الكهنة بشيء، بل على النقيض أخذه بيئة وبرهاناً ضد المسيح أنه يُجَدَّف على الله!!

وهكذا يتضح أن معرفة الحق إذا لم تسندها رغبة في الإيمان بالحق تكون ضد الإنسان، وتخفي عنه وجه الله.

من أجل هذا أحجم المسيح طول حياته عن أن يعلن صراحة عن شخصه إلا للذين أرادوا أن يؤمنوا به.

ولكن السؤال الذي يضعنا في مركز الموضوع مباشرة هو: إن كان المسيح هكذا يدرك تماماً و يقيناً عن نفسه كما أعلن أنه هو هو المسيح ابن الله الحي، وأنه جاء ليتمم مشورة الآب، إذن أصبح قوله «فتشوا الكتب... فهي تشهد لي» أمراً في غاية الأهمية والخطورة، بل والذي ننتظره عن يقين هو أن كل ما قاله وعمله وكل ما حدث له في آلامه وموته إنما هو تكميل حقيقي لكل ما جاء في الناموس والأنبياء والمزامير. وعلينا لو انفتحت بصيرتنا أن نتحسس أن وراء كل حَدِّث في العهد الجديد نبوة تشير إليه وتسند من العهد القديم. وفي الحقيقة كان هذا هو شغل التلاميذ الأول وشغفهم الأعظم في بداية الكرازة، إذ توفروا على دراسة الناموس والأنبياء والمزامير باجتهاد وبانفتاح بصيرة لإدراك ما فيها من شهادة للمسيح «هي تشهد لي». وأظن هذا ينكشف لنا بوضوح في حياة بولس الرسول، إذ أنه في فترة حياته الأولى بعد التجديد والعماد، انطلق وحيداً يدرس و يطبق ويستلهم من الأسفار (الرقوق) كل أسرار المسيح!! وكان المسيح نفسه على ميعاد دائم معه، حتى صارت «درايته بسر المسيح»

(أف ٣: ٤) شيئاً يشهد له الروح القدس علانية .

كيف كان المسيح يشير علانية بأعماله إلى النبوات في حوادث آلامه وصلبه :

يمكننا لو دققنا أن نفرد كل حوادث الآلام والصلب على ما جاء في نهاية سفر إشعيا وبعض المزامير، مما يؤكد لنا أن المسيح كان يرى نفسه في هذين السفرين، وكأنما كان يسير بأقدامه الدامية على تلك الآيات آية بعد آية!! ولم يكن صعباً قط على البشير كاتب الإنجيل أن يرى تلك الآيات و يلتقطها بوحى الروح القدس و يضعها في موضعها بإحكام يفوق ذهن البشري .

١ — « فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه، فعلم يسوع (علم أنهم يترصدون به لقتله)، فانصرف من هناك وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعاً، وأوصاهم أن لا يُظهروه»!! (مت ١٢: ١٤-١٦).

يلاحظ هنا أن المسيح لما علم أن الفريسيين مترصدون به لقتله، لم يأخذ إجراءً ضدهم، فلا هو خاصمهم ولا اشتكى ضدهم ولا رفع صوته عليهم، كل ما عمله أنه انصرف في الشوارع من أمام وجههم!!، ومن يدري ربما كان من بينهم نفس منسحقة قريبة من الإيمان، أو فريسي لا يزال في ضميره ولو دخان يسير من مصباح الشريعة!! ثم بعد هذا الرفض كله أليس له خراف أخر من حظائر أخرى؟ (يو ١٠: ١٦).

هنا يبرز أماننا المسيح في شخصية إنسان إشعيا النبي — العبد المتألم — المرفوض الصامت بكل وضوح، مما جعل القديس متى ينطق بقوة مكتملاً: « لكي يتم ما قيل بإشعيا النبي القائل هوذا فتاي (عبيدي) الذي اخترته، حبيبي الذي سُرْتُ به نفسي، أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق، لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته، قصبة مرضوضة لا يقصف. وفتيلة مدخنة لا يطفىء، حتى يخرج الحق إلى النصررة وعلى اسمه يكون رجاء الأمم» (مت ١٢: ١٧-٢١)، (إش ٤٢: ١-٤) (النسخة العبرية).

٢ — «كلكم تشكّون فيّ في هذه الليلة» (مت ٢٦: ٣١).

— «الحق الحق أقول لك لا يصبح الديك حتى تنكرني ثلاث مرات» (يو ١٣: ٣٨).
— «هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته، وتتركوني وحدي، وأنا لست وحدي لأن الآب معي» (يو ١٦: ٣٢).
— «فذاك لمّا أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً، فلما خرج قال يسوع: الآن تمجّد ابنُ الإنسان وتمجد الله فيه، إن كان الله قد تمجّد فيه فإن الله سيمجده في ذاته ويُمجّده سريعاً» (يو ١٣: ٣٠-٣٢).

وهكذا يكتشف المسيح بل يكشف لنا نهاية تبعه وعمله هذه السنين كلها، كيف تنتهي بالخيانة فتُحترق حياته لدى بني البشر، ولكن تتكرم في عين الله.

لم يهتم القديس يوحنا أن يعطينا الشاهد من سفر إشعياء، ولكن الكلام نفسه يصوّر لنا إنسان إشعياء — العبد المتألم — وقد صار أله وظلمه مجداً لله: «وقال لي أنت عبدي إسرائيل الذي به أتمجد، أما أنا فقلت عبثاً تعبّت باطلاً» — (كلكم تشكّون فيّ في هذه الليلة وتتركوني وحدي، هوذا يد الذي يسلمني معي في الصفحة) — وفارغاً أفنيت قدرتي، لكن حقي عند الرب وعملي عند إلهي» (إش ٤٩: ٤، ٣).

— «والآن قال الرب جابلي من البطن عبداً له لإرجاع يعقوب إليه، فينضم إليه إسرائيل فأتجد في عيني الرب وإلهي يصير قوّتي، فقال، قليل أن تكون لي عبداً!! لإقامة أسباط يعقوب ورد محفّوظي إسرائيل. فقد جعلتك نوراً للأمم، لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض. هكذا قال الرب فادي إسرائيل وقدوسه للمهان النفس لمكرهه الأمة لعبد المتسلطين!!» (إش ٤٩: ٥-٧).

٣ — «فابتدأ قوم يصبقون عليه، ويفطون وجهه ويلكمونه ويقولون له تنبأ، وكان الخدام يلطمونه» (مر ١٤: ٦٥).

— «حينئذ بصقوا في وجهه ولكوه وآخرون لطموه قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من

ضربك» (مت ٢٦: ٦٧).

— «فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجميع ما يرضيهم أطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعدما جلدته ليُصلَّب» (مر ١٥: ١٥).

— «ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفاً» (يو ١٨: ٢٢).

— «حينئذ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليُصلَّب» (مت ٢٧: ٢٦).

كل هذا المشهد جازه المسيح راضياً، فوَقَّع ببصمات قدميه خطوة خطوة على ما جاء في إشعياء النبي عن وصفه لما سيلقاه العبد المتألم:

— «بذلت ظهري للضاربين، وخدَّيَّ للناتقين. وجهي لم أستر عن العار والبصق. والسيد الرب يعنيني لذلك لا أخجل، جعلتُ وجهي كالصوان، وعرفت أنني لا أخزي» (إش ٥٠: ٦، ٧).

وهذه الصورة بدقائقها المؤلمة والدائمة التي حدثت قبل الصليب، كانت تملأ رؤية المسيح وهو صاعد إلى أورشليم، ولم يخفِ هذه الصورة عن تلاميذه، لأنه لم يكن يخزي، لأنها كانت رسالته التي وجد فيها مسرته.

والآن فلنلاحظ القارئ أن دقائق هذه الصورة وردت على ثلاث مراحل يستحيل على أي عبقرى أن يكون قد ألفها أو أخرج فصولها هكذا. فإشعياء يصف العبد المتألم، والآلام الممجَّدة، والذي يخاطبه الله في الآله «أنت عبدي الذي به أتمجد». ثم يأتي المسيح ويصف آلامه المزمعة، ليس في موضع واحد كقصة ولكن على مدى ثلاث سنوات، ويحدّد أنواع الآلام بعينها كما وصفها إشعياء، وفي مدخل الآله يخاطب الله علانية في صورة الغائب «الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه» (يو ١٣: ٣١). ثم في المشهد الثالث يدخل المسيح هذه الآلام عينها كما سبق وحددها إشعياء، وكما سبق ووصفها هو متنبئاً بها عن نفسه.

٤ — ولكي يظهر المسيح أن الآلام التي سيجوزها آلام فداية، وتخرج عن مفهوم

العقوبة الشخصية، يسبق المسيح و يتحدى مقاوميه: «مَن مِنْكُمْ يَكْتَنِي عَلَى خَطِيئَةٍ!!» (يو ٨: ٤٦)، ورؤياه متركزة فيما قاله عنه الأنبياء.

إذ نسمع هذا عينه في إشعياء النبي: «قريب هو الذي يبررني. من يخاصمني. لتتوقف، من هو صاحب دعوى معي. ليتقدم إليّ» (إش ٥٠: ٨)، «على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش» (إش ٥٣: ٩).

وهذا النص يلتقطه بطرس الرسول بالروح ليؤكد، ليس النبوة في حد ذاتها فقط، ولكن برافقها تأكيد صدق رؤية المسيح لذاته كما أعلن عنها وكما أشارت إليها النبوة معاً: «لأنكم لهذا دُعِيتُمْ، فإن المسيح أيضاً تألَّم لأجلنا تاركاً لنا مثلاً لكي تتبعوا خطواته. الذي لم يفعل خطية (من منكم يكتني على خطية واحدة فعلتها) ولا وُجد في فمه مكر (إشعياء)» (١ بط ٢: ٢١، ٢٢).

هـ — أما الشيطان العاقي الحية القديمة الذي بدا وكأنه جبار وغالب على الصليب، فإن المسيح يسبق ويكشف مبكراً كيف سيربطه على الصليب ويسلب مسيبيته غنيمة لنفسه ويخرج منصوراً ومنتصراً.

— «ولكن إن كنت أنا بروج الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله، أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوي وينهب أمتعته إن لم يربط القوي أولاً. وحينئذ ينهب بيته» (مت ١٢: ٢٨، ٢٩).

و يروها القديس لوقا بصورة أوضح: «حينما يحفظ القوي داره متسلحاً تكون أمواله في أمان، ولكن متى جاء من هو أقوى منه، فإنه يغلبه ويتزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويزع غناؤه» (لوقا ١١: ٢١، ٢٢).

لذلك فالمسيح كان يعلم تماماً أن ساعة الصليب هي ساعة سلطان الظلمة، ولكنه إذ كان يرى نفسه، منصوراً ومنتصراً لم يجزع منها مسبقاً، بل قال: «لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة» (يو ١٢: ٢٧).

أتى إلى هذه الساعة وهو عالم بأنه مدعو ليربط القوي ويفك أسراه، وينطلق بمسيحيي الجحيم إلى السماء.

كانت نبوة إشعياء ماثلة أمامه والمزامير تشير إلى خطواته، فكانت معركة الصليب مرسومة أمامه بحسب نتائجها، فلم يجزع من أهوالها.

«هل تُسَلَّب من الجبار غنيمة، وهل يفلت سيي المنصور، فإنه هكذا قال الرب: حتى سيي الجبار يُسَلَّب وغنيمة العاقى تفلت. وأنا أخاصم مخاصمك، وأخلص أولادك» (إش ٤٩: ٢٤، ٢٥).

— «هوذا عبدي ينجح، ويتعالى، ويرتقي، ويتسامى جداً» (إش ٥٢: ١٣).

— «صعدت إلى العلاء، سبيت سبياً، قبلت عطايا بين الناس» (مز ٦٨: ١٨).

وهذا المنظر المهيب عاد فصوره لنا بولس الرسول بالإلهام، وعلى نفس النظم مستوحياً من إشعياء والمزامير وما حدث على الصليب بالروح، وصفاً رائعاً لمعركة الصليب هكذا:

— «محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضدنا (سلاح القوي) وقد رفعه من الوسط مسجوراً إياه بالصليب (كسر سلاحهم وأحرق أتراسهم بالنار — مز ٤٦: ٩). إذ جرّد الرياسات والسلطين (ربط القوي) أشهرهم جهازاً ظافراً بهم (يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه — لوقا) فيه (أي في الصليب) ...» (كو ٢: ١٤، ١٥).

ويعود بولس الرسول أيضاً في موضع آخر يصف كيف خرج المسيح بالمسيبين من الجحيم إلى العلاء محمّلين بعطايا المجد: «إذ صعد إلى العلاء سيي سبياً وأعطى الناس عطايا، وأما أنه صعد فما هو إلا إنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى (الجحيم)» (أف ٤: ٧-٩).

ويعود بولس الرسول أيضاً متخذاً نفس رؤية المسيح وخط المسيح في الربط بين

نبوة إشعياء من جهة العبد المتألم وتحقيقها في شخصه، من جهة أن المسيح كما أطلع كعبد ونزل إلى الأرض ثم إلى الجحيم بواسطة الصليب هكذا رَفَّعه الله إلى العلاء كرب. «وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رَفَّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجبوا باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (الجحيم)» (في ٢: ٧-١٠).

و يلاحظ القارئ شدة تلميح بولس الرسول إلى «العبد المتألم» الواردة في إشعياء النبي، بقوله: «أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً (بإرادته) في شبه الناس وإذ وُجد في الهيئة كإنسان...» (في ٢: ٧، ٨).

فالقديس بولس الرسول يجمع في شرحه هنا بين نبوة إشعياء وتعليم المسيح عن نفسه بكل علانية ووضوح، ثم ما تمَّ على الصليب وما بعد الصليب، من جهة حصوله على المجد بعدما تألم باختياره كعبد، وصعوده إلى السماء بسبب نزوله منها باختياره، وقيامته من تراب الأرض بسبب نزوله وسقوطه تحته باختياره، وفك سبي الجحيم بعد أن ظفر بسلطان الموت على الصليب.

٦ — ولم يكن رفض رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين لكل تعليمه ولموته الفدائي أمراً يستغربه المسيح، بل أعلنه مسبقاً مطبّقاً على نفسه رؤية إشعياء النبي عن العبد المرفوض: «وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم ويُردل». (مر ٩: ١٢).
والمسيح هنا يشير إلى نبوة إشعياء التي تقول عن العبد المرفوض:

— «مُحتَقَر ومُخذول من الناس، رجل أوجاع ومُختبر الحزن، انْحَجَب وجهه عنا مُتَحَنِّق فلم نعتد به» (إش ٥٣: ٣).

كانت هذه رؤية المسيح عن نفسه، ولكنه كان يسترجعها بألفاظها من إشعياء النبي بين الحين والحين. والذي يسترعي إنتباهنا هنا جداً أن ما يسميه إشعياء: «هوذا عبدي» ثم «رجل أوجاع»، يوافق عليه المسيح أنه هو هو، ويُعبّر عن ذلك باللقب الذي اختاره هو مرادفاً لذلك «ابن الإنسان».

ويلاحظ القارىء أن ما عمله المستهزئون بالمسيح قبل الصليب «فابتدأ قوم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويلكونه» (مر ١٤: ٦٥)، يصفه إشعيا بنوع من الغموض في قوله: «كمسّر الوجه عتاً» أي «مُغطّى أو منحجب» — حسب الترجمة الصحيحة.

ثم قول إشعيا: «محتقر فلم نعتد به» تّممه الصالبون إذ كانوا يضربونه على رأسه بالقصبة ويلكونه وجهه وهو مغطى: «وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة (صولجان الملك) ويبصقون عليه ثم يسجدون له جاثين على ركبهم. وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه...» (مر ١٥: ١٩، ٢٠).

ولا يحسب القارىء أن كل هذه النبوات رُكّبت على الحوادث بعد كما لها كما يقول قليلو الإيمان، لأننا سبق أن نبّهنا ونكرر أن المسيح على مدى ثلاث سنوات سبق فأعلن في مواضع عديدة عن أنواع الآلام والعار والردّل الذي سيعانيه كمن يسرد قصة الصليب بعينين مفتوحتين. ولم يكن سفر إشعيا فقط ماثلاً أمامه بل والمزامير التي أحبّها وأشار مراراً إليها بقوله: «داود قال بالروح».

وفي مزمور ٢٢ نجد أن موضوع الإحتقار الشديد الذي سيلقاه من شعبه وأمتة، والإستهزاء والردّل والعار، كله كان ماثلاً في ذهن المسيح جنباً إلى جنب مع أقوال إشعيا عنه: «أما أنا فدودة لا إنسان (في نظر القاتلين) عار عند البشر، ومحتقر الشعب، كل الذين يروني يستهزئون بي» (مز ٢٢: ٦).

٧ — ولكن لم يفت على البشيرين وعلى بطرس الرسول توضيح خلاصنا الذي تم بواسطة سر المفارقة العظمى بين رفض الكهنة والشعب للمسيح مع احتقاره والإستهزاء به إلى درجة البصق في الوجه والضرب على الرأس واللكم في الوجه، باعتبار أنهم حسبه مُصاباً ومضروباً من الله ومذلولاً، وبين قبول المسيح لهذا الإستهزاء عنه بكل رضى وسرور، باعتباره راغباً في حمل عازنا وخطايانا في جسده.

فالقديس متى يقول: «لكي يتم ما قيل بإشعيا النبي القائل. هو أخذ أسقامنا،

وحمل أمراضنا» (مت ٨: ١٧).

أما القديس بطرس فيقول: «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا فتحيا للبر، الذي بجلدته شفيتم» (١ بط ٢: ٢٤).

ولكن لا يظن أحد أن كلاً من البشير متى والرسول بطرس يعتمد على النبوة وحسب في شرحها لحمل المسيح لخطايانا، على الخشبة، كما جاءت في إشعياء: «لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها، ونحن حسبنه مصاباً مضروباً من الله ومذلواً، وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه، وبخبرته (بجلدته) شفيتم» (إش ٥٣: ٤، ٥)، بل إنها رؤية المسيح نفسه لما سيحل على جسده تمهيداً لموته. ولكي يتضح أمامنا سر صفاء رؤية المسيح لدى الرفض والإستزاء والضرب الذي سيتحملة في جسده والذي سيعانيه تمهيداً لموته فدية عن كثيرين، لاحظ ما أوضحه بكل جلال وعظمة في سر العشاء الأخير: «هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم... من أجل كثيرين» (لو ٢٢: ١٩، مت ٢٦: ٢٨).

٨ — كذلك فقد كانت رؤية المسيح واضحة قبل أن تأتي لحظة المأجورين من جهة رؤساء الكهنة والجند، وهم حاملون السيوف والعصي وكأنهم يطاردون سارقاً أو لصاً. فقبل أن تحمل هذه الساعة قال لتلاميذه: «لأنني أقول لكم إنه ينبغي أن يتم فيّ أيضاً هذا المكتوب وأُحصي مع أئمة، لأن ما هو من جهتي له انقضاء (أي أنه فرط في نفسه للموت كنهاية)» (لو ٢٢: ٣٧). لقد كانت نظرة المسيح متركزة على نبوة إشعياء عنه: «إنه سكب للموت نفسه (قدّم نفسه كذبيحة يُسفك دمها) وأُحصي مع أئمة» (إش ٥٣: ١٢).

ويلاحظ القارئ تصميم المسيح لقبول كل ما سبق الوحي وأنبأ به عن ظروف موته، معتبراً ذلك داخلاً في صميم الطاعة لله: «ينبغي» δέῃ أن يتم فيّ أيضاً هذا المكتوب...». فالمسيح كان يرى نفسه في النبوات بوضوح وشمول، وكان في سيره نحو الموت يستنفذ هذه النبوات، أو بالحري تستنفذ فيه هذه النبوات كيائها وسرها

الأبدي. أما أثناء المحاكمة وهو يرى ويسمع شهادات الزور والإتهامات الباطلة وأخيراً الحكم المغشوش الظالم، بل وضرب عبد رئيس الكهنة له، لم يكن شعور المسيح إزاء هذا المشهد إلا شعور الحمل الوديع أمام الذي يذبحه. كان هذا الشعور طاعياً على فكر المسيح وقلبه. ألم يكن هذا مرسوماً عنه من قبل إنشاء العالم؟، بل منذ أن ذبح أول خروف في مصر؟ «ومصر حيث ضُلب ربنا أيضاً» (رؤ ١١: ٨)، بل وعلى فم إشعياء وقلمه: «ظلمَ أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تُساق إلى الذبح، وكنعجة صامته أمام جازئها فلم يفتح فاه» (إش ٥٣: ٧). أليست هذه هي صورته التي كانت مرسومة أيضاً في ذهن يوحنا المعمدان حينما رآه على نهر الأردن: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم»؟ (يو ١: ٢٩).

لذلك فإن منظر المسيح وهو مُقَيَّد اليدين ومُساق للمحاكمة بل للذبح، كان مركز رؤى الأنبياء الذين سبقوا وتنبأوا منذ الدهر، وجاء الرسل وتحققوا بإرشاد الروح القدس من النبوة والواقع معاً. وأول من اكتشف هذا التطابق بين النبوة والواقع هو فيلبس: «وطلب إلى فيلبس أن يصعد ويجلس معه (الحبشي الخصي وزير كنداكة)، وأما فصل الكتاب الذي كان يقرأه (في إشعياء النبي بإلهام الروح) فكان هذا. مثل شاةٍ سيق إلى الذبح ومثل خروف صامت أمام الذي يجزه، هكذا لم يفتح فاه. في تواضعه انتزع قضاؤه (خسر القضية بسبب تواضعه وعدم دفاعه عن نفسه)... ففتح فيلبس فاه وابتدأ من هذا الكتاب فبشره يسوع» (أع ٨: ٢٦-٣٥).

ولكن يستطرد بعد ذلك بطرس الرسول، ويضم إلى هذا المشهد تعبيراً واقعياً من عنده في نفس الموضوع، غاية في القوة، عما جرى أثناء المحاكمة:

— «الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً، وإذ تألم (ضربة عبد رئيس الكهنة وضرب الرأس والسياط) لم يكن يهدد، بل كان يُسلم لمن يقضي بعدل» (١ بط ٢: ٢٣)، هذا تصوير رائع لواقع منظر المحاكمة وهو بعينه إلهام الروح بالروح بالروح سابقاً «ظلمَ أما هو فتذلل»!!

٩ - على الصليب :

مضمون الصليب كذبيحة فداء،

وبذل النفس عن كثيرين (عن الجميع):

المسيح سبق ورأى ذبيحة نفسه وتحدث عنها علانية، لا فيما يخص عمدية الصلب فقط بل ومضمونها ومفهومها.

«لأن ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليُخدم بل ليُخدم وليبذل نفسه، فدية عن كثيرين» (مر ١٠: ٤٥).

هذه الرؤيا الصافية لنفسه وجسده وهو مذبح على الصليب فدية عن كثيرين كانت على أوجها ليلة العشاء كما سنرى في بحثنا القادم «وقال لهم هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين» (مر ١٤: ٢٤)، «هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم» (لو ٢٢: ١٩).

ونحن نستطيع أن نلمح رؤية الرب يسوع وهي مسلطة على شخصيته المذبوحة سابقاً قبل إنشاء العالم بالمعرفة السابقة وبالإرادة الحاضرة والتي كشفها إشعاء في شخصية العبد المتألم الآتي: «جعل نفسه ذبيحة إثم... ليبرر كثيرين وأثامهم هو يحملها» (إش ٥٣: ١٠، ١١)، «هكذا ينضح (دمه على) أئماً كثيرين» (إش ٥٢: ١٥).

وكان سهلاً على المسيح أن يمد ذراعيه لصالحيه على خشبة الصليب دون تحمل أو ضيق، لأن صورة العبد المتألم الممدود الذراعين لخلاص كل الشعوب في سفر إشعاء كانت واردة في ذهن المسيح دائماً، ولأنه يعلم أن على امتداد ذراعيه سيثبت بره وحقه ليكون نوراً للأمم والعالم كله، وسيتسجل قضاء المسيح لحساب خلاص كل الشعوب بموته على الصليب وهو بريء على مرأى من شعبه وبني أمته!!

— «انصتوا إليَّ يا شعبي، ويا أئقي اصغي إليَّ!! لأن شريعة من عندي تخرج وحي أثبتته نوراً للشعوب، قريب برِّي، قد برز خلاصي وذراعاي يقضيان

للعشوب . إياي ترجوا الجزائر وتنتظر ذراعي!!» (إش ٥١ : ٥٤) .

وليستبه القارئ لكلمة «سكب للموت نفسه» الواردة في إش ٥٣ : ١٢ . فكلمة سكب هنا هي لفظ طقسي ذبائحي ، فالمسيح ليس بالرؤيا المستقبلية كان يعيش كمن سيقدم نفسه ذبيحة عن العالم ، بل كان قد تهيأ منذ أن دخل إلى العالم ليقدّم جسده . لذلك عند دخوله إلى العالم يقول : « ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لي جسداً ، بحرقات وذبائح للخطية لم تسر ، ثم قلت هَذَا أَجِيء في درج الكتاب مكتوب عني لأفعل مشيئتكَ يا الله ... فهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة » (عب ١٠ : ٥-١٠ و ١٧) .

كذلك فالنبوة في إشعياء تصوره أنه «سكب» بصورة دائمة وكأنها فعل مقضي به ، لذلك جاء في صيغة الماضي ، وبولس الرسول يتعمق هذه الحقيقة ، أي سكب النفس للموت ، فيراها فعلاً قبل أن يتجسد أو بالبحري وهو متهيأ لهذا التجسد ، إذ يرى «سكب للموت نفسه» تبدأ منذ الإخلاء ، بل يرى في الإخلاء ذاته صورة من سكب النفس توصلها حتماً إلى الموت : « لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد ... وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب » (في ٢ : ٨ و ٧) .

هذا كله يوضح لنا رؤية المسيح الصافية من جهة ذبيحة الصليب ، وماذا كان يعمل في أعماق نفسه منذ أن حلّ في الجسد !!

و يستطرد بولس الرسول في كل من رسالة رومية والعبيرانيين ليكمل مسيرة النبوة بحسب أعماق المسيح .

فيقول في سفر العبرانيين : « هكذا المسيح أيضاً بعد ما قدّم مرة (سكب الذبيحة) لكي يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا (حمل) خطية للخلاص للذين ينتظرونه » (عب ٩ : ٢٨) . أما في سفر رومية فيكمل النبوة : « من هو الذي يدين ؟ المسيح هو الذي مات بل بالبحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا » (رو ٨ : ٣٤) .

ويستطرد في سفر العبرانيين: «فمن ثمَّ يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم» (عب ٧: ٢٥).

ثم يأتي يوحنا الرسول فيؤكد هذه النبوة «وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١ يوح ٢: ١، ٢).

وهكذا نرى أن هذه المبادئ اللاهوتية المحسوبة أنها أساس الإيمان المسيحي — من جهة حل خطايانا والشفاعة عند الله الآب — هي في الحقيقة امتداد للرؤيا الحية التي كان المسيح يراها في نفسه أولاً، والتي اكتملت بحسب مشورة الله في الكتب تماماً، فصارت حقيقة حيّة وفعالة تؤمن بها ونحيا بمقتضاها ونخلص بقوتها.

أما حوادث الصليب والكلمات التي فاه بها المسيح على الصليب فنجدها مستوحاة بوضوح من المزامير إذ لا يوجد سفر من الأسفار عايش المسيح في آلامه وأحزانه وكل المهانات التي أحاطت بصلبه مثل سفر المزامير، وكأن داود كان يرى مشهد الصليب لحظة بلحظة من وراء ألف سنة، وخاصة مزمور ٢٢، إذ كان الخلفية المنيرة التي عاشها المسيح على مدى ساعات الصليب.

مزمور ٢٢ :

وهو يحيط بحوادث الصليب جميعها :

النبوة: «أما أنا فدودة لا إنسان . عار عند البشر ومحتقر الشعب» (مز ٢٢: ٦).
الواقع: «وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم كثيراً ويُردل» (مر ٩: ١٢).

مزمور ٤١ :

النبوة: «رجل سلامتي الذي وثقت به . آكل خبزي رفع عليّ عقبه» (مز ٤١: ٩).

الواقع: «وفيا هم يأكلون قال الحق أقول لكم إن واحداً منكم يُسلمني، فحزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يارب، فأجاب وقال: الذي يغمس

يده معي في الصحيفة هويسلمني، إن ابن الإنسان ما مضى كما هو مكتوب عنه .
ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان . كان خيراً لذلك الرجل لو لم
يولد، فأجاب يهوذا مسلمه وقال هل أنا هوياسيدي . قال له أنت قلت «
(مت ٢٦: ٢١-٢٥) .

مزمور ٦٩ :

النبوة: «العار قد كسر قلبي فرضت . انتظرت رقة فلم تكن، ومعزين فلم أجد»
(مزمور ٦٩: ٢٠) .

الواقع: «ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً . فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم أن
تسهروا معي ساعة واحدة» (مت ٢٦: ٤٠) .

مزمور ٢٢ :

النبوة: «أحاطت بي ثيران كثيرة . أقوياء باشان اكتنفتني» (مزمور ٢٢: ١٢) .
الواقع: «وفيا هويتكلم إذا يهوذا أحد الإثني عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيف
وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب... في تلك الساعة قال يسوع للجموع
كأنه على لص خرجتم بسيف وعصي لتأخذوني...» (مت ٢٦: ٤٧، ٥٥) .

مزمور ٣١ :

النبوة: «الذين رأوني خارجاً هربوا عني» (مزمور ٣١: ١١) .
الواقع: وأما هذا كله فقد كان لكي تكمل كتب الأنبياء . حينئذ تركه التلاميذ
كلهم وهربوا» (مت ٢٦: ٥٦) .

مزمور ١١٨ :

النبوة: «وأوثقوا الذبيحة بربط إلى قرون المذبح» (مزمور ١١٨: ٢٧) .
الواقع: «فقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت . حينئذ تقدموا وألقوا الأيادي على
يسوع وأمسكوه... والذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى قيافا رئيس الكهنة حيث
اجتمع الكتبة والشيوخ» (مت ٢٦: ٥٠، ٥٧) .

مزمو ٢٢ :

النبوة: « فغفروا عليّ أفواههم كأسد مفترس مزجر » (مز ٢٢: ١٣)
الواقع: فقال الوالي وأي شر عمل، فكانوا يزدادون صرخاً قائلين ليُصلب »
(مت ٢٧: ٢٣).

« فناداهم أيضاً بيلاطس وهو يريد أن يطلق يسوع، فصرخوا قائلين اصلبه اصلبه، فقال لهم ثالثة فأَي شر عمل هذا، إني لم أجد فيه علّة للموت، فأنا أؤدبه وأطلقه. فكانوا يلجون بأصوات عظيمة طالبين أن يُصلب، فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة... » (لو ٢٣: ٢٠-٢٣).

النبوة: « كل الذين يروني يستهزئون بي » (مز ٢٢: ٧).
الواقع: « بعدما استهزأوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه »
(مر ١٥: ٢٠).

النبوة: « ثقبوا يدي ورجلي » (مز ٢٢: ١٦).
الواقع: « ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين واحداً عن يمينه والآخر عن يساره » (لو ٢٣: ٣٣).

النبوة: « أخصى كل عظامي. وهم ينظرون ويتفكرون فيّ » (مز ٢٢: ١٧).
الواقع: « وكان الشعب واقفين ينظرون. والرؤساء أيضاً معهم يسخرون به قائلين خلّص آخرين فليخلص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله » (لو ٢٣: ٣٥).

النبوة: « يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقتربون » (مز ٢٢: ١٨).
الواقع: « ثم إن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع، أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكري قسماً. وأخذوا القميص أيضاً. وكان القميص بغير خياطة منسوجاً كله من فوق، فقال بعضهم لبعض لا نشقه بل نفتقه عليه لمن يكون. ليتم الكتاب القائل اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قرعة. هذا فعله العسكر »
(يو ١٩: ٢٣، ٢٤).

النبوة: «يفغرون الشفاه وينغضون (يحركون) الرأس قائلين: اتكل على الرب فلينجح، لينقذه لأنه سُرَّبه» (مز ٢٢: ٧، ٨).

الواقع: «وكان المجتازون يُجَدِّفون عليه وهم يهزون رؤوسهم، قائلين ياناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلَّص نفسك. إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب، وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا: خلَّص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلَّصها. إن كان هو ملك إسرائيل فليُنزل الآن عن الصليب فنؤمن به، قد اتكل على الله فليُنقذه الآن إن أراد. لأنه قال أنا ابن الله» (مت ٢٧: ٣٩-٤٣).

النبوة: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مز ٢٢: ١).

الواقع: «صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً أَلَوِي أَلَوِي لَمَّا شَبَقْتَنِي. الذي تفسيره إلهي إلهي لماذا تركتني» (مر ١٥: ٣٤).

مزمور ٣٨:

النبوة: «أحبائي وأصحابي يقفون تجاه ضربتي. وأقاربي وقفوا بعيداً» (مز ٣٨: ١١).

الواقع: «وكان جميع معارفه ونساء كُنَّ قد تَبَعْنَهُ من الجليل واقفين من بعيد ينظرون ذلك» (لو ٢٣: ٤٩).

مزمور ٦٩:

النبوة: «وجعلون في طعامي علقماً. وفي عطشي يسقونني خلاً» (مز ٦٩: ٢١).

الواقع: «بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء قد كمل، فلما كان يَمُ الكتاب قال أنا عطشان، وكان إناء موضوعاً مملوءاً خلاً فلاؤا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه، فلما أخذ يسوع الخلَّ قال قد أكمل. ونكَّس رأسه وأسلم الروح» (يو ١٩: ٢٨-٣٠).

مزمور ٣٤ :

النبوة: «يحفظ جميع عظامه. واحد منها لا ينكسر» (مز ٣٤: ٢٠).
الواقع: «لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل. عظم لا يُكسر منه» (يو ١٩: ٣٦).

مزمور ٣١ :

النبوة: «في يدك أستودع روحي» (مز ٣١: ٥).
الواقع: «ونادى يسوع بصوت عظيم. وقال يا أبته في يديك أستودع روحي. ولا قال هذا أسلم الروح» (لو ٢٣: ٤٦).

مزمور ٢٢ :

النبوة: «انسكبُ كالماء. انفصلت (تفككت) كل عظامي (مفاصلي). صار قلبي كالشمع الذائب في وسط أحشائي» (مز ٢٢: ١٤).
الواقع: «لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دمٌ وماء» (يو ١٩: ٣٤).

النبوة: «يبست قُوَّتِي كالفخار (مثل شقفة) ولصق لساني بجنكي. وإلى تراب الموت تضعني» (مز ٢٢: ١٥).
الواقع: «وكان في الموضع الذي صُلب فيه بستان وفي البستان قبر جديد... فهناك وضعا يسوع» (يو ١٩: ٤١، ٤٢).

خميس العهد

هذا هو دمي المسفوك / هذا هو جسدي المبذول:
عنكم / وعن كثيرين / عن حياة العالم.

الآلام وسفك الدم بعمقها الأبدي:

كنت أتحدث معكم في الأيام السالفة منذ أول أسبوع الآلام عن رؤيا المسيح الصافية لآلامه على مدى الإنجيل كله، منذ البداية حتى النهاية، منذ عرس قانا الجليل وفي وسط بهجة المحتفلين أعلن لأمه العذراء أن ساعته لم تكن بعد، وفي وسط بهجة التجلي ومجد ظهوره في وسط السحابة المنيرة مع النبيين العظميين موسى وإيليا كيف كانا يتحدثان معه عن خروجه العتيذ أن يكمله بالموت. بل ولا نخطأ إذا قلنا أن حديث المسيح عن آلامه، سواء بالرمز أو القصة أو التعليم غير المباشر أو التصريح العلني، يملأ الإنجيل كله، بل نقول أنه هو الإنجيل كما أوضحنا سابقاً.

ولكن في هذا اليوم يعطي لنا المسيح صورة حيّة وعجيبة عن رؤيته لآلامه، لأنه إن كان قد سبق وأعلن عن آلامه وموته كاشفاً حدودها الزمانية، بقوله: «بعد ثلاثة أيام»، أو بقوله: «بعد قليل»، وحدودها المكانية بقوله: «أنه خارجاً عن أورشليم لا يمكن أن يموت نبي»!! كما رأينا كيف وصف بدقة شخصيات قاتليه وصاليه من رؤساء كهنة وكتبة وفريسيين وشيوخ الشعب والأمم، وكذلك حوادث الآلام السابقة على الصليب بمنتهى الوضوح والدقة من جلد وضرب ولطم وقتل وشم...

..... ولكن على هذا العشاء الأخير يكشف لنا المسيح عن آلامه وموته في عمقها الأبدي الخارج عن الزمان والمكان؛ موضحاً ولأول مرة في تاريخ العالم كله كيف يُستحضر الأبدي على المستوى الزمني وكيف يرتفع الزمني ليدخل إلى مداخل الأبد في الأزلية!!

فحينما مسك المسيح كأس الخمر الممزوجة بالماء في يده قال لتلاميذه: «خذوا اشربوا منه كلكم، هذا هو دمي المسفوك عنكم وعن كثيرين»، لم يكن هنا يتنبأ عما سيحدث له على الصليب من حادثة سفك دماؤه كما كان يعلم بالقول سابقاً، بل الآن قد استحضر لهم الحادثة بكل دقائقها من عمق الأبدية — وليس الزمن — متخطياً حتى المستقبل، وأعطاهم الدم عينه المزمع أن يسكبه على الصليب، لكي يشربوا منه!

تسليم الآلام وسفك الدم في حقيقتها الإلهية
التي تتجاوز الزمن وتخطي الحادثة:

المسيح هنا يكشف عن آلامه وموته وسفك دماؤه بصورة تخرج نهائياً وتعلو جداً عن مستوى الحادثة المحدودة بالزمان سواء في صورتها الماضية كنبوة أو في صورتها الآتية على الصليب كحادثة. والسبب في ذلك هو عجز التلاميذ نهائياً عن فهم قوة وسر آلامه على مستوى النبوة والشرح، فالمسيح وهو عالم أيضاً أن هذا القصور عينه سيلحقنا جميعاً، فما كان منه إلا أن يسلم هذا السر ذاته — أي سر آلامه وموته وقيامته — عارياً من الزمن وعارياً من الشرح والتعليم، فسلمه إليهم في جوهره الحي كسر، وبالتالي للعالم كله، ليأخذوه ليستقر — إن لم يكن ممكناً في عقولهم ففي كياناتهم وأعماق وجدانهم — كفعل حياة سري فائق على العقل... بمعنى أنه إن كان قد قصُر إدراك التلاميذ عن أن يفهموا من تعاليم المسيح الواضحة أن آلام الرب وموته وسفك دمه هي حتماً لقيامة وحياة أبدية، إذن فليس بد من أن يأخذوا جوهر هذا الموت على مستوى سره الفائق كجسد مكسور ودم مسفوك ليتحول فيهم إلى قيامة وحياة فائقة.

هذا ما أكمله المسيح بالفعل في العشاء الأخير، فقد أعطاهم سر موته وسر دمه وسر قيامته وسر حياته معاً في الخبز المكسور والخمر الممزوج ليسكن أعماقهم وكيان وجدانهم كموت حقيقي وقيامة حقيقية حياة أبدية إلى أن يحين فح عقولهم، ليدركوا هذا السر العظيم الذي تم على مستوى الحادثة والزمن: «لست تعلم أنت الآن ما أنا

أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد» (يو ١٣: ٧)، وحينئذ وبعد أن ينالوا قوة الروح والإستارة يستطيعوا أن يربطوا بين الزمني والأبدى، بين النبوة والحدث، وبين الحدث والجوهر الإلهي الفائق الذي يتجاوز الزمن والنبوة والحدث المادي جميعاً.

أليست هذه بعينها هي النتيجة الحتمية المباشرة لسر التجسد الإلهي إذا هو واجه الألم والموت؟ أي أن ظهور الله في الجسد يُحتم استعلان وجود سر القيامة في صميم الموت!!

أليست هذه بعينها هي النتيجة المباشرة لحلول ملء اللاهوت جسدياً؟ فتكون نتيجة التحام الأبدى بالزمني أنه حينما يعطينا جسده ودمه ننال الحياة الأبدية!!

ولكن أود أن أنبه ذهنكم أن إدراك آلام الرب وموته وقيامته في سر الخبز المكسور والدم المسفوك لا يكون أبداً على مستوى الإدراك المنطقي الذي اعتدنا عليه في تطبيق الحوادث على النبوات والنبوات على الحوادث، التي كان ينكشف منها في الحال صدق النبوة وصدق الحدث معاً مما كان يلهب قلوبنا، واعتبرنا هذا مجد ذاته جوهر الإنجيل ومعجزته أي استعلان الحق الإلهي في الإنجيل.

ولكن هنا نحن نواجه في سر العشاء الأخير وفي إعلان المسيح المفاجيء — وهو ممسك بالكأس في يده — أن هذا هو دمه بالفعل، دمه المسفوك على الصليب قبل أن يُسفك، هذا تحدي للمنطق والعقل والإدراك جميعاً، وهذا شأن معجزة الله للخلاص وكل المعجزات!!

إذن فالمسيح في سر العشاء يعلن عن موته وسفك دمه وقيامته بطريقة جديدة تختلف تماماً وكلية عن كل منطق تعليمي عرفناه سابقاً. فالمسيح هنا يتجاوز الزمن وبلغه، ويستحضر الحادثة مكشوفة عارية بدماها التي تنقظر على الصليب من وراء الزمن، يستحضرها بواقعها الحي في الحاضر أمام التلاميذ، هذا هو دمي المسفوك!! ثم بنفس القدرة في تجاوز الزمن وكشف الحادثة وتعريتها عن مضمونها الزمني الوقتي يسمو بآلامه وبدمه المسفوك على الصليب ليعلنه أمام التلاميذ في جوهره الإلهي الأبدى

كفعل فداء فعّال بقوته، وذلك فوق الزمن وقبل الزمن وبعد الزمن، يغفر خطايا الماضي والحاضر والمستقبل «يُعطي لمغفرة الخطايا» (مت ٢٦: ٢٨) وحياة أبدية.

في سر العشاء انتقال من الموت إلى الحياة:

هنا المسيح ارتفع بإعلانه عن آلامه فوق الرؤيا المستقبلية التي حاول أن ينقلها لتلاميذه فلم يستطيعوا إدراكها، لذلك فهو يتوقف هنا عن أن يكشف آلامه باعتبارها أموراً آتية، ولم يعد يعبر عن رؤيته للآلام وكأنها ستم في القريب، لأن هذا مجد ذاته فوق أنه أزعج التلاميذ وأحزن نفوسهم حتى «ملاً الحزن قلوبهم»، فهم أخفقوا نهائياً عن إدراك كل ما قاله عن آلامه سواء تلميحاً أو تصريحاً.

والسؤال الذي قد يحير الإنسان، لماذا يخفق التلاميذ في فهم المسيح بهذا القدر؟ ولكن هذه حقيقة حتمية. فأمور المسيح كلها، وبالأكثر آلامه وموته وقيامته، ليست على مستوى المنطق العقلي. أو كيف أن الألم ينشئ فرحاً؟ أو أن الموت ينشئ حياة؟ المسيح أصلاً ومبدأ ليس خاضعاً كلياً للزمان وللقوانين التي تتحكم في عقل الإنسان ووجدانه، بل إن الرسالة العظمى التي جاء المسيح ليكملها للإنسان هي أن ينقله من الخضوع المجبر للموت بواسطة الخطية إلى قبول حركة الحياة بحرية إرادته بواسطة الإيمان بدم المسيح لغفران الخطايا، الذي فيه الانتقال المحتم من الموت إلى الحياة حتى وفي صميم هذا الدهر!!

فرحة الخلاص يتحتم أن تُرسم على خلفية الآلام:

ولكن تجدر الإشارة هنا إلى وليمة عشاء المحبة باعتبارها القلب المختار الذي وضع فيه المسيح سر آلامه وموته. لأننا كما كنا أشرنا سابقاً إلى اهتمام المسيح كثيراً باختيار الحديث عن آلامه وموته في جولا يخلو من السرور كما رأيناه عند سكب مريم قارورة الطيب الغالي الثمن الزكي الرائحة، أو في ختام رحلة التجلي الباهرة، أو أثناء تقديمهم في الطريق الصاعد إلى أورشليم وهم يترغون بزامير المصاعد في ملء الفرح والسرور: «فرحت بالقائلين لي إلي بيت الرب نذهب» (مز ١٢٢: ١)، نجد هنا أيضاً أن المسيح

يختار هذا العشاء المعتبر من أبهى المناسبات في حياة الشعب اليهودي، يختاره ويختار منه أقدس حركتين فيه وهما بدء العشاء بتقسيم خبز البركة ونهاية العشاء بتوزيع كأس البركة. وبينما التلاميذ في قمة الفرح والسرور التقليدي بالفصح الذي لم يخف المسيح عن فرحه به أيضاً: «شهوة اشتيت أن آكل هذا الفصح معكم» (لو ٢٢: ١٥)، بدأ المسيح يعلن عن سر الخلاص بسفك دمه وتمزق جسده (!!) من داخل مسرة الأكل والشرب.

هنا الإشارة إلى تلاحم عمق الفرح مع عمق الألم تبلغ قمتها وأوجها، لتنشئ الانتقال من الموت إلى الحياة. هنا سفك الدم العاري من العنصر الزمني كفعل دائم معنا يعلن عن تغلغل قوة الله السرية وفعل الروح المستمر للانتقال المبهج من الموت إلى الحياة لتشمل كل حياتنا في الصميم؛ وخاصة لحظة التناول!

إن عطاء المسيح لسر آلامه وموته من خلال عشائه الأخير الذي أكملوه بالتسبيح على خلفية الآلام يُعبر لنا تعبيراً حياً عن موقع الخلاص وسر الإفخارستيا من حياتنا اليومية!!

رؤيتنا للصليب

في رؤيتنا لآلام المسيح عبرنا على ثلاثة مراحل:
المرحلة الأولى: رؤية المسيح لآلامه والتعبير عنها بالرمز.
ثم المرحلة الثانية: رؤية المسيح لآلامه والتعبير المباشر عنها بالتحديد الزمني والوصف الواقعي.

ثم انتقلنا إلى المرحلة الثالثة: وهي رؤية المسيح لآلامه والتعبير عنها سراً أي بفعل سري يفوق المعنى، ويفوق الحادثة، ويفوق الزمن المحدد الذي حدّده لهم بقوله: «بعد ثلاثة أيام... يُقتل ابن الإنسان». فلما لم يستطيعوا أن يقبلوا هذا، باغتهم وهم في حالة استرخاء وعلى عشاء المحبة إذ به يُمسك الكأس والخبز فجأة، ويقول لهم: «هذا هو جسدي... هذا هو دمي... كلوا... واشربوا منه كلكم...». ولم يستطع أحد أن يسأله: كيف؟ أو ماذا تعني بالجسد المكسور والدم المسفوك؟ بل مدّوا أيديهم إلى الكأس وهم مأخوذون وشرّبوا...

وهكذا أدخل المسيح بهذا الفعل الفائق في كيان التلاميذ — لا مفهوم الآلام، بل سرّه وجوهره.

و يلزمنا أن نفهم أن كل فعل بشري مآله إلى التغير ثم إلى الزوال، كل فعل بشري بل كل خليفة تحت السماء هي قابلة للتغير، كما قال الرسول بولس: «هي تبدي ولكن أنت تبقى. وكلها كتب تبلى وكرداء تطوها فتتغير. ولكن أنت أنت وسنوك لن تفتى» (عب ١: ١١، ١٢). هكذا كل حادثة زمنية، كل قول بشري — حسب قول يوحنا المعمدان — «الذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم» (يو ٣: ٣١)، ولكن «الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع»، هذا هو الذي كلامه من السماء، ولا يمكن أن يسقط حرف ولا نقطة واحدة منه (مت ٥: ١٨). كل فعل زمني، كل فهم بشري،

سواء كان في الفلسفة أو العلم، فآله إلى التغيير. كل معرفة، مهما أحيطت بالتأكيد والبرهان في زمن ما، مآها إلى التغيير، وبعد التغيير الزوال.

أما الحادثة الروحية والفعل الإلهي — كالصلاة مثلاً — فهو لا يفنى. فالصلاة فعل روحي، وكل من يصلي بحرارة وإخلاص يدخل الفعل الروحي الذي لا يفنى. كل صلاة يصلحها الإنسان باقية إلى الأبد، وما عداها من أعمال يتغير و يفنى. كل ما صليته وأنت صغير أو وأنت شاب هو مذكرك، كل ما اتصلت به بالروح هو باقي لك ومحفوظ، لأن «سيرتنا نحن هي في السموات» (في ٣: ٢٠). إنها سيرة الذين يؤمنون بالمسيح. هكذا سيرة كل الذين يعبدون الرب من كل قلوبهم. هي في السموات، وكل سيرة في السماء مكتوبة بالنور، وكل إسم آمن بالرب يسوع المسيح منقوش على كف المسيح وعلى صليبه، بل وعلى جسده.

هكذا استطاع المسيح يوم خميس العهد أن يعطي تلاميذه الفعل الإلهي: الموت، والآلام التي تسبق الموت، والقيامة التي تتبعه. أعطاهم سر الآلام وسر موته وسر قيامته في الخبز المكسور وفي الدم المسفوك. لا أقول قسراً أو اضطراراً بل دون وعي من العقل ولا قياس على فهم أو منطق، إنما بمحذق إلهي فائق. إذ لما أخفق العقل البشري عن إدراك سر موت الرب وقيامته استطاع المسيح أن يستخدم العنصر الذي يفوق العقل، أي فعل الروح القدس الذي يتغلغل الكيان الروحي للإنسان. وهكذا استطاع من خلال السر أن يسكب في أعماق كيان تلاميذه، ليس فكرة الآلام التي لم يفهموها، ولا معنى الصليب الذي أنكروه على المسيح، ولكن سر وجوه الآلام وفعل الصليب الكفاري مع قوة القيامة.

هذه هي المرحلة الثالثة التي سبق وتكلمنا عنها بإسهاب، وقلنا أنها هي رؤية المسيح الخاصة لآلامه والتعبير العملي عنها بالسر.

واليوم وعلى الصليب كملت كل رؤية المسيح لآلامه بكل دقة وإحكام، إذ انطبقت الرؤية على الحدث الزمني انطباقاً يذهل العقل، وتقدم المسيح فاتحاً ذراعيه

ومقدماً جسده للصالبين ليكملوا فيه كل ما أرادوا. لم يجزع أو يستعني لأنه من أجل هذه الساعة قد أتى، فتقدم وهو عالم بكل ما سيأتي عليه.

كانت رؤية المسيح لنفسه المصلوبة رؤية واضحة. وماذا ننتظر من وراء الرؤيا الواضحة للحادثة المستقبلية إلاّ تتميمها بلا جزع بل بكل رضى، مهما تكذّست الأحقاد والأتعاب والآلام؟ وقد سبق أن سردت لكم كيف وأنا بعد راهب مبتدئ كنت أقرأ عن آلام المسيح، فقرأت للقديس بولس الرسول: «مع المسيح صُلبتُ»، و«إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه» (غل ٢: ٢٠؛ ١٧: ٨)، فتساءلت: ماذا يكون موقفي لو اقترحتني الضيقات ودُعيتُ فجأة لمشاركة المسيح في آلامه وصلبيه بالفعل؟ وصرت أتأمل كيف أقبل آلام المسيح لتكون نصيبي فعلاً وعلى مدى الحياة. وابتدأت أتصور الآلام وهي تكتنفي كروّيا... فارتفعت نفسي جداً، ولكن كانت قوة الصليب تتكشف لي من وراء سحب الضيقات مع أعجاد الآلام، فوجدتني أقبّلها إنما بصعوبة ومشقة حتى أضاع طريق نور القيامة التي تواكب الصليب حتماً وتنشق منه!!

فإن كانت هناك نتيجة حتمية للآلام الطوعية، والشركة في موت المسيح، فهذه النتيجة هي: القيامة! وكل من يؤمن بالقيامة لا يصح أن يستعني من الألم حتى إلى الموت.

لذلك أقول أن اليوم ينبغي أن يكون يوم رؤيتنا نحن للصليب. وهي رؤيا مزدوجة:

الرؤيا الأولى: وهي ما أكمله المسيح عني وعن العالم كله، «إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب: يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١ يوحنا ٢: ١، ٢). رؤيتنا يجب أن تمتد لتشمل هذا الإتساع. فالعمل الذي عمله المسيح على الصليب يحتاج إلى رؤية إنجيلية دقيقة، لنرى عمقه واتساعه، حتى نرى أنفسنا حتماً وبالضرورة ضمن هذه المشورة العظمى التي أكملها المسيح لتسع العالم كله...

أما الرؤيا الثانية: فهي الرؤيا الفعلية لأنفسنا منحصرين في دائرة الصليب دون استعفاء: «من لا يحمل صليبه ويأتى وراثي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (لوقا: ١٤: ٢٧). هنا انتقال من العمل المطلق المتسع الذي عمله المسيح من أجل الجميع إلى الواقع الفردي المنحصر في الذات، وهو انتقال حرّ لأنه دعوة ووصية من فادي أحب الذين فداهم حتى الموت لكي بشركة آلامه وصليبه يرتفعوا معه إلى المجد الذي له والذي أعده ليشتركوا فيه...

ووصية المسيح تحمل في طياتها وعداً بالتنفيذ أكيداً: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (مت ٢٤: ٣٥).

ولقد استرعى انتباهي في تأملي لموت المسيح وأثره علينا، الآية التي تقول: «وكما وُضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة، هكذا المسيح أيضاً بعدما قدّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه» (عب ٩: ٢٧، ٢٨).

هنا ينكشف فعلاً في حياة الإنسان يحكمان البشرية كلها: الفعل الأول: الموت، والفعل الثاني: الدينونة.

الأول نراه حادثاً أمام عيوننا كل يوم، أما الثاني فهو وإن كان غير منظور إلا أنه محسوس.

فنجد الطفولة والإنسان يواجه الإحساس بالدينونة، أولاً عن طريق قانون الخطأ والصواب، حيث ينغرس في الوجدان الإحساس بخطر الدينونة منذ أول لحظة يفتح فيها الفكر البشري لتأويل الحادثة، وذلك حينما تعاقب الأم طفلها على الفعل الخاطئ، فيحدث فعل ارتكازي يبدأ الطفل على أثره مباشرة يفهم رد الفعل المترتب على أفعاله، وهذه هي الإرهاصة أو التشكيلة الأساسية التي يتشكل عليها وينبني مفهوم الدينونة.

وهكذا يبدأ فعل الدينونة يرافقتنا في مسيرة الحياة برمتها منذ اللحظة الأولى التي يتحرك فيها العقل والضمير لفهم أن لكل فعل رد فعل .

كذلك الموت، فنذ أن نولد وفعل الموت يخط خطوطه و يعمقها في الإنسان . فكل إصابة برد أو حمى أو أي مرض حتى والطفل ما يزال صغيراً بعد، يكون له رد فعل مباشر على المنع وعلى الأعصاب يغيّر ويشكّل في السيلات العصبية وفي تركيبات الدم الكيماوية بأثر سلبي ليبدأ العد التنازلي في عمر الإنسان .

فالموت والدينونة فعلا يرافقان الإنسان منذ أن يولد . وهنا يتكشف لنا عمق معنى الآية : « كما وُضع للناس أن يموتوا مرة وبعد ذلك الدينونة » .

هذان الفعلان، أي الموت والدينونة، يظنان يعملان في كيان الإنسان دون أن ينتبه لهما أو يعيها، ولكن حينما ينمو الضمير و يعي العقل الأمور جيداً، ونبدأ نفهم الحادثة الروحية كما ندرك ونعي الحادثة الزمنية، حينئذ يبدأ الإنسان يدرك حقيقة الموت الكائن فيه وحقيقة الدينونة التي يسير إليها . وعلى هذا فحينما نقرأ الإنجيل ونفهم معنى الوصية ومخالفة الوصية، ونعرف العقاب ومعناه، والدينونة ومعناها، وآلام الرب التي تألمها، والأحزان التي جازها كلها بمفهومها ومعناها، والصليب والموت، حينئذ تستيقظ فينا كل خبرات الحياة من أفعال وردودها، فتبدأ تتشكل صورة صحيحة عن الدينونة الحتمية و يتكون في وعينا تقييم صحيح للموت الذي سنجوزه . أي أننا كلما نضجنا وتقدمنا في فهم الحدث الروحي في الإنجيل — والخاص بالآلام المسيح بالذات وموته — حينئذ ينضج إدراكنا للموت وللدينونة .

ولكن ثمة آية أخرى قابلتني ترد على هذه الأولى وتكملها، هذه الآية الثانية هي : « إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » (رو ٨: ١) .

لقد جاز المسيح الموت والدينونة فداس الموت وألغى الدينونة؛ بينما نحن لا يمكننا أن نجوزهما دون أن نُمسك فيها من واقع طبيعتنا . من أجل هذا مات المسيح وقام وجاز

الدينونة عن كل ذي جسد فنال له وعنه البراءة الكاملة . فالمسيح بصليبه وبآلامه رفع الدينونة ، ورفع الموت أيضاً . هذا هو صليب المسيح الذي يطالبني المسيح أن أكون شريكاً فيه لأنال منه ما اكتسبه لي فيه ؛ هذه هي رؤيتنا للصليب .

إذن فضميرنا الذي ورث الدينونة منذ صغره كرد فعل على أخطائه وتراكمت عليه المرعبات والتخويات ، سواء من الأهل أو المدرسة أو دروس الدين ، هو مدعو أن يلقي عنه كل هذه التراكمات إن هو فهم قيمة صليب المسيح واشترك فيه طواعيةً ، لأن على صليب المسيح الغني هذان الفعلان وخلصت البشرية من هذين الحكيم اللذين حكماها قسراً !

نعم ... لقد دخلت البشرية إلى حرية حقيقية — بكل معناها المطلق — سواء من الموت أو الدينونة ، إذ سقط عن الإنسان حكم الموت كتوقف عن الحياة وصار مجرد انتقال لمسيرة حياة أفضل ، وسقط حكم الدينونة وصار « لا دينونة » .

هذا هو فعل الصليب في طبيعتي حينما أحمله واشترك فيه .

لقد مدَّ اليوم المسيح يده — كما فعل يوم خيس العهد — من أمام المستقبل بكل امتداده ومن وراء الماضي بكل عمقه ورفع الدينونة كلها ووضعها على نفسه ، وبرا الإنسان بأثر رجعي . فالمسيح لما مات حل خطايا البشرية ، كل البشرية ، في جسده على الخشبة ، فأصبحنا — كل من يؤمن — بلا دينونة ، لأن الدينونة كانت قائمة على أساس الخطيئة ، والخطيئة تلاحقنا منذ يوم ولادتنا «لأنه ليس إنسان بلا خطيئة ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض» (٥) .

من وراء الزمن ومن أمام الزمن مدَّ المسيح يده واستحضر كل قوانين حكم الموت من واقع التاموس القديم ، منذ أول يوم نطق بها موسى ، وأخذ تلك الدينونة العتيقة أن يُدان بها العالم كله بسبب التعدي والخطيئة ووضعها على جسده وبرا الإنسان ، والتبرئة

(٥) أوشية الراقيدين — القداش الإلهي .

هنا تم فقط على كل من يقبل الصليب وما تم عليه اليوم . لماذا ؟
لأن هذا حكم براءة ، مصدق عليه من محكمة الله العليا ، مختوم عليه بخاتم دم
المسيح ، فكل من آمن بالدم المسفوك سَرَى عليه نفس الحكم .

فما تم على الصليب هو حكم عام ببراءة الإنسان ، من آدم حتى آخراين لآدم ،
فأصبح من حق كل إنسان أن يطالب به ، ولكنه ليس حقاً أبداً لمن يزدري به .

وهكذا لا يمكن أن يفهم من هذا أن خلاصنا مضمون بلا تحفظات !

ولكي يتضح التحفظ المطلوب نضع الآيتين معاً :

— «وكما وُضِع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة» .

— «لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» .

فالذين هم في المسيح يعيشون وبالمسيح يسلكون هم وحدهم الذين في المسيح
يتبرأون ومع المسيح يحيون .

إن الصليب الذي صُلب عليه ربنا يسوع المسيح ، هذا الذي أخذناه معياراً لحياتنا
ورمزاً لجهادنا ، نضعه على صدورنا كتعبير عن أننا خبأناه داخل قلوبنا ، ورسمناه في
بيوتنا تعبيراً عن أننا رسمناه داخل ضمائرنا وعقولنا ، هذا الصليب قوة . ليس هو
قصة... هو ممدود إليك وعليه ذراعا الرب . ليس هو صورة ، بل عليه تمت حادثة ظلت
في العالم فعلاً يسري على مدى الدهور . قوة دخلت العالم ولن تخرج منه... وكما قلنا إن
كل فعل بشري مآله إلى الزوال ، لكن الذي حدث على الصليب ليس فيه تغيير ولا
شبه دوران ، ليس فيه قيد شعرة من التغيير . فما حدث هو حادث ، والدم المسفوك
سيظل مسفوكاً ، والقوة التي دخلت إلى العالم كقوة غفران ورفع الدينونة عن الإنسان ،
كل إنسان ، لم تخرج ولن تخرج من العالم ! ومن هو العالم ؟ هو أنا وأنت ، وكل جيل ،
وكل مكان في العالم . حادثة الصليب حادثة إلهية . وكما التحمت المادة بالأولية — في
التجسد وفي سر كأس الإفخارستيا — والتحم الزماني بالأبدي ، وهكذا صار للزماني أي
للإنسان قوة لن تفارقه «من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في

اليوم الأخير» (يو٦: ٥٤). وهكذا على الصليب دخلت العالم قوة، ألغت الفعلين الآخرين، الموت والدينونة.

حقاً إن الموت والدينونة إعلان أرحب الإنسان وحكما العالم واستبدا بالطبيعة البشرية! ولكن لما دخل العالم فعل المصالحة، نازلاً من السماء من وراء الزمن، حمل كل الدينونة والخطيئة على جسد المسيح، فألغى الموت وألغى الدينونة.

فالفعل الذي أكمله المسيح على الصليب فعل خارج حدود الزمن، فهو يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، ويمتد ليوثر في الأبدية أيضاً، فهو ليس فعلاً محكوماً بالزمن والمادة، إذ هو فعل إلهي. وكل فعل إلهي فعّال بطبيعته غير ساكن، أي غير جامد (static)، فعل متحرك (dynamic)، أي أنه فعل يولّد فعلاً. ففعل الموت على الصليب ولّد فعلاً آخر هو فعل القيامة.

فالصليب — مثله مثل الجسد والدم في سر الإفخارستيا — ليس هو حدثاً ساكناً بل متحركاً، أي فعلاً، يتخطى كل حدود الزمن، اليوم وغداً وإلى الأبد. فهو الذي سيغير بك الدينونة وينقلك من الموت إلى الحياة.

لذلك فحينئذ نقول: «لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»، يتضح لنا أن ما حدث على الصليب ليس قصة بعد ولا تاريخاً بل قوة محرّكة.

فهذا الذي تم على الصليب حينما يتقابل مع واقعنا على مستوى الإيمان، ينشئ فينا حركة محيية مجددة تغيّر شكلنا وسلوكنا. لذلك تقول الآية عن يقين: «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»، وعلينا أن نثق ونؤمن بهذا تماماً. فالقوة لنا وفيها حتى وإن كنا لم نستخدمها بعد.

والآن لا نستكثر التغير الذي نشتهي فالأمثلة التي حازت عليه عظيمة حقاً. أنظر إلى موسى الأسود، وماريا المصرية، وأغسطينوس. ماريا المصرية ذات الماضي

العريض في الدعارة، كيف خطفتها قوة الصليب بروح التوبة، فانطلقت إلى براري الأردن لتعيش في نسك فائق سنين طويلة، ليقدم لنا منها المسيح أخيراً نموذجاً لأقدس امرأة تائبة ناسكة عايشة الوحوش في براري موحشة تأكل من حشائش الأرض وورق الشجر وتتسرب بالخرق البالية وألياف الشجر.

قل لي، من أنت؟ وكم هو قدر خطاياك؟ وأنا أقول لك: «لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع»، الذين قبلوا الصليب لا كقصة بل كفعل إلهي تم في ملء الزمن، ليرتفع بالإنسان فوق طبيعته العاجزة، ويرتفع بالعقل البشري فوق كل منطق، وليعطيه ما لا يمكن أن يتصوره فكر؛ هذه القوة المغيّرة التي تستطيع أن تجعل من الخاطئ المتردي في خطاياہ قديساً ذا مثال يُحتذى، ويصح فيه القول أنه صار بالفعل خليفة أخرى مهتأة ومُعَدَّة للقيامة.



القيامة

القيامة إيمان قائم على مشاهدة فائقة

القيامة حياة جديدة غير منظورة حسياً أي لا تُرى بالرؤيا العادية، فهي ليست حدثاً زمنياً يختص بهذا العالم كلية. فهذا العالم ينحصر في فعلين: ميلاد وموت، ويُحكم ببعدين: زمان ومكان. والقيامة فعل ثالث فوق الميلاد والموت، وهي أيضاً فوق الزمان والمكان، لذلك فالقيامة تخرج عن نطاق المنطق العقلي.

مفتاح إدراكنا للقيامة يلزم أن نفحصه أولاً في الإنجيل. في إنجيل متى ٢٧: ٥٠-٥٣، يربط ربطاً محكماً بين موت المسيح وقيامته وتأثير ذلك على قيامتنا نحن: «فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح!... وإذا حجاب الهيكل قد انشق (رمز علاقة الله بالإنسان) إلى إثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت والصخور تشقق، والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين».

هذه هي شهادة الإنجيل عن القيامة وهي مطابقة تماماً لعلامات القيامة العتيدة العامة. إذن فالإنجيل هنا يهمس في آذاننا أن قيامة المسيح من الأموات هي في حقيقتها وفعلها فجر حقيقي للقيامة العامة، وبدء فَعَالٍ ودائم لها.

في الحقيقة يُعتبر هذا النص الإنجيلي من أهم النصوص التي وردت عن مفهوم موت الرب وقيامته:

+ لأنه يربط ربطاً عملياً وواقعياً مشاهداً ومشهوداً له من كثيرين أن موت الرب أنشأ في الحال تأثيراً فَعَالاً محيياً في الموق، ومن هنا جاء نشيد الكنيسة المعبر عن لاهوتها الخالد [بالموت داس الموت والذين في القبور أنعم هم بالحياة الأبدية].

وموقى القبور عندنا الآن هم الأموات بالذنوب والخطايا حتى ولو كانوا في القصور.

إيمان الكنيسة ولاهوتها مشاهدة فعلية:

+ ثم كان هذا النص وهذا اللحن هو الأساس العملي أيضاً على مستوى المشاهدة والشهادة لإيمان الكنيسة أن قيامة المسيح من الموت أطلقت القائمين من قيود الموت، أي حرّرتهم من سلطان الزمان والمكان، وبدأوا بالفعل يحيون الحياة الأخرى علناً كعربون وشهادة. هذا هو فجر الخلاص الذي شهده التلاميذ.

وهكذا يتبلور إيمان الكنيسة منذ البدء، على أساس مشاهدة فعلية أي خبرة إيمانية جماعية ولكن على مستوى خاص وفائق.

— أن موت المسيح ألغى الموت وأنهى على سلطانه في الحال وفك أسرى الهاوية. «الحق الحق أقول لكم أنه تأتى ساعة وهي الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون» (يو: ٥: ٢٥).

— وأن بقيامة المسيح وظهوره بدأت القيامة للإنسان بالفعل، وإن كانت ظهرت في الجسد كحالة خاصة فهي عربون للقيامة العامة للقديسين الكائنة الآن بالروح والتي ستكون.

ومن هنا جاء الإيمان القوي الذي له ما يسنده ويبرره ويشهد له من الإنجيل بخصوص أرواح القديسين الراقيين في العالم الذين ظهروا ظهوراً خاصاً لكثيرين.

تسليم التلاميذ لبولس وبولس يسلمه لأهل كورنثوس:

هذا الإيمان الكنسي المُعتبر حجر الزاوية في اللاهوت المسيحي، استلمه القديس بولس الرسول كتسليم قائم على إيمان واستعلان ورؤيا واختبار من التلاميذ، وسلمه لأهل كورنثوس (١ كو ١٥: ١-٢٠) (سنة ٥٥/٥٦ م)، لا كأنه اختبار إيماني وعقيدة مسلمة من التلاميذ فقط، ولكنه أضاف إليها إيمانه هو الاختباري الواقعي فيما بعد. وطبعاً نضيف إلى ذلك رؤيته هو للمسيح علناً وسماع صوته من السماء.

دفاع بولس :

و يلاحظ أن محور دفاع بولس الرسول عن قيامة المسيح ليس هو لإثبات قيامته — بل لإثبات قيامتنا — مع أنه قدم الشهود العيان، وهو واحد منهم .

لا قيمة للشهادة المادية :

ولكن نعود ونقول وننبه: ما قيمة شهود عيان لحادثة لا يحكمها الزمان والمكان، فلا العين تستطيع أن تتحقق منها خلواً من موهبة الإنفتاح، ولا العقل يمكن أن يستوعب الرؤيا ويصدقها خلواً من موهبة إيمان. لذلك نجد الشهود قليلين جداً لأنهم مختارون من الذين يستطيعون أن يروا ما لا يُرى، ولا نجد شهادة واحدة من الجميع يتفق عليها الجميع. ففي رؤية بولس للمسيح، بعض الذين معه سمعوا الصوت ولم يروا أحداً، وبعضهم رأوا ولم يسمعوا، كذلك في دخول بطرس ويوحنا للقبر، بطرس رأى وخرج مندهشاً، ويوحنا نظر فآمن وهذا هو الحال في رواية القيامة في الأناجيل الأربعة، الأمر الذي حير العلماء واستنفذ كل ذكائهم وصبرهم بلا أي فائدة — فالقيامة أولاً وأخيراً حالة فائقة لا تُدرك إلا بانفتاح خاص وموهبة خاصة وفي حالة أو مستوى روحي خاص . لذلك نجد بولس الرسول لا يركز على القبر الفارغ أو شهادة النسوة أو الملاك .

كذلك نجد أن بولس الرسول يركز بشدة على حقيقة القيامة كمحور الكرازة بالمسيح، على أساس أنها تنشئ قيامة فينا . هذا الإيمان الواثق استلمه بولس واختبره، وهو قوة الإيمان بالمسيح وبدونه لا منفعة من الإيمان بالمسيح قط .

«إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا» (١ كور ١٥: ١٤)، (لماذا؟ لأننا نحن التلاميذ والرسول واثقون بالشهادة والتسليم، ولأن قيامة المسيح ليس لها أي هدف أو غاية إلا إقامتنا وإقامتكم من الأموات) «وباطل أيضاً إيمانكم» (١ كور ١٥: ١٤) (لماذا؟، لأن أي إيمان بالمسيح بدون الإيمان الحي بأنه قام من الأموات فلن تكون له قوة قيامة، وإذا لم تكن لكم قيامة فنحن وأنتم أشقى جميع الناس،

لأننا نبقى في خطايانا ونتألم بلا رجاء .

يقين الإيمان بالقيامة ينشأ من حالة قيامة بالروح فعلية :

ولكن من نص إنجيل القديس متى ونص القديس بولس نستشف بيقين نحس في أعماق قلوبنا أن الكنيسة الأولى كانت تعيش بالفعل في حالة يقين الإيمان بالقيامة ، لا كمجرد مبدأ إيماني أو نظرية لاهوتية ، ولكن كانت تعيش في حالة قوة هذه القيامة كحقيقة معاشة . وهذه الحالة بعينها وليس أي شيء آخر سواها هي التي نقلت التلاميذ من حالة الخوف وعدم الإيمان وضعف الفهم وانعدام الإدراك لكل ما قاله المسيح وكل ما تم على الصليب إلى اللحظة التي أعلن فيها عن القبر الفارغ ، وسمعوا بخبر قيامة المسيح من الملائكة : « فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أنتما . فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب . ليس هو ههنا لأنه قام كما قال . هلما انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعا فيه . واذهبوا سريعا قولوا لتلاميذه إنه قد قام من الأموات » (مت ٢٨ : ٥-٧) .

ولكن كيف استلم التلاميذ هذا العربون أو هذه الحياة الجديدة بكل خصائصها ؟

لم تكن البراهين المادية على الإطلاق سبباً في قبول التلاميذ حالة الإيمان بالقيامة ونوال عربونها ، فلا القبر الفارغ ولا حديث النسوة ولا شهادة الملائكة ولا رؤية الرب نفسه كان كافياً ، لأنه مكتوب بكل وضوح : « وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع . ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا » (مت ٢٨ : ١٦-١٧) .

الرب يسلم سر قيامته بسلطانه للتلاميذ :

ولولا أن الرب تقدم وبدأ يكلمهم ثم وهبهم في هذه اللحظة قوة وسلطاناً خاصاً على إدراك كس الحقيقة ، لبقوا بلا إيمان « فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً : دُفِعْ إِلَيَّ كُل سُلْطَانٌ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ ، فاذهبوا (هنا فاء العلة تأخذ معنى أنه أعطاهم هذا السلطان) وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس

وعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أُوصِيَتْكُمْ بِهِ . وَهَا أَنَا مَعَكُمْ (السند الثاني الدائم)
كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين» (مت ٢٨: ١٨-٢٠).

+ حتى في حادثة توما، فما جعله يؤمن هو انفتاح بصيرته مع وضع أصبعه،
نتيجة لقول الرب له: «لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً» (يو ٢٠: ٢٧). واضح جداً
أن التلاميذ لم يستطيعوا أن يقبلوا القيامة بالبرهان المادي أو العقلي على
الإطلاق، لذلك تدخل الرب يسوع وسَلَّمَهُمْ هذه القيامة بكل سلطانها كفعل
حياة سري - وكقوة حياة خلقة جديدة - لذلك فالقيامة في الإنجيل وفي الكنيسة
هي قوة تمنح في سر.

القيامة بمجد:

كما يلزمنا أن نفهم تماماً أن القيامة ليست مجرد قيامة أجساد من الموت، بل هي
بالدرجة الأولى حالة حياة في مجد لخلقة جديدة، هي شركة في مجد الله، فجسد
المسيح المقام كان في حالة مجد، لذلك كان من العسير للعين العادية والإيمان
العادي أن يدرك القيامة إدراكاً كاملاً إلا إذا أُعْطِيَ نعمة نظر هذا المجد، وإلا
فلن يرى إلا مجرد خيال كما ظنه التلاميذ عند أول ظهوره: «وفيا هم يتكلمون بهذا
وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام لكم، فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا
روحاً» (لو ٢٤: ٣٦، ٣٧) مع أنه كان واقفاً أمامهم بكل مجده.

القيامة حالة مجد وغبطة في حضرة الرب:

من هنا يبدأ إيماننا بالقيامة، فالقيامة حالة مجد، واشترك «في مجد». لا هي
إيمان عقل ولا رؤية عين!!، لذلك يُقال أن كل نداء بالمجد δόξα في الكنيسة
هو إعلان وشهادة أن الكنيسة حاضرة بالقيامة في حضرة الآب والإبن والروح
القدس. فالنداء بالكصا إعلان عن حالة القيامة التي تعيشها الكنيسة في كل
لحظة، هو نداء الإعتراف والشكر والتوسل معاً.

واضح جداً يا أحبائي أن الكنيسة الأولى كانت تعيش هذه الحالة عيناها ، حالة المجد «الذكصا» حالة القيامة ، حالة حضور الرب حسب وعده الصادق والأمين «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» . حضور الرب هو حالة قيامة ممجدة ندخل فيها ونعيش فيها . الكنيسة هي مكان حضور الرب عندما تكون مجتمعة باسمه للشهادة والتسبيح والتمجيد لإسمه . فالكنيسة تعيش مجد القيامة وتسلمها لأولادها طالما هي تشهد وتكرز وتعلم بالروح والحق من خلال الصلاة والأسرار والتسبيح .

تسليم قوة القيامة من الرب المقام :

ثم لاحظوا تماماً أن التلاميذ لم يقبلوا حقيقة القيامة كفعل وحياة وطاقة شهادة وكرازة وفرح إلا من الرب نفسه وبروحه القدوس عندما كانوا مجتمعين معاً سواء في العلية بعد القيامة أو في العلية في يوم الخمسين .

لذلك لا بد أن نفهم ونعي تماماً أنه يستحيل علينا أن نعيش في عربون القيامة أو نقبل فعل الحياة الأبدية أو نذوق مجد الله إلا بحضور المسيح ومع المسيح وفي ملء الروح القدس . فقيامة المسيح هي قيامتنا كما تقول الكنيسة في أوشية كل إنجيل : «لأنك أنت هو حياتنا كلنا ، ... وقيامتنا كلنا» .

كما يلزمنا أن نلاحظ أن البرهان المفرح والمُقنع جداً على قبول التلاميذ قوة قيامة المسيح هو تحول حياة التلاميذ من الضعف إلى القوة ؛ من اليأس إلى الرجاء ؛ من الخوف إلى الشجاعة ؛ من الإنكار والهرب إلى الكرازة والفرح بالإضطهاد والبذل حتى الموت . لذلك يناسبنا أن نضع هذا المقياس الحساس والدقيق جداً نصب أعيننا لكي نتحقق من حصولنا على سر قيامة الرب في حياتنا .

رجاء القيامة هو سلطان المسيح الذي لا يُحد في السماء وفي الأرض :

الرب الحاضر بقيامته معنا وفينا والذي نكرز بموته وبقيامته له كل السلطان على كل السماء والأرض !!

من الأسباب التي جعلت التلاميذ يتغيرون و يصيرون على مستوى القوة للكراسة باسم الرب لكل العالم هو أن الرب استلم كل سلطان ما في السماء وعلى الأرض .

العلاقة هنا بين سلطان الرب والكنيسة سرّية للغاية ، والرب نفسه هو الذي أشار إليها : «دفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم...» . الأمر الذي يعطيه الرب هنا لتلاميذه بالذهاب للكراسة للعالم كله ، ليس أمراً عادياً بل هو مشفوع بتأكيد ووعد وتأمين سرّي أنهم سيعملون تحت مظلة سلطان المسيح هذا الذي تخضع له كل السماء والأرض .

قيامة المسيح هنا لم تقف عند حد غلبة الموت ، أو حتى الصعود إلى السماء ، أو حتى مجرد الجلوس عن يمين العظمة في السموات ، بل إن قيامة المسيح كشفت عن مستوى المجد الذي للمسيح إذ تسلّم من الآب كل سلطان مما في السموات وما على الأرض ، ولكن ليس بمجرد أن يحتل المسيح مكانته في المجد لنفسه ، ولكن لا يزال هذا المجد والسلطان يعمل لحساب الإنسان . فالرب بكل وضوح وعلاية يؤكد لتلاميذه أن ذهابهم إلى أقصى العالم للخدمة والكراسة إنما هو المسؤولية المباشرة المنبثقة من سلطانه ، أي أنه نال هذا السلطان لتكميل خدمة الكرازة على الأرض لخلاص العالم .

هذه الحقيقة تعطي للقيامة اامتداداً في السماء والأرض — بواسطة الكنيسة — لتكميل الخلاص من واقع سلطان المسيح الحاضر في كنيسته بقيامته ومجده وسلطانه معاً .

فعن أن يأخذ المسيح سلطاناً في السماء وحدها شيء ، وكونه يأخذه في السماء وفي الأرض فهذا واضح جداً أن المسيح يملك في كنيسته على الأرض بسلطانه السماوي لحساب خلاص كل نفس .

وهذا الوعد أو الأمر بعد ذاته يُعطي للكنيسة قوة ورجاءً وعزاءً لا يُقهر ولا يقف عند حد ، كما يُعطي لكل إنسان يسعى نحو بلوغ القيامة قوة دفع لا يقدر الموت أن يوقفها .

والكنيسة التي تعيش في قوة القيامة هي حقاً تعيش في استعلان المجد أي في
الذكىا الدائمة!!

□

القسم الرابع
مقالات مناسبة للآلام

أسبوع الآلام

أسبوع الآلام أو أسبوع البصخة...

والبصخة هي العبور أو الفصح، مأخوذة من طقس خروف الفصح الذي بدمه عبر الملاك المهلك على البيوت ولم يؤذها (سفر الخروج الأصحاح الثاني عشر).

إذن، فأسبوع البصخة ليس أسبوع آلام عقيمة أو آلام وحسب، بل آلام عبور، آلام فصحية، آلام نأخذ قوتها ونورها ووهجها من دم الحمل المذبح على الصليب.

إذن، فنحن سوف نجوز معاً أسبوع الآلام، ولكن آلام للعبور بقوة دم يسوع من حياة الحياة ومن إيمان لإيمان...

لا بد أن يكون أسبوع الآلام أسبوعاً خالداً في سنتنا هذه، ننال به حياة أقوى وأفضل، فيه سنسمع مراراً وتكراراً كيف يكشف الرب لتلاميذه عن خطة حبه السرية التي صمّم أن يتفّذها في نفسه طواعيةً عن حب صامت مكتوم.

«ها نحن صاعدون إلى أورشليم وابن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت، ويسلمونه إلى الأمم...» (مت ٢٠: ١٨، ١٩). لقد حزن التلاميذ، وبعضهم استنكر هذه الخطة، لم يدركوا عظمتها... ولكن ما رأيكم أنتم أيها الأحباء وقد أدركتم عظم الخلاص والحب الذي صار بهذه الخطة المباركة، خطة الصعود إلى أورشليم ليسلم ابن الإنسان ويهان ويموت؟ من الذي يسمع عن هذا السر الإلهي، سر التسليم المطلق للآب ولا يشاق أن يتممه؟ ومن الذي لا يشتهي الآن أن يرسم نفس الخطة ويسير على آثار أقدام السيد في طريق الجلجثة؟

وإن كانت بدايتها الآلام والأحزان ونهايتها قيامة ووهجة ونور وقوة وصعود إلى السماء، فن الذي يجزع بعد ذلك أن يعبر أسبوع الآلام الفصحية مع المخلص؟ من الذي

يتراجع ويستكثر الثمن المدفوع لهذا الخلاص العظيم . إنها خطة ناجحة مائة بالمائة ، هيا
نتمهما معاً ، كلٌّ في نفسه حسب طاقة حبه وإيمانه ...

هيا نسير معاً على درب الصليب ونكمل أسبوع آلام العبور... نتواعد بالمسيرة ، ولكن
في قلوبنا ، وكلٌّ له مسيرته وله آلامه وله حبه ، ولكن نعب جميعاً ولا يتخلف أحد ،
كصف واحد مُسحت أعتاب أبوابنا العليا بدم الحمل الواحد!! مسحة مقدسة بالروح
والقوة . نعب عبوراً اشتبهناه كل أيام حياتنا عبوراً من وجه الملاك المهلك ... عبوراً من
ظلمة جهل الخطية والجلوس حول قدور اللحم الشهوة وعبودية فرعون ، ومن السخرة
والمذلة ، إلى النور والخلاص والعتق بدم المسيح .

ما أبعدها آلاماً وما أعظمه أسبوعاً فصيحاً ، ذلك الذي ننال فيه هذا العبور .

إذن ، فلنجعلها آلام حب ، آلاماً طوعية ، نمزج دموعنا بخبزنا ونبلل بها فراشنا ، لا
نعطي فيها راحة لصدغنا ولا نعاساً مريحاً لأجفاننا ، حتى نعب ، حتى نجوز وادي ظل
الموت ، و يشرق علينا المسيح بقيامته .

هو ثبَّت وجهه نحو أورشليم وصمَّم على الخطاة ، عرَّض وجهه للخزي وبذل ظهره
للسياط ، لم يرتد إلى الوراء حتى الذبح ...

إذن فقد فتح لنا الطريق ورسم خطواته وما بقى إلا التنفيذ ...

(١٩٧٧)



صورة جديدة للألم

بعد أن أثبت المسيح سلطانه الفائق على الموت بإقامته لعازر من الموت (يو ١١)، وبعد أن دهنته مريم بالطيب الغالي (يو ١٢)، فكان في اعتباره هو «التكفين» الحقيقي، أي مسحة الجسد وإعداده للموت، تقدّم يسوع إلى الصليب ليكمل الإنجيل وليكمل كل تعاليمه وأعماله بمواجهة الآلام والموت الإرادي.

ولكن لا يفوتنا هنا أن نلمح كيف بدأ الرب آياته السبع، وكيف أنها — بحسب إنجيل يوحنا — لأن الرباط بينها وثيق.

فنحن نعلم أن بداية الآيات التي صنعها يسوع كانت في بيت أحياء له، وفي وسط أناس على استعداد للإيمان به، في عرس قانا الجليل (يو ٢)، عندما حوّل الماء خراً طيباً، كدعوة رجاء من القديسة مريم أمه.

وأخيراً، ها نحن في بيت الأحياء، بيت لعازر ومريم ومرثا أشد المؤمنين به. وهوذا المسيح بدعوة رجاء من مريم أخت لعازر يقيم لعازر الميت إلى الحياة، وهنا أظهر مجده كما سجّل لنا الإنجيل.

في المعجزة الأولى كان اعتراضه الوحيد على طلب مريم العذراء أمه أن ساعته لم تجز بعد. ولكن هنا، وبعد ثلاث سنين وأكثر، حانت الساعة فلا اعتراض البتة على إثبات المعجزة. وهنا أيضاً يُسجّل لنا الإنجيل أنه أظهر مجده. وهكذا دائماً، فالمسيح لا يجد إلا في المؤمنين به أنسب الفرص ليصنع آياته ويظهر مجده.

ثم أيضاً بعد تحويل الماء إلى خمر بدأ المسيح فوراً يعلم عن تغيير وتحويل الإنسان نفسه بال ميلاد الجديد من فوق من السماء، من الماء والروح، حياة أبدية جديدة. وهذه استصعبها نيقوديموس جداً (يو ٣). كذلك وفي إقامة لعازر من الأموات أعطى الإشارة واضحة لقدرته على الإقامة من الأموات أي التغيير الكلي. وهنا بلغت الصعوبة أقصاها عند الرافضين أيضاً، حتى أنه من شدة عدم تصديقهم عولوا على قتل لعازر والمسيح منذ تلك اللحظة!!

وهكذا بدأت آلام الموت مبكرة قبل الصليب... ولكن ما أعجبها مفارقة بحسب المنطق، فالآلام السيد بدأت علناً فور إعلانه عن شخصيته الحقيقية عندما دخل أورشليم كملك إسرائيل، وكصاحب الهيكل. أو بحسب النبوات: «وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدِ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ» (ملا ٣: ١)، ثم تقول النبوات «ومن يحتمل يوم مجيئه» (ملا ٣: ٢).

نعم، فرؤساء الكهنة وكل معلمي الناموس، والقائمون على المقدسات والتعليم، لم يطبقوا أبداً هذا المنظر! لا لأنه دخل أورشليم والهيكل بعظمة فائقة، ولكن على النقيض، لأنه جاء وديعاً متضعاً راكباً على حمار، بعكس ما كانوا يتوقعون!!

لقد بدأت آلامه بالرفض الكامل والمهانة والحقد الشديد، لأنه جاء وديعاً متضعاً بما لا يتناسب وأحلام إسرائيل، وهكذا دخل المسيح من الباب الضيق، وتمّ فيه القول «مكروه الأُمّة، عبداً للمتسلطين» (إش ٤٩: ٧).

وهكذا، يبدأ درب الصليب مباشرة لأصحاب الحق، حيناً تظهر هذه المضادة المكروهة دائماً في أعين الرؤساء، وهي عدم احتمال المناذاة بالحق من فم مستضعف!!

لذلك، لحكمة بالغة جعلت الكنيسة القبطية أسبوع الآلام يبدأ يوم الأحد، حيث في هذا اليوم بالذات تبلغ الحفاوة بالمسيح قمتها، حيناً تنشّد الكنيسة أوصنا «نخلصنا» في الأعالي يا ملك إسرائيل، مبارك الآتي باسم الرب، وفي نفس الوقت تعود في الحال تنشّد الكنيسة مزاميرها بلحنها الحزابي، وترتل الإنجيل بحزن يعصر القلب، وآثار الذبيحة تكون لا تزال قائمة على المذبح.

شيء مذهل! ولكن هذا هو مفهوم المسيح، وهذا هو مفهوم الإنجيل في وعي الكنيسة. مضادة فائقة على العقل يلتحم فيها أشد اليأس والحزن مع أشد الفرح والرجاء!! فذخر في وعي الكنيسة وذهنها أن رفض رؤساء الكهنة للمسيح وإيذائه وإهانته وسحقه على الصليب، هذا بعينه أنشأ فرحاً بالخلاص الأبدي لا يُنطق به ومجيد!!

الآلام المقبولة :

لعل أعمق ما بلغه الإنسان المسيحي من مفهوم صلب المسيح وآلامه أن الصليب بالنسبة للمسيح كان عملاً إرادياً مقبولاً «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشرها؟» (يو ١٨: ١١). بل وأكثر من ذلك أيضاً، فالآلام والصليب لم تكن إرادية ولم تكن مقبولة وحسب، ولكن صارت مقصداً وغاية جاء المسيح ليكملها «ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو ١٢: ٢٧).

هذا يجعلنا نترجم الآلام — نحن المسيحيين — ترجمة فورية بأن المسيحي الذي يؤمن بالصليب حقاً لا يستعمل حقوقه في الهرب من الصليب !! لأن الإنسان المسيحي الذي أدرك عمق الصليب وأساره، فهذا يرى الآلام جزءاً لا يتجزأ من إيمانه، بل ونصيهاً يعتز به ويسعد بتتبعه، وغاية يسعى نحوها بلا خوف !!

وفي التقليد الكنسي تقول الرواية أنه لما حكم نيرون على بطرس الرسول بالصليب، عندما جاهر بإيمانه بالإله المصلوب، جزع بطرس وراوغ الحراس وهرب. فقابله الرب في الرؤيا، وقال له إلى أين أنت ذاهب يا بطرس؟ هل تريدني أن أذهب وأصلب بدلاً عنك مرة أخرى؟... فاحتشم بطرس جداً وتألم بمرارة كيف سلك هذا المسلك المشين وخان صليب سيده؟ فعاد لتوه وأسلم نفسه لصالبيه !...

وهكذا، يضيف التقليد إلى إيماننا عنصراً هاماً وخطيراً أن الذي يهرب من كأسه ونصيبي آلامه إنما يحرم نفسه من نصيبه في آلام المسيح، ويصبح وكأنه محتاج أن يُصلب المسيح من أجله مجدداً !!

اليد الحبيبة الممدودة بكأس الآلام :

لم تخطيء عينا المسيح قط في التعرف على اليد التي تقدم له الآلام، فالمسيح لم يعتبر قط أيدي الأشرار الممدودة بالمطرقة والمسمار، ولا وجوه رؤساء الكهنة الفظة الحاقدة وهي تصرخ: أصلبه... أصلبه (يو ١٩: ٦)، بل ولم يعتبر بيلاطس كحاكم أو كناطق

بحكم الصليب، ولم تُعرأذنا المسيح إلتفاتاً إلى الشتائم وألفاظ التشني من الحاقدين والموتورين من الفريسيين وحفظة الناموس ومقدسي السبت؛ بل كانت عينه مثبته على يد الآب وحدها باعتبارها هي الماسكة بالمطرقة والمسمار، وأذنه تصغي بوضوح إلى فم الآب وحده وهو يتلو منطوق العقوبة من جلد وصلب... وقد قالها المسيح بوضوح ما بعده ووضح «لم يكن لك عليّ سلطان البتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق» (يو ١٩: ١١).

لقد ظن بيلاطس أنه كان بسلطانه أن يُطلق سراح الرب ولا يحكم بصلبه، فراجعته المسيح في ذلك، بأن ذلك إنما هو ادعاء وهم، وصحّح له مسار القضية كلها من اتهام ودفاع وقضاء. فبيلاطس كان ينطق بما تعلّمه عليه السماء!! لا بمقتضى الحكم السنهدريمي الغاش، ولا بمقتضى الحكم الروماني المفسود!... فالحكم بالآلام والموت على الصليب كان أولاً وأخيراً ممزوجاً حباً بيد الآب الذي أحبه من قبل إنشاء العالم، بل ومن أجل حب الله للعالم!!... فلم تكن فيه مرارة كما هو بحسب الظاهر، ولا كان ممزوجاً بمحقد الحاقدين وتدير المرائين بحسب الصورة والشكل، بل نصيباً مفضلاً من يد الآب نفسه يحمل جوهر الحب والقيامة والحياة!!...

ولكي نستسيغ هذا النموذج العالي، علينا أن نعود إلى التماذج الصغرى المبدعة للصلبان الصغيرة، مثل نموذج يوسف الشاب المبارك الذي لم يحقد على إخوته الذين ألقوه في البئر، ثم باعوه بالفضة ليخفي بعيداً في الغربة إلى مصر وحيداً، بل كان رافعاً قلبه وعينيه نحو الله معتبراً أن هذا نصيبه من يد الله مباشرة، فلم ير يوسف يد «أخيه» الخشنة الخائنة التي أدلته بالحبال إلى هاوية البئر، ولا انغلق قلبه من نحو إخوته وهم يقبضون ثمن دمه وهم يبيعونه للإسماعيليين، بل في كل هذا كان ينظر إلى اليد الخفية، يد الله نفسه، وهي تصيغ هذه الحوادث معاً. فنسمعه في النهاية يُطمئن إخوته عند افتضاح كل شيء ويقول لهم: «ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله... أنتم قصدتم لي شراً، أما الله فقصد به خيراً...» (تك ٤٥: ٨، ٥٠: ٢٠).

لقد جاء المسيح ليرفع هذه الخبرات الصغرى وهذه النماذج الفردية إلى منهج عام، وقانون إلهي، وصليب فادي كبير، ودستور عهد الله مع الإنسان الذي ختمه بدمه وضمّنه بروحه القدوس، قوامه أن ما من ألم وضربة تصيب خيمتنا الأرضية إلا ورواؤها أحزنُّ يد في الوجود، يدُ الله، تلعب دورها بالحب الخالص!! فيد المسيح المشقوبة والتي عليها نُقشَ إسمنا مسبقاً، قد ضمنت خلاصنا جاعلة من آلامنا اليومية وأتاعبنا التي تبدو جزافية — مع اضطهاد ظالمينا ووجود الذين يتعاملون معنا كل يوم — صليباً جليلاً غاية الجمال يحمل لنا بذرة الحياة الأبدية، وله رائحة المسيح الزكية شبه صليبه في المجد!!...

إغفر لهم :

وليس أدل على قبول المسيح لكأسه من يد الآب، بكل ما فيه من المهانة والفضيحة والعار والألم حتى الموت، وكأنه الحب كل الحب دون تشكك أو تبرُّم أو حتى معاتبة أو أنين، من قوله «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون» (لوقا: ٢٣: ٣٤)، وذلك في الساعة الأخيرة عندما بلغ الألم أقصاه، وبلغت الفضيحة مداها، وصار الموت على مدى شبر أو دون.

فلولم تكن عيننا المسيح مثبتة على يد الآب الممدودة بكأس الألم والموت، ما استطاع المسيح أن يتجاوز المرارة المحيطة به، والعداوة الجاهلة، والأحقاد والتشقي، والظلم الفادح، وكل الحماقات التي أملاها الشيطان على الرؤساء ومقدمي الشعب وعلى التلميذ الخائن!!...

لذلك، حينما طلب المسيح مثلاً أن ندعو في صلواتنا اليومية بالغفران للذين أساءوا إلينا، لم يكن طلبه هذا من فراغ، ولا كفرائض الناموس العاجزة عن الفداء والخلاص، بل على أساس خلفية الصليب القائم على الطاعة لمحبة الله، والذي طالبنا أن نحمله على شبهه ومثاله.

فالذي ينوي أن يحمل صليب المسيح، عليه أولاً وقبل كل شيء أن لا يتخضع

بنظره وراء الأيدي الخشنة الصالبة لآماله ومشاعره، أو يتوه عقله في خبث نيات المتربصين ومؤمرات الحاقدين، ولكن عليه أن يثبت نظره نحو اليد المحبة الحانية التي وضعت نير الصليب على الكتف بكل المواصفات التي تمت في صليب المسيح، كنصيب معين ومحدد بكل دقة وبحسب تدبير المحبة الإلهية التي تقيس كل شيء على قياس مجد المسيح، وباعتبار أنه مهما ثقل صليبنا ومهما تهادى العدو مع الأشرار في التثقيب بكل حماقة بالجمل الموضوع على كتفنا الضعيف، فإن اليد الإلهية تقيس بدورها أيضاً مقدار ما يناسب من ثقل المجد المقابل في صليب المسيح، بحيث لو رُفِعَ عن أعيننا - ولو إلى لحظة - الغشاوة التي ينسجها العدو ضدنا في هذه اللحظات، مع وهن النفس والملل والأعصاب المتأثرة، لأدركنا أن خفة هذا الصليب مع كل ضيقتنا الوقتية قد أنشأت بالفعل ببرهان الروح ثقل مجد أبدي موضوع لنا أمامنا في السماء ومنظور بالروح في عمق أعماق القلب مما يسهّل علينا بالفعل أن نغفر بكل القلب ونستمدى في الغفران حتى إلى الدعاء والحب لكل من أساء إلينا وأضر بنا مهما بلغت الإساءة، ومهما بلغ الضرر ولو إلى حد الموت!!!...

فالحياة الأبديّة بكل أجمادها الباهرة كامنة في سر الصليب الصغير الحلو الذي وضعه الرب على أكتافنا!!!...

عداوة لا بد منها،

أما حقّ الذين صلبوا المسيح فلم ينته بعد!

بمجرد أن ظهرت قوة المسيح الفارقة واستعلنت معجزاته وشاعت أعماله وأقواله المنيرة الباهرة، قام رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيون وكل من كان يتعيش باسم الدين ومن وراء خدمة الدين، يُشكّكون أولاً ثم يهاجمون ثم يتربصون ويصطادون الكلمات والأعمال. وأخيراً كان لابد من التآمر في الخفاء واتخاذ اللازم بأقصى سرعة للقضاء على هذا الدخيل قبل أن تضيع هيبتهم وتكسد تجارتهم، بحسب تعبير رئيس الكهنة نفسه.

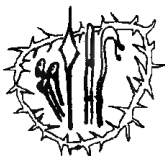
فالذي يلزم ويتحتم أن يبرز أمام أعيننا تجاه السبب المباشر في الوقوف ضد المسيح

وصلبه من حيث تصرف العالم نحوه، يمكن تلخيصه في جملة واحدة هي «نجاح المسيح الباهر»، نجاحه في الرفع من روح الشعب وفهمه للناموس وإسعاد الناس عامة، وعلى وجه الخصوص الخطاة والمنبوذين والمذلين والمرفوضين والمسحوقين والمرضى بأمراض ميثوس منها والمأسورين برباط الشياطين!!...

مرة أخرى، نجاح المسيح وحبه وحنانه ولطفه هو سبب كل آلامه وصلبيه، هذا من جهة العالم!! أما من جهة الله الآب، فكان الأمر عكس ذلك تماماً، ففي الصليب كانت قد تقرر المشورة الأبوية بموافقة الابن بكل الطاعة والرضى، لإنقاذ العالم حتى لا يهلك كل من يؤمن بالمسيح وآلامه. فالصليب هو القللك الجديد الذي يحمل من كل المستويات، الذي يسير وسط طوفان العالم وتهديدات الموت حتى هذه الساعة، لكي يبلغ بجماليه إلى شاطئ عالم السلام الأبدي.

ونفس نوع العداوة التي أظهرها جنود عالم الظلمة ورئيسه من نحو المسيح المخلص، وكل أحقاد الصالحين من رؤساء وشيوخ، التي كانت تتحرك من دوافع ذاتية للمنفعة، مع تعصبهم الأعمى المزيف للحرف، لا تزال كما هي حتى الآن، تصوب بنفس الجهالة والتعصب الأعمى المزيف نحو كل من عزم أن يعلن المسيح في حياته ويسير على أثر خطواته.

(١٩٧٨)



جثسيماني: بستان «معصرة الزيت» (*)

أكتب إليكم أيها الأحباء عن واجبتنا إزاء المقيدين والمذلين في العالم والسائرين في طريق الموت باعتبار أنها رسالة حياتنا، لأن هذا قد وُضع علينا بإرادتنا، ولأن لا خلاص لنا إلا بقدر ما نرى أنفسنا مسؤولين عن خلاص الآخرين، أو كيف نرتاح في أنفسنا وإخوتنا لا راحة لهم، والرب يحذرننا: «إن لم تكونوا أمناء في ما هو للغير فن يعطيكم ما هو لكم؟» (١).

واليوم أكتب إليكم عن سر غني من أسرار المسيح فات علينا أن نتممه ونعيشه، وهو سر جثسيماني، سر الصلاة التألمية التي أسنّها المسيح لتكون الخلفية الحيّة لحمل الصليب، إذ لا يمكن يا أحبائي أن يكون صليب بدون جثسيماني. فكل من ارتضى أن يكون تلميذاً للمخلص ووضع في قلبه أن يحمل الصليب، فعليه أولاً أن يقتني «جثسيماني»، الذي تفسيره بستان «معصرة الزيت»، ليمارس صلاة العرق الذي يتصب كقطرات دم، ليكون على مستوى الصليب.

كلنا أيها الإخوة، دُفنا صلاة التوبة بدموعها الحارقة، وارتوينا من صلاة المزامير حتى الشبع، ومنا من اخترت صلاة المناجاة توسلاً أو تشفعاً أو حباً خالصاً، بل ومنا من تكرم بأن أنعم عليه بصلاة الرثاء صلاة إرميا النبي عن قتلى الشعب (الخطاة)، والقليل جداً من وهب دموع راحيل (الكنيسة) وبكاءها المرعى أولادها الذين أخذوا من حضنها وماتوا بعيداً عنها (المرتدين)، ولكن بقيت صلاة لم يفتح سرها بعد أمام قلوبنا، صلاة جثسيماني، بأعماقها وأحزانها... فلقد أبقاها المسيح للنهاية لتكون جزءاً لا يتجزأ من الصليب، ابتدأها يسوع لما دنت الساعة، لما أكمّلوا المشورة عليه واتفقوا على الثمن وقبض الخائن وتحرك الشامتون والهاقدون، فدخل المسيح جثسيماني ليسكب نفسه في جهاد الصلاة ليوافق الصليب والصّالين.

(١) لوقا: ١٢: ١٢.

دخل يسوع جثسيماني، وأبقى الثمانية عند الباب وأوصاهم بالسهر والصلاة لأن التجربة عليهم بالمرصاد، ثم أخذ الأخصاء الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا ليشهدوا ويسجلوا أروع مواقف الرب وأعظم آلامه: «وبتبدأ يحزن ويكتئب» (٢)، وكأنه يدخل الصليب مسبقاً ويفرس المسامير في جسده بيديه! ... عجيب هذا المخلص الذي يعلمنا كيف ندخل الموت طوعية بالصلاة النازقة!! «نفسى حزينة جداً حتى الموت» (٣) ... وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشد الحاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض» (٤)!

الآن أدركت لماذا اختار الرب بستان «جثسيماني» الذي تفسيره «معصرة الزيت»، إشعياء النبي يكشف سر المعصرة هذه «من ذا الآتى من آدوم بثياب حمراء من بصرة، هذا الهبي بلباسه المتعظم بكثرة قوته، أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص، ما بال لباسك مُخمرٌ وثيابك كدائنس المعصرة؟ — قد دسست المعصرة وحدي ومن الشعوب (التي فديتها) لم يكن معي أحد» (٥).

لقد دخل المسيح في صلاة جثسيماني كما يدخل الإنسان المعصرة، وقد شاهد التلاميذ الأخصاء كيف انعصرت بالفعل نفسه وصار عرقه ممزوجاً بالدم يتقطر على الأرض! ولثلاث مرات، تماماً كالتجربة على الجبل، واجه الرب هذه التجربة أيضاً في صراع مر وجشوا الركب حتى التراب، وفي كل مرة يقوم ليوصي تلاميذه بالسهر ليستسلموا سر الفداء بكل ما فيه من أوجاع وعناء! ولكنه في كل مرة كان يجدهم نياماً، هفي على بطرس النائم والمعلم أمام عينيه يجوز غصة الموت، والمشورات قد وُضعت من بعيد، والخطط أحكمت على التنفيذ، والمال دفع، والشهادة أعدت والشهود، والقتل حللوه بالقوانين والبنود، وتبارى القاتلون وكأنهم يقدمون خدمة لله!!

«لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا فماذا يكون باليابس» (٥)؟ وكلنا

(٢) مت ٢٦: ٣٧.

(٣) مت ٢٦: ٣٨.

(٤) لو ٢٢: ٤٤.

(٥) إش ٦٣: ١-٣.

(٥) لو ٢٣: ٣١.

يابسون، فهل نقوى على التجربة ونحن ناثمون؟ أيكن أن نحتمل يوم الصليب وعنف الصالين ونحن لم ندخل جثسيماني ولا سهرنا في جهاد الصلاة واللجاجة «ولا ساعة واحدة» (٦)؟

يا أحبائي انتبهوا: لقد أسس المسيح لنا في «جثسيماني» مدينة ملجأ، «بصلاة المعصرة»، نعم بصلاة الصراع على مستوى الموت لغلبة الموت! اسمعوا القول «نفسى حزيننة جداً حتى الموت» لقد دخل المسيح بالصلاة الحزينة إلى عمق الصليب، وبالعناء «والصراخ الشديد والدموع» (٧) حوّل العرق المتصبب إلى قطرات دم تتساقط!! وكأنه نزيف إرادي!...

إن الصلاة في جثسيماني هي سر النصر على التهديد بالموت، إذ كيف يخشى الموت من بلغ الموت بصلاته، أو كيف يهاب نزيف الموت على الصليب من بلغ بأحزانه نزيف الدم في قيامه وسجداته؟

ولكن نحن لا ندخل جثسيماني من أجل أنفسنا، وهل كان المسيح يجاهد بالعرق والدموع من أجل نفسه؟ إن الشركة في آلام الرب وأحزانه من جثسيماني حتى القبر عبوراً بكل حوادث الصليب هي أفخر ميراث للذين حملوا هم خلاص الشعب، وثقلوا أنفسهم بمصير الخطاة، وهزل جسمهم وطار نومهم من أجل المظلومين والمذلين والمطروحين خارج السياجات، هؤلاء الذين قبلوا شرف تكميل آلام الرب في أجسادهم وفي نفوسهم من أجل الكنيسة.

نعم هؤلاء أسس الرب منهج جثسيماني في الصلاة، صلاة معصرة النفس بأحزان وصراخ شديد ودموع، لكي يكون لهم فرصة أن يسمع لهم من أجل تقواهم ويقضى لهم قضاءهم ويخلص بذراعه كل من يسهرون ويتشفعون من أجل خلاصهم!...

(٧) عب ٥: ٧.

(٦) مت ٢٦: ٤٠.

ولكن أين نحن من جثسيماني وأين جثسيماني من صلاتنا؟... ياويل الكنيسة التي ليس لها جثسيماني... ياويل الراعي الذي لم يدخل بابها... لذلك فالفقودون لا يعدون من الكثرة، ولا يوجد حتى من يذرف عليهم دمعة!!، والباقون ليس من يسهر على حراساتهم في أهوال هذا الليل الطويل المظلم... وما فات هين، والقادم أظلم!

ألم يتحقق ما قاله داود ثم ما قاله التلاميذ، وهما نحن نردده واثقين، «قد ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل، قام الملوك وتآمر الرؤساء معاً على الرب وأولاد مسيحه، لنقطع الأغلال (ربط المودة) ونطرح عنا نيرهم (نير الأخوة والعلاقات)»^(٨).

حينما كان الخائن يضع الخطة مع الحاقدين والمتآمرين، كان الرب يصارع في مجاهدة بحزن ومرارة، ساكباً نفسه للموت بعرق كالدّم، مع جثو الركب المستمر على التراب ثلاث مرات. وهكذا افتتح لنا الرب منهج الاستعداد الفريد بالصلاة التألمية «صلاة جثسيماني» صلاة ما قبل الصليب، حتى تنكسر حدة «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة»^(٩).

إن الأيام تجري، والأرجل مسرعة، والأمر يحتاج إلى معجزة فائقة، والمعجزات واردة بالإيمان ولكنها تحتاج إلى عمل فائق، جثسيماني لا غير!! حيث يجوز الرعاة المعصرة وحدهم: «ليبك الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح ويقولوا اشفق يارب على شعبك ولا تسلم ميراثك للعار... لماذا يقولون... أين إلههم؟»^(١٠).

فالنجاة قريبة وهي بروح الله «لا بالقدر ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود»^(١١). ولكن أتى لنا بروح الله ونحن لم نتعلم الصلاة، صلاة الصراخ ليل نهار كشرط الرب، ما أصعب الصلاة المنتصرة، لقد أعطانا الرب في جثسيماني نوعاً خاصاً فريداً لصلاة «الضيقة العظمى»، صلاة «الحصار»، والصابون على الباب.

(٨) لوقا ٢٢: ٥٣.

(٩) مز ١٠٢: ٣.

(١٠) زك ٤: ٦.

(١١) يوحنا ١٥: ١٧.

ولكن السؤال الصعب من أين لنا أن نجاهد في صلاة «المعصرة» حيث يمتزج العرق بالدم عن نفوس نحن لا نحس بقيمة موتها أو حياتها؟؟؟ لا يقلقنا خلاصها أو هلاكها؟؟...

يا إخوة لا يحس بقيمة خلاص النفس البشرية ولا ينزعج لهلاكها إلا من له روح المسيح، والذي ليس له روح المسيح فالمسيح ليس له...

لقد كان المسيح يجاهد في جثسماني بأعمق ما فيه من أحزان وعرقه يتصبب كالدم، والقاتلون على الباب، وبالرغم من هذا كله كان التلاميذ ينامون والشجاع «بطرس» مثقل جداً بالنوم!! وذلك لأنهم لم يكونوا قد أخذوا روح المسيح بعد، ولا استعلننت لهم تكاليف الفداء ولا حلوا مسؤولية الكرازة وخلاص الناس!! وهم في ذلك كانوا معذورين. ولكن أن ننام نحن، ونحن نقول أن لنا روح المسيح وأنا مدركون تكاليف الفداء وقد حملنا مسؤولية النفوس، فهذا أمر لا يطيقه الإيمان، وهو كفيل بمجد ذاته أن يعجل بساعة الظلمة ويطيل ليل الآلام و يعمق التجربة، وفي هذا كله لن يلام الله!!

فإما جثسماني وإما الهروب في ساعة التجربة، فلنحذر لأن ليس للوضع بديل .
يا إخوة قد تُفرقنا في أيام السلام المعارف والنظريات ؛
وقد تُفرقنا في أيام العمل عظمة الرئاسات والمسئوليات ؛
وقد تُفرقنا في أيام الغنائم الأحقاد والمخاصمات ؛
ولكن ماذا في أيام المحن والضيقات ؟ ماذا وشبح الصليب قد ألقى ظله على الأفق البعيد؟ فإذا لم تجمعنا جثسماني ماذا سيجمعنا إلا منجل الحصاد!

وإن كنا قد أخفقنا في أيام سلامنا في كل شيء، فلا ينبغي أبداً في أيام ضيقنا أن نخفق على باب النجاة!! لو أمكن لنا بشيء من البصيرة أن نتصور الخسارة قبل حدوثها لأخذنا الدوار ودهمنا الرعدة ولكن لو انتبهنا إلى المطلوب عمله لبلوغ النجاة لأذهلنا قيمته المبسطة والمقسطة، فجثسماني حصننا في يوم الصليب!

ولكن ينبغي أن نلتفت أن جثسيماني لا تعفينا من الآلام، ولا تتجاوز لنا الصليب، ولا تلغي ضريبة القبر، فالمسيح صلى في جثسيماني وصلب ومات وقبر، ولكنه قام!!

والمسيح لم يأخذ في جثسيماني إعفاءً من الصليب، ولكنه أخذ صكاً بالقيامة!! لقد أمضى الرب بعرقه الممزوج بالدم الحروف الأولى من معاهدة الفداء والقيامة، وعلى الصليب أكمل الإمضاء والختم.

صلاتنا في جثسيماني تؤمن لنا الشهادة أمام بيلاطس، وتضمن لنا النصر على الصليب، وتشجع التلاميذ والتابعين والشعب من قريب ومن بعيد حيث لا يعود «اصليه اصلبه» بل «اصلبنا اصلبنا!». لقد حق جداً للمسيح أن يقول عذراً في هذه الساعة الخطيرة: «أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية» (١٢).

إن صلاة جثسيماني لم تأت جزافاً قبل الصليب بساعات قليلة، فنحن لم نسمع على مدى حياة الرب كلها عن صلاة مثل صلاة جثسيماني... فهي لا تصلح لكل ساعة، لقد أسسها الرب لتكون جزءاً حياً من الصليب!! إن صلاة المعاناة بتألم شديد أمام الله وبمجاهدة جسدية عنيفة «بصراخ شديد ودموع» (١٣)، قادرة أن تغير المجازاة والمقادير «فسمع له من أجل تقواه»!! وبقدر المعاناة تكون المجازاة... فكم مرة استطاع موسى أن يغير قضاء الله من جهة إفناء الشعب بأجمعه؟

أما الضيقات «فنحن موضوعون لهذا»، ولكن الخطر كل الخطر أن تأتي الساعة ونحن لم نقتن صلاة المسيح في جثسيماني، لأننا حتماً سنكل ونخور ولن نضبط قوة على صبر أو احتمال: «فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا في نفوسكم، لم تقاوموا بعد حتى الدم (بالصلاة)» (١٤).

(١٣) عب ٥: ٧.

(١٢) مت ٢٦: ٣١.

(١٤) عب ١٢: ٤٣.

إذن فنحن مطالبون إزاء كل مقاومة أن ندخل بستان معصرتنا ونقاوم مع الله في الصلاة حتى الدم...
هذا هو منهج الصليب الذي رسمه الرب بدمه في جثسماني!! وهو أصلح ما يكون لنا في هذه الأيام.
(أبريل ١٩٧٦)



سر الإفخارستيا

من رسالة معلمنا بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس:

«لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعد ما تشربوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء. إذاً أيُّ من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرمًا في جسد الرب ودمه. ولكن ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس. لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب» (١ كور ١١: ٢٣-٢٩).

* * *

١ — «لأنني تسلمت من الرب...»:

معروف أن بولس الرسول لم ير المسيح بالجسد، لأنه آمن بالمسيح بعد موته وصعوده حتى و بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين. إذن فقد استلم بولس الرسول هذا السر أي سر الإفخارستيا — سر تقديم الجسد والدم كذبيحة في هيئة خبز وخمر متحولين — من الرب نفسه بعد القيامة بصورة سرية أيضاً وفائقة على المعرفة وعلى التسليم العاديين. وهذا يبين مدى أهمية هذا السر بالنسبة للإيمان المسيحي، فهو الخلاصة العملية لكل التعليم المسيحي أو هو محور الإيمان بالمسيح، والمنطلق العملي للحياة مع المسيح أو بالمسيح لتكون شعباً مبرراً وأمة مقدسة.

وهذا مما جعل المسيح بنوع خاص يسلمه بالروح للقديس بولس الرسول كما سلم

الله لموسى قديماً الشريعة مكتوبة بأصبع الله نفسه، أو كما سلمه بالرؤيا مواصفات خيمة الاجتماع بكل دقائقها مع طقوس الذبيحة والكهنوت بكل تفصيلاتها...

وهذا يجعلنا نهتم جداً أن نأخذ تفصيلات وشروح بولس الرسول بخصوص هذا السر مأخذاً جدياً للغاية، فهو يُعتبر لدينا على أعلى مستوى من الوقار والقداسة كما كان ناموس موسى وشريعته بالنسبة لبني إسرائيل تماماً بل وأكثر.

فكما أن ناموس موسى وشريعته كانا المؤهل الوحيد الذي جعل بني إسرائيل شعباً لله، كذلك أصبح هذا السر بكل تعاليمه بالنسبة للذين يؤمنون بالمسيح. والمسيح نفسه سبق وأوضح هذه الحقيقة بقوله: «الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم» (يو ٦: ٥٣).

٢ - «أن الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً...»:

هنا يبين بولس الرسول بكل وضوح تاريخ بداية تأسيس السر وعلاقته الصميمية بموت الرب.

فالرب لم يؤسس هذا السر في بداية خدمته، لا بعد المعمودية مباشرة مثلاً ولا بعد صوم الأربعين ولا بعد سنتين أو ثلاثة ولا كنهاية لتعاليمه، ولكنه أخره متعمداً حتى ميعاده المضبوط تماماً «في الليلة التي أُسلم فيها». فعيننا انتهى من كل تعاليمه، وحينما أكمل كل حبه، وحينما سلم لتلاميذه كل أسرار علاقته بالآب، ثم إذ دخل بالفعل في ساعة الصفرة وتقرر البدء في تنفيذ الصلب ودفع للخائن الثمن وتعين زمان ومكان التسليم وأحس المسيح بدنو ساعة الموت، حينئذ أخذ خبزاً وبارك وأسس أعظم أسرار الوجود الإنساني على الأرض بل وأعظم أسرار الحياة قاطبة الذي صار للإنسان المائت ترياق عدم الموت، وقوة للقيامة ومفتاحاً للخلود...

إذن ينبغي أن نرسخ في شعورنا وتفكيرنا ووجداننا هذه المناسبة الزمانية الصميمية القائمة بين سر الإفخارستيا وموت المسيح:

« في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً... »، لأن هذه المناسبة التاريخية — أي الزمانية القائمة بين تأسيس السر ولبلة التسليم للموت — أصبحت بعد تحول الخبز والخمر مناسبة كرازية فائقة للزمان تستغرق كل الزمان ثم تتخطاه إلى الأبدية اللاهائية: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء!!» (١ كور ١١: ٢٦).

السر هنا يربط بين المسيح الجالس مع تلاميذه والمتحد معهم بسر الحب ساعة العشاء يوم الخميس والموت على الأبواب وبيننا نحن في كل الأجيال وعلى مدى كل الزمان، والموت يداهمنا يوماً بعد يوم. هنا سر الإفخارستيا هو سر المسيا الكائن الذي كان والذي يأتي، المتحد بأولاده بجسده السري عبر الزمان كله يحْيِيهم بسر موته المحيي!

ونحن نأكل الآن وكل يوم جسد المسيح ونشرب دمه، كت تحقيق على مستوى الكرازة العملية أن المسيح مات وقام وأنه آت حيث يُستعلن يومئذ اتحادنا معه الذي أكمَلناه في سر الإفخارستيا، وينكشف علانية كيف عشنا وسنعيش إلى الأبد بموته. لأنه إذا كان الجسد والدم هما الآن محييان لنا، فلأن المسيح مات عنا بذات الجسد وقام. وإن كنا مطالبين الآن أن نكون جماعة متحدة بالحب ونصير كإنسان واحد حي في المسيح، فذلك لأن المسيح قدّم في سر جسده ودمه سر موته وقيامته لكل واحد منا كالأخر.

سر الموت هنا يرفع الفوارق تماماً. المسيح هو هو قائم ميتاً وحيّاً في كل واحد، قد نحسه الآن في واحد أو في آخر مجرد إحساس خفي، ولكن حينما يجيء المسيح سيستعلن في كل واحد منا كالأخر بقوة، وتستعلن الكنيسة كلها كإنسان واحد كامل مات وقام فيه المسيح، قائم بكل ملئه وكماله؛ حيث يظهر المؤمنون متساوين في الموت والحياة، متحدّين بالحب بصورة تجعل الكل واحداً بالحق ليس فيهم أي فرقة أو انقسام، لأن المسيح الواحد في كل واحد منهم كالأخر، سيظهرون وكأنهم إنسان واحد متعدد المحاسن والكمالات.

بشارتنا الآن بموت الرب كلما أكلنا من الخبز وشربنا من الكأس هي واقع حال السر الإلهي، لذلك فهي لازمة وحتمية إلى أقصى حد، لأن اعترافنا بموت الرب الذي نأكله ونشربه يلغي موتنا كل يوم الذي نموته بالخطيئة، يلغي فُرقتنا، يلغي عداوتنا، يلغي كبرياءنا... حياتنا الأبدية تنبع لنا دائماً من حيث نشهد بموت الرب الذي نأكله ونشربه في السر، لذلك كان الجسد المكسور والدم المهرق في الإفخارستيا نَبْعَ حياة أبدية لنا منذ عشاء يوم الخميس حتى اليوم وإلى نهاية الدهور كلها.

٣ — سر عشاء الخميس نواة الكنيسة كلها:

تكرم الكنيسة لتأسيس سر الإفخارستيا يوم (خميس العهد) من كل سنة ليس مجرد تذكارات تاريخي، المسيح وجماعة الرسل المجتمعين في ذلك المساء حاضرون معنا الآن بجملتهم في الكنيسة هنا عندما يقام هذا السر، وليسوا هم وحدهم، بل وأيضاً كل الذين ضمتهم الكنيسة إلى جسد المسيح. السر في جوهره يضم باستمرار إلى جسد المسيح كل الذين يخلصون. فإذا تصورنا سحابة هائلة تمتد حتى عنان السماء ثم فحصنا كل نقطة ونقطة فيها من ذرات الماء الكثيف، واكتشفنا أن كل نقطة عبارة عن وجه قديس أو روح بار مكمل بالمجد، فهذه ربما تعطي صورة تقريبية للكنيسة. ولكن إذا دققنا وجدنا أن قوة تجمُّع وانجذاب كافة النقاط معاً بهذه الصورة تنبعث من الوسط، حيث توجد مائدة صغيرة في وسطها الرب وحولها التلاميذ؛ فتكون هذه هي الصورة التقريبية لسر عشاء الخميس.

(أ) صورة الإفخارستيا عند مسيحيي القرن الأول

من سفر الأعمال ومن رسائل بولس الرسول يتضح أن المؤمنين كانوا يركِّزون باهتمام شديد على اجتماعات الشركة التي تنتهي بكسر الخبز، و«كسر الخبز» هو التعبير الأول عن إقامة سر الإفخارستيا الذي كان يلازمه صلوات كثيرة. «وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات» (أع ٢: ٤٢). وهذه كلها أوصاف لاجتماع الكنيسة للتناول. وهي عبارة عن ليتورجيا تنتهي بالتناول

كانت تبدأ بقراءات من الكتاب المقدس يتبعها تعليم الرسل كشرح لها ، ثم المستعدون للتناول يجتمعون حول الكاهن الذي يقدم صلاة شكر طويلة ثم يكسر الخبز الذي يتناوله الجميع مع كأس البركة في النهاية .

وأهم ما يسترعي انتباهنا في صلوات كسر الخبز في العصر المسيحي الأول مقدار الفرح والبهجة وبساطة القلب التي كانت تملأ المؤمنين أثناء وبعد تناول . « وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب » (أع ٢: ٤٦، ٤٧) .

وهذا يدلنا في الحال على حضور المسيح في وسطهم الذي كان يجعلهم في حالة من الفرح الروحي الشديد . و يلاحظ في الآية السابقة الربط بين « كسر الخبز » وتناول الطعام ، لأن سر الإفخارستيا كان يتبعه في الحال وعلى نفس المائدة وليمة المحبة التي كانت تُسمى الأغابي ، التي سرعان ما انفصلت عن زمان ومكان الإفخارستيا وأصبحت تقام في مكان خاص و بنظام خاص بعد تناول .

وأوضح مثال لذلك ما هو موجود في الأديرة القبطية حتى اليوم ، فالمائدة تكون خوراً من خوارس الكنيسة ، إذ كان يخرج الرهبان المتناولون من الهيكل ليلتفوا حول المائدة كل يوم أحد وفي الأعياد .

وسرعان ما اختفى اصطلاح « كسر الخبز » للتعبير عن تقديم الجسد والدم وخلق محله اصطلاح « الإفخارستيا » ومعناها « الشكر » ، وهي مأخوذة من وصف صلاة التقديس التي كانت تقال على الخبز والخمر فيتحول بعدها إلى الجسد والدم ، إذ أنها كانت عبارة عن صلاة شكر ، وهي التي لا يزال يرددّها الكاهن باختصار على الخبز والخمر عند التقديس والرشم بقوله « وشكر » ، وكانت أصلاً صلاة شكر طويلة مأخوذة من صلوات الهيكل اليهودي .

وأول ما وردت كلمة « الإفخارستيا » كاصطلاح للتعبير عن صلاة تحويل الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح ، وردت في كتابات القديس إغناطيوس الأنطاكي الذي

استشهد سنة ١٠٧م. واستخدمها بكثرة بعد ذلك القديس يوستين الشهيد الذي استشهد سنة ١٦٥م.

الإفخارستيا كواسطة لوحداية الجماعة في المحبة:

في العصور الأولى كان اجتماع الإفخارستيا بالنسبة للمؤمنين والمعتمدين حديثاً والمقدّمين للمعمودية واجباً مسيحياً هاماً للجماعة، يعبر عن حالة محبة قوية ويزكّيها ويلهبها، فكان بمثابة روح الحياة وجدّتها.

وتعطينا قصة أعمال شهداء قرطاجنة بشمال أفريقيا صورة مبدعة لمعنى الإفخارستيا وقيمتها لدى جماعة المسيحيين الأوائل.

تقول القصة إن السلطات الوثنية قامت بالقبض على خمسين من المسيحيين وهم على وشك الإنتهاء من صلوات الإفخارستيا، فكان السؤال الخطير المعتاد: هل اشركتم في العبادة؟ وكان الرد بالإيجاب كفيلاً بأن يؤدي إلى الإعدام، وكان الرد بالنفي سهلاً وممكنأ جداً، ولكن كان في عرف المسيحيين أن إنكار الإفخارستيا معناه إنكار الإيمان بالمسيح جملة!! فلما ضيق القاضي الخناق على أحد الشماسة (بدرجة قارئ) وإسمه إمريتوس Emeritus ليشرح له ما هو السر، قال القارئ: «بدون اجتماعنا وتناولنا من هذا السر لا نستطيع أن نعيش!...»

أما المؤمن فيلكس فأجاب القاضي على نفس السؤال بقوله: «المسيحيون يقيمون سر الإفخارستيا وسر الإفخارستيا يقيم المسيحيين، ولا أحد يستطيع أن يعيش بدون الإفخارستيا».

ومن هذه الردود نتبين مقدار أهمية هذا السر المقدس في حياة المؤمنين الأوائل وتعلقهم به هذا التعلق الشديد. ومن الأوصاف التي وردت في هذه القصة، يتبين لنا أن مقدّم السر وهو الأسقف يساعده بعض الكهنة، كان يقبل كافة المؤمنين بقبلة المحبة التي كانت تربط الجماعة معاً بروح أخوة شديدة. وكان الشعب يشترك مع مقدّم السر في الصلاة بمحاور مستمر حتى نهاية الصلاة. وكان الشماسة عليهم أن يحملوا نصيب الغائبين إلى بيوتهم...

(ب) صورة الإفخارستيا من القرن الثاني

و يقدمها لنا الشهيد يوستين الذي عاش في منتصف القرن الثاني (١٥٠م). وهو يقدم لنا وصفين للإفخارستيا: الأول إفخارستيا المعمدين الجدد، والثاني إفخارستيا المؤمنين العادية:

أولاً — إفخارستيا المعمدين الجدد:

[عندما نفرغ من عماد الذي يكون قد آمن وانضم إلينا ، نُدخله إلى جماعة الإخوة حيث يكونون مجتمعين معاً . ونبدأ بالصلاة معاً من أجل نفوسنا بحجارة ثم من أجل هؤلاء المعمدين ثم من أجل الآخرين في كل مكان ، حتى نحصل — بواسطة معرفتنا للحق — على النعمة التي تؤازرنا في عمل الصلاح وحفظ الوصايا لكي نبلغ إلى خلاصنا الأبدي . وبعد أن نقبل بعضنا بعضاً بقبلة السلام نستمر في الصلوات . و يقدم لرئيس جماعة الإخوة الخبز وكأس الخمر والماء . فيمسك بهما ، مقلماً التسبيح والمجد للآب السماوي باسم الابن والروح القدس . ثم يصلي صلاة شكر مطوّلة من أجل النعم التي وهبها الله لنا . وبعد أن يختم الصلوات والشكر يرفع الشعب كله صوته قائلين : آمين . وهي الكلمة العبرية التي تعني « نعم هكذا يكون » (وفيها مصادقة على كافة الوعود المذكورة في الصلوات مع انتظارها) .

وبعد أن ينهي الرئيس صلوات الشكر ويستجيب الشعب لنداء الشماسة بصلوات يقولونها في سرهم حسب دعوة الشماس ، يبدأ الشماسة في توزيع قطعة خبز (أي الجسد) لكل واحد من الحاضرين مع خمر الإفخارستيا الممزوج بالماء (أي الدم) ويحملونها أيضاً للغائبين] .

(مترجمة حرفياً من دفاع يوستين الأول)

الفصل ٦٥ من ١ — ٥

و يوضّح القديس يوستين الشهيد في موضع آخر أن تقديس الخبز إنما يتم بواسطة

صلاة مجموعة من كلمات المسيح (الدفاع الأول : الفصل ٦٦، ٢٢).

ثانياً — إفخارستيا يوم الأحد :

[في اليوم الذي يُقال له يوم الأحد يتجمع المؤمنون الساكنون في المدن والقرى في مكان واحد. وأول ما يُقرأ يُقرأ أعمال الرسل (أي كتاباتهم وهي تشمل الأناجيل والرسائل طبعاً) ، أو كتابات الأنبياء ، إذا كان الوقت يسمح بذلك .

وعندما تنتهي القراءات يقوم الرئيس و يبدأ يعلم بالكلمة ليحضنا على الإقتداء بهذه التعاليم الصالحة . وبعد ذلك نقوم جميعاً ونقف لنصلي . وعندما ننتهي من الصلوات ، يؤتى بالخبز والخمر والماء و يبدأ الرئيس بتقديم الصلوات والتشكرات على قدر إمكانياته ، والشعب يجيب دائماً بآمين . وبعد ذلك يوزع سر الشكر و يرسل نصيب للغائبين بواسطة الشماسة] .

ومن وصف القديس يوستين الشهيد يتضح أن القداس قديماً كان كما هو الآن تماماً ينقسم إلى جزئين : الجزء الأول للقراءات والوعظ ، ويسمى ليتورجيا خدمة الكلمة ، وينتهي حيث يتبدى الجزء الثاني بالقبلة أي قبلة السلام ، التي يقبل بها مقدم الجماعة كافة المؤمنين أولاً ثم التي يقبل بها الشعب بعضهم لبعض . وقد صارت الآن قبلة الكاهن للكهنة فقط ، وتحولت من قبلة إلى مصافحة .

(ج) الإفخارستيا في القرن الثالث

احتفظ لنا التاريخ بوصف مفصل للقداس في القرن الثالث ، وهو المعروف بقداس الرسل لهيبوليتس أسقف رومية الذي تنجح سنة ٢٣٥ م . وهذا القداس يعتبر القداس الكامل الوحيد الذي وصل إلينا قبل انقسام الإفخارستيا إلى التقاليد الشرقية والغربية ، وهو لا يزال يصلّى به في أثيوبيا حتى اليوم ، ويمتاز بوضوح صلاة حلول الروح

القدس أثناء التقديس بعكس قداس يومتين الشهيد الذي يتم التقديس فيه بكلمات الرب يسوع.

(د) الإفخارستيا في القرن الرابع

وهو القرن المعروف بقرن تأليف الليتورجيات أو القداسات . وقد تم فيه وضع قداس القديس باسيليوس وقداس القديس غريغور يوس وقداس القديس يوحنا ذهبي الفم . كما اكتُشف حديثاً أنه تم في هذا القرن أيضاً وضع قداس قبطي على أعلى ما يمكن من الأهمية بواسطة القديس سيرايون الأسقف تلميذ الأنبا أنطونيوس . وكان هو القداس الذي يصلّى به في الإسكندرية ، ويسمى قداس الإسكندرانيين . أما القداس الكيرلسي فهو من تقاليد القرن الأول ويعتبر من وضع القديس مرقس الرسول . وبالرغم من الاختلافات الطفيفة في الصلوات وأماكنها بين هذه القداديس جميعها ، إلا أن طبيعة هذه القداديس واحدة مما يفيد أن مصدرها جميعاً واحد . وكلها تشترك في كونها تنقسم إلى قسمين : الأول قداس القراءات أو المواعظ ، والثاني قداس الإفخارستيا أي تقديس الخبز والخمر . وكل قداس يلتزم بصلوات معينة لا يشذ فيها عن باقي القداديس .

ومن التقاليد التي وصلت إلينا من هذا القرن أن الكنائس في أورشليم كانت ترتل مزمور: «أبارك الرب كل حين وتسبحته دائماً في في» أثناء التوزيع ، ويرد الشعب «ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب» (مز ٣٤: ١، ٨)...

* + * + * + *

تعالم الآباء عن الإفخارستيا

أولاً: تعالم الآباء بخصوص طبيعة سر الإفخارستيا:

بدأت شروحات الآباء وتعليقاتهم على هذا السر منذ العصر الأول بسبب دخول

الموعوظين الذين كانوا يحتاجون إلى فهم طبيعة هذا السر.

وتتلخص تعاليم الآباء عن هذا السر في الآتي:

١ — أن كلمة الله تؤكل على شكلين، الأول: أكل عقلي، وفيها تُستوعب الكلمة أي الإنجيل لتدخل حياتنا وتتحد بها عملياً. والثاني: أكل إفاخارستي وفيها تؤكل الكلمة، أي المسيح، كجسد محسوس فيدخل كياننا ويتحد بنا سراً.

والمصدر الذي يعتمد عليه الآباء في هذا الشرح هو إنجيل يوحنا حيث قول الرب: «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء... جسدي مأكّل حقّ ودمي مشرب حقّ» (يو: ٦: ٤١، ٥٥).

٢ — الإفاخارستيا كخبز وخمر متحولين هما المن السماوي الجديد، فكما كان المن هو الطعام السماوي اليومي الوحيد الذي كان يقتات عليه شعب إسرائيل حتى دخلوا كنعان، كذلك الإفاخارستيا فهي المن الجديد، الخبز الحي النازل من السماء الذي تقتات عليه روحياً كل أيام غربتنا على الأرض حتى ندخل كنعان السماوية.

٣ — الإفاخارستيا هي السر القائم في مقدمة ملكي صادق قديماً (تك ١٤: ١٨) فلكي صادق هو ملك وكاهن لله العلي، وهو مشبه بإبن الله يسوع المسيح الملك والكاهن. وتقدمة ملكي صادق كانت رمزاً لمادتي السر في إفاخارستيا المسيح: الخبز والخمر.

٤ — جنب المسيح المجروح على الصليب وخروج الدم والماء منه إشارة سرية صريحة وهامة إلى سر الإفاخارستيا بصفته سر الحياة الأبدية الكائن بدم المسيح الذي نبع لنا من على الصليب أي بموت الرب.

٥ — الإفاخارستيا وخبز الوجوه (خروج ٢٥: ٣٠):

وكلمة «الوجوه» أي الحضرة الإلهية، فاسمه الصحيح «خبز الحضرة الإلهية» أو «طعام الوجود في الحضرة الإلهية». وفي هذا يقول القديس كيرلس الأورشليمي بوضوح:

[إن الناموس القديم كان يوصي بتقديم خبز الوجوه ودم الخروف وهو إشارة إلى جسد ودم المسيح].

٦ — بركة يعقوب ليهوذا وسر الإفخارستيا (تك ٤٩: ١١، ١٢):

و يرى القديس كبريانوس في بركة يعقوب ليهوذا «بغسل ثيابه بالخمير» إشارة إلى التطهير المزمع أن يكون بواسطة دم المسيح، كما أوضحه يوحنا الرسول في سفر الرؤيا: «بيضوا ثيابهم في دم الخروف» (رؤ يا ٧: ١٤).

٧ — المزامير وسر الإفخارستيا:

وكان الآباء يرون في سفر المزامير ركائز قوية للتعبير عن سر الإفخارستيا وبالأخص المواضع الآتية:

- «الخمير تفرّج قلب الإنسان» (مز ١٠٤: ١٥):
إشارة إلى فرح الحياة الأبدية الذي نحصل عليه بدم المسيح.
- «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مز ٣٤: ٨):
إشارة إلى الإحساس بنعمة الله المتدفقة علينا أثناء تناول .
- «الرب راعيّ فلا يعوزني شيء... هيأت مائدة تجاه مضايقيّ . مسحت بالزيت رأسي . كأسك روتني كالثلج...» (مز ٢٣).
وهو مزمور الإفخارستيا بكامله .

ثانياً: تعاليم الآباء بخصوص المعاني العميقة لطقس الإفخارستيا:

- ١ — يرى الآباء في غسل يدي الكاهن قبل البدء في قداس الإفخارستيا ختماً وتعهداً وشهادة بطهارة قلبه و يديه اللازمة لتقديم الذبيحة .
- ٢ — و يرون في القبلية برهان المصالحة والسلام والغفران الكامل كشرط أساسي مسبق لتقديم القربان على المذبح حسب أمر الرب .

٣ — الكاهن في صلوات الإفخارستيا يتكلم بصيغة الجمع لأنه يتكلم بلسان الكنيسة وليس بلسان نفسه ، والكنيسة جماعة لها روح واحد ولسان واحد!!

٤ — الكاهن عندما ينادي بالثلاثة تقديسات فهو يعلن سراً عن سر الثالوث . ويُعتبر هذا النداء في رأي القديس كيرلس الأورشليمي أُرهب مقاطع القداس قاطبة الذي يعطي للقداس كله روح الرهبة وجو الخشوع والقداسة .

٥ — حينما يستدعي الكاهن الروح القدس ، يطلبه ليحل على كافة الشعب أولاً ثم على الذبيحة . [لأن الروح القدس الذي ولدهم جديداً في المعمودية يحل عليهم الآن ليجعلهم أهلاً للإشتراك في جسد المخلص لتكامل وحدتهم ونموهم في السلام وتقديس الحق].

٦ — حينما ينادي الكاهن ليقول الشعب كله «أبانا الذي...» بفم واحد قبل تناول مباشرة ، فهو يدعو دعوة أخيرة لتنبيه الشعب أن يكون في تمام الصفح بعضهم لبعض ، وفي حالة اتحاد في بنوية واحدة صادقة لله ليكونوا أهلاً بذلك أن يشتركوا معاً في الأسرار المقدسة . والآباء يهتمون جميعاً — وبالأخص أغسطينوس — بأن تكون صلاة «أبانا الذي...» بصوت واحد من كل الشعب وبإحساس صادق بالصفح ووحداية القلب .

٧ — حينما ينادي الكاهن «القدسات للقديسين» ، يصرخ الشعب كله بقداسة الآب وقداسة الإبن وقداسة الروح القدس كإعتراف أنه لا يوجد قدوس إلا الثالوث . ولكن الترجمة العربية جاءت غير دقيقة و ينبغي أن تصحح فبدل أن تكون : «واحد هو الآب القدوس واحد هو الإبن القدوس واحد هو الروح القدس» ، حيث التركيز هنا على الوحداية وليس على القداسة فتكون كالآتي : «واحد كلي القداسة هو الآب . واحد كلي القداسة هو الإبن . واحد كلي القداسة هو الروح القدس آمين» .

وعلى هذا الإعتراف الجميل يعلق الآباء قائلين : [ولو أننا ننفي عن أنفسنا القداسة كأنها من طبيعتنا ، إلا أن اعترافنا يكون بقداسة الذبيحة فنصير بذلك قديسين] .

ثالثاً: استحقاق التناول في تعاليم الآباء:

الذي يجعلنا مستحقين للإشتراك في جسد الرب ودمه يحدده الآباء بالآتي:

- ١ — الخضوع لله .
- ٢ — الهروب من الشر .
- ٣ — الرحمة نحو جميع الناس .
- ٤ — أن ينظر الإنسان إلى كل شيء نظرة سماوية .

(يونيو ١٩٧٢)



موت على موت أوسر القيامة الحقيقية

(من مذكرات في حياة التوبة)

منظر المسيح خارجاً من أورشليم حاملاً الصليب وحوله بعض من أقربائه وتلاميذه يشيِّعونه حيث تمَّين أن يُصلب، منظر كله عار وفضيحة، ولكن المسيح احتمله من أجل السرور الموضوع أمامه (عب ١٢: ٢). هذه كانت أخرج ساعة في حياة المسيح، ساعة الخروج من أورشليم وعلى أن لا يعود إليها. هذه الساعة الحرجة كانت معروفة مسبقاً لدى السماء كلها وكانت موضوع حديث بين أرواح القديسين المنتظرين فداء العالم وخلاصه: «وإذا رجلان يتكلمان معهما موسى وإيليا اللذان ظهرا بمجد وتكلموا عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكمله في أورشليم» (لوقا ١٩: ٣٠، ٣١).

كان خروجه من أورشليم بمثابة خروج من العالم المنظور، وكان الصليب آلة العبور من العالم إلى خارج العالم، فالخروج من العالم لا يتم طبيعياً بالنسبة للذين أبغضوا العالم وجحدوه، فلا بد أن ينتقم العالم من الذين يحتقرونه ويستهزئون به «إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم. اذكروا الكلام الذي قلته لكم ليس عبد أعظم من سيده، إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم» (يو ١٥: ١٨ — ٢٠).

هذا الكلام قاله يسوع قبل الصليب وقبل المحاكمة وقبل انكشاف خطة القبض عليه وتلفيق التهم واستحضار شهود الزور، وقبل ظهور بوادر الخيانة التي اضطلع بها تلميذه، كصورة للعالم، حينما يُسخر أقرب المقربين لتعذيب نفوس القديسين... فالمسيح كان يعلم تماماً ماذا أعد له العالم من بغضة وحقد وخطة محكمة لتعذيبه والتنكيل به

قبل التخلّص منه «وأخذ الإثني عشر وقال لهم ها نحن صاعدون إلى أورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان لأنه يُسلّم إلى الأمم و يُستهزأ به و يُشتم و يُتقل عليه و يجلدونه و يقتلونه...» (لوقا: ١٨: ٣١-٣٣) «وخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه» (يو: ١٨: ٤).

فالذي يهنا أن نعلمه تماماً هو أن المسيح لم يكن يستغرب سلوك العالم ضده، بل هو نفسه أعلم تلاميذه أنه لابد أن يصطدم العالم بكل من يخرج عليه، ولا بد أن يحتقر العالم كل من يحتقره و يستهزئ بكل من يستهزئ به، هذا هو عار الخروج الحتمي.

هذا العار حمله المسيح وهو راض عنه كل الرضى، لأنه قد وضع في نفسه منذ البدء أن يقف ضد العالم و يبغض أعماله الشريرة، وقد علم ماذا ينبغي أن يدفع ثمناً لهذا السلوك!

فالعار الذي كان يرمز إليه الصليب الذي حمله المسيح وهو خارج من العالم كان ثمناً حتمياً لخروجه عن العالم، وهكذا صار العار الذي في الصليب أي الموت العليقي مع التعرية الكاملة من كل كرامة، مع الإضافات الجانبية إن أمكن لتكثير الهُزء والتشفي من جلد و بصاق ولطم الوجه والضرب على الرأس، هو ما يمكن أن ينتظره الإنسان الخارج على العالم... الذي نوى أن يطلب المسيح فقط وعزم أن يتبعه!!...

وهذه الحقيقة قد جعلها المسيح قاعدة عامة ينبغي أن توضع في الاعتبار الأول عند كل من ينوي أن يخرج من العالم ليأتي إليه «ومن لا يحمل صليبه و يأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (لوقا: ١٤: ٢٧)، «اتبعني حاملاً الصليب» (مر: ١٠: ٢١)، «من أراد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه و يتبعني» (مر: ٨: ٣٤)، «وقال للجميع إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه كل يوم و يتبعني» (لوقا: ٩: ٢٣).

هذا هو ما يعنيه الرسول بولس بقوله: «فلنخرج إذاً إليه... حاملين عاره» (عب: ١٣: ١٣)، عار المسيح كان نموذجاً مستوفياً لكل أنواع المهانة والمذلة، غير أن

لكل إنسان صليباً معيناً. أي أن لكل إنسان عاره الذي يتفنن العالم كيف يصيغه له من كل صنوف الهوان التي يكرهها.

والذين يريدون أن يتبعوا الرب، لا يستعفون من صليبهم، بل يزidon عليه ويزينونه بأنواع أخرى من الحرمان والتقشفات وبالصوم لإذلال النفس الإرادي «وأما أنا فأذلت بالصوم نفسي» (مز ٣٥: ١٣). لأنه معروف من قول الرسول ومن حياة القديسين ومن الإختبار، أنه بقدر ما يذل الإنسان ويموت بغير إرادته و بإرادته معاً، بقدر ما يحس بالحياة الأبدية تنبعث في أعماقه و يعيشها يوماً فيوماً.

+ + +

أتبعك يارب، فقط عرّفني إلى أين أنت ذاهب؟
«قال له توما: ياسيد لستأ نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق»
(يو ١٤: ٥).

لم يكن توما يعلم أنه مدعو للصليب والموت... كان يظن أنه مدعو للملكوت مباشرة، طالما هو يتبع المسيح... ولكن الحقيقة التي كان ينبغي أن يعرفها توما والتي يتحتم أن يقبلها كل من يتبع المسيح أن الصليب أولاً ثم الملكوت. الموت الإختياري مع المسيح أولاً ثم الحياة معه...

«وقال للجميع إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني» (لو ٩: ٢٣).

المسيرواء المسيح لا يُقتحم اقتحاماً، ولا يُنال بحياة اللبونة والترف، ولا بمجرد الصلاة وممارسات العبادة الطقسية، ولكنه يستلزم أولاً إنكاراً للنفس، أي تجريداً للذات من كل عوامل الظهور والمجد الباطل وحرمانها من تمتعاتها التي تريدها التصاقاً بالندنيا وباللحم والدم وتراب الأرض.

هذه بمثابة الموت الداخلي الذي هو الموت الإرادي، ثم اللاإرادي ثم بعد ذلك يتفرغ

ليحمل الصليب كل يوم، أي يباشر احتمال إهانات العالم المحيط ومظالم البيئة والظروف وعتو الأشرار وخيانة الأقرباء والأصدقاء والتلاميذ والأمراض المؤلمة واضمحلال الجسد والحن، التي يتفنن فيها الشيطان و يسوقها على الإنسان في أخرج ظروفه، جاهدأ لعله يطرحه في الشك وجحود الإيمان، هذه كلها بمثابة الموت الخارجي الذي هو الموت غير الإرادي .

ولكن بدون الموت الداخلي، أي الموت الإرادي، أي إنكار النفس، يستحيل على الإنسان أن يقوى على حمل صليبه كل يوم ويتبع الرب، أي يستحيل عليه أن يحتمل الموت الخارجي الذي هو الموت اللاإرادي... لذلك فإن الرب، بحكمة، قدّم في وصيته إنكار الذات على حمل الصليب .

فلكي يتبع الإنسان الرب، عليه أولاً أن يباشر الموت الإرادي أي إنكار النفس، حتى يستطيع أن يحمل الصليب الإضطرابي .

الموت الداخلي شاق، أشق من الموت الخارجي . إنكار الذات وجحدها وإماتتها أصعب من احتمال الإهانات والمظالم والحن . ولهذا فالذي يستطيع أن ينكر نفسه ويجحد ذاته يستطيع أن يحتمل أصعب الإهانات، بل ويفرح بالمظالم والحن!... أما الذي يحب نفسه ويدلل ذاته فرما يحتمل الإهانة مرة ومرتين ولكنه لا يحتمل الإهانة كل يوم!!

الذي يجوز الموت الداخلي وينجح، يسهل عليه أن يحمل الصليب كل يوم مهما ثقل، ويتبع الرب ليس إلى المحاكمة كيوحنا بل إلى الجلجثة ثم إلى الملكوت، ليكون حيث يكون المسيح... ممارسة الموت الداخلي للنفس هي بالحقيقة ممارسة حياة إنسان ميت!!

لأن المطلوب أن يمارس الإنسان كل فكر وكل عمل وكل شيء في الحياة كميت بالنسبة لنفسه وبالنسبة للناس، وكحي فقط بالنسبة للمسيح « كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام » (٢ كو ٥: ١٥).

أما ممارسة الموت الخارجي اللاإرادي إنما يأتي تأكيداً للموت الداخلي واكتشافاً لصحته، هل قد مات الإنسان فعلاً عن ذاته وعن جسده وعن العالم؟ فإن تطابق الموت اللاإرادي على الموت الإرادي كان هذا أعظم برهان للإنسان أنه يعيش مع المسيح!!!
ما أعظم ما يحتاج الإنسان في قبول الموت اللاإرادي، إنه جوهر الحياة المسيحية، إنه القيامة... «اتبعني»!!

«فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً... أدخل نفسه آخذاً صورة عبد (الموت الداخلي)... وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب (قبول الموت الأخير الخارجي)، (في ٢: ٥-٨).

(أبريل ١٩٧١)



الآلام معبرنا إلى المجد (*)

طوى للحزاني لأنهم... يتعزون ،
طوى للمصلوبين لأنهم... يتجلون ،
طوى للمنسحقين لأنهم... يملكون ،
طوى للجوع لأنهم... يُشبعون .

حيث تُنسى هناك كل أوجاعهم وتُمسح دموعهم ، و ينمو موضعها نور يشير إلى
الأهوال التي اجتازوها وإلى سر المجد الحاصل منها ، و يشرح عظم صبر الإنسان وقوة
مراحم الله ، حيث تبدو النسبة بين مقدار الألم ومقدار المجد الحاصل منه نسبة غير معقولة
ومضحكة... فيرى الإنسان عياناً و يكتشف أن الآلام كانت فخاً مقدساً نصبه الله
ليصطاد به الإنسان إلى مجده... فاحتمال الألم أقوى من العبادة...

و يقول أحد القديسين أنه رأى في رؤياه جماعة الشهداء بمنظر مذهلة في مجد يفوق
مجد الملائكة الذين ظهروا معهم في نفس الرؤيا ، ورأى حول أعناق الذين ماتوا منهم
ذبحاً بالسيف زهواً حمراء كعقد ، موضع الذبح ، تضییء وتتلاً بمنظر يخطف الأبصار
أشد لمعاناً من كل نور آخر ظهر في الرؤيا .

إن سر الصليب بالنسبة للمسيح هو سر مجده!... فالألم الساحق الذي عاناه الرب
تحت وطأة التمزيق النفسي بسبب الظلم والإلتواء الذي شاهده أثناء المحاكمة ، مع
خيانة التلاميذ وتسليم يهوذا وإحساسه أن حياته تُمنها رؤساء الكهنة باتفاق مع أحد
التلاميذ بثلاثين فضة!! هذه كلها كانت معبراً من عالم التفاهة المتناهية ، إلى مجد

(٥) من رسالة كتبها الأب متى المسكين جواباً على سائل ، وقد نشرت عام ١٩٦٨ في مجلة النور اللبنانية .

الآب... وعلى هذا المعبر عينه يلزم أن تتمر أقدام الإنسان في كل زمان ومكان... الصليب بالآلهة الرهيبة لا يمكن أن يساوي المجد الذي حصل منه! الصليب لم يصادف الرب في طريق حياته، ولكنه وُلد له: «لأجل هذا أتيتُ إلى هذه الساعة» (يو ١٢: ٢٧). الإنسان يولد للألم، والألم مولود للإنسان... ولكن في نفس الوقت، الصليب لم يكن إلزاماً حتمياً على الرب، كما نشعر من كلامه وكما نتأكد من جهة قداسه ولاهوته، ولكنه هو نفسه جعله إلزاماً حتمياً على نفسه «الكأس التي أعطاني الآب، ألا أشرها؟» (يو ١٨: ١١)، ذلك لكي يشاركنا في حتمية الألم. فبدا الله في شخص المسيح إبسه أنه يتألم اضطراراً حتى يجعل اضطراب الألم مساوياً لإختياره، حتى لا يُحرم أي إنسان في الوجود من رحمة الله، ولكي يمتد الصليب ليشمل كل من تألم ظلماً.

إن الألم بعد ذاته عشرة كبرى لعقل الإنسان، فالعقل لا يميز الألم كواسطة لأي خير، لأنه يظن أن في المعرفة خلوصاً من الألم، وهو يجاهد في ميدان الطب مثلاً وفي الميادين الأخرى أن يلغي الألم ويربح الإنسان... ولو دققنا التأمل نجد أن محاولة التربية والتعليم بكل صنوفها من أول ما يحاول الإنسان تعلم الألف باء إلى الصاروخ هو محاولة أساسية لتجنب الإنسان الألم والتعب والعوز...

لذلك، فحتمية الألم لدى العقل أمر عسير وشاق جداً بل ومحال قبولها، لأن الرضى بالألم هو بعينه إلغاء العقل وكل نشاطه... فالصليب جهالة وعثرة فعلاً لدى اليونانيين — كما يقول بولس الرسول (١ كور ٢: ٢٢) — أي هو عثرة الفلسفة لأن الفلسفة تحاول جاهدة الوصول إلى الله عن طريق التأمل الأفلاطوني الحر الخالي من التضحية — أي الألم المؤدي إلى الموت. وهذا اللون من الإجتراء العقلي في محاولته البلوغ إلى الله، دخل المسيحية عن طريق التصوف الوثني ولوثها، فأوريجانوس يقول بإمكانية الاتحاد بالله عن طريق التأمل جاعلاً الله في الوضع الإستاتيكي والعقل في الوضع الديناميكي، أي أنه ثبتت الله في نقطة وجعل العقل هو الذي يسعى إليه، هذا اجتراء وثني ناتج عن عدم شعور الإنسان بأبوة الله ونزول المسيح وتودد الروح القدس ودخوله قلب الإنسان،

والحقيقة عكسية، فالإنسان دائماً أبدأ في الوضع الإستاتيكي والله هو الذي يتحرك نحوه (ليأت ملكوتك). منتهى تحرك الإنسان هو أن يكون يقظاً لتحرك الله مستعداً لمجيئه «مستعد قلبي يا الله . مستعد قلبي» (مز ٥٧: ٧).

فلو أدركنا أن الصليب هو أعظم مظاهر تحرك الله على الصعيد العياني المنظور الذي فيه تجلى الله للإنسان (أكثر من تجليه على طور تابور)، وأن الصليب هو الألم في صورته العظمى التعسفية الظالمة، حينئذ علينا أن نحس أن الصليب هو الدابة التي ركبها الله القدير وانحدر عليها من مكان سكناه هناك، من موطن احتجاجه الأزلي، وجاء إلينا وصافحنا يداً بيد... الصليب هو قوة ديناميكية الله الفارقة التي أحدثت الله إلينا واستعلنته واضحاً. أي أن الألم هو، بصورته المادية، جحود وانحصار وتوقف، وبجوهره الروحي تحرك وأي تحرك!

الإنسان يظل متوقفاً روحياً وعاطلاً عن المسير راجعاً مع المسيح إلى الله إلى أن يحمل صليبه. الألم يُدخل الإنسان في سر الصليب سر التحرك الإلهي، فلا يتوقف كميت بل يسير مشدوداً إلى المسيح منقاداً ومنجذباً من ألم إلى ألم، إلى أن يبلغ الآب محمولاً على صليبه تابعاً للمسيح...

الإنسان يستحيل أن يتحرك نحو الله عقلياً، فالعقل مهما بلغ بالتأمل، إنما يكشف الله وحسب، ويكشف نوره وجهه ويسعد ويرتد... التحرك الحقيقي كائن بالمسيح فهو ابن الله الآتي إلينا على الصليب، وعلى الصليب نتبعه إلى الآب...

هو يقول: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو ١٥: ٥)، ليس هذا احتكاراً تعسفياً لإرادتنا ولا هو بسبب قصورنا في المعرفة — لأنه عرفنا بكل شيء — ولكن لأنه الوحيد — كابن — يحمل قوة التحرك نحو الله الآب. والمسيح يحمل قوة حركتين: حركة من الله الآب نحونا وحركة منا نحو الآب: الأولى: طبيعية وهي جوهرية كاشنة في سر الحب نحو خليقته، والثانية:

مكتسبة (١) بالصليب — أي بالألم الفدائي الذي أهّل أن يحمل الإنسان الميت و يصعد به !...

والمسيح سكب فينا سر هاتين القوتين : قوة الحب وقوة الصليب (الألم). و يقبلونا هاتين القوتين يعمل المسيح فينا سرّاً لنتحرك به ومعه إلى أن نصل إلى الآب، ويتم بها وفيه السر الأعظم، سر الاتحاد بالله.

ختاماً — أستودعك لتدبير عناية الله الفائقة التي تسخر السنين والأزمنة والأوقات والحوادث وكل ما يصيب الإنسان وما يصيبه الإنسان لتكامل خطة الفداء العامة لخلاص الإنسان.

كُنْ مُعَافٍ،

(١٩٦٨)



(١) المسيح هو الوحيد الذي له قوة التحرك نحو الآب، لأنه ابن الله الوحيد الذي من جوهر الآب، فهو دائماً في حضن الآب وموجه نحو الآب (وكلمة πρὸς اليونانية المستعملة في الآية الأولى من إنجيل يوحنا والتي تترجم عادة بلفظ «عند») «الكلمة كان عند الله» تعطي معنى «نحو» أي «الكلمة كان نحو الله» (يو١:١).

هذه القوة هي طبيعية في المسيح قبل التجسد والصلب، ولكن لكي يدخل بالإنسان الميت ويحمله إلى الآب كان لابد بعد أن تجسد وصار إنساناً أن يجتاز الألم الفدائي حتى يمكن أن يحملنا ويدخل بنا إلى الآب فيكون المسيح بذلك قد اكتسب بالصلب قوة لنا ومن أجلنا — أي قوة التحرك بالبشرية الخاطئة نحو الآب «لأنه لاق بذلك الذي من أجله الكل وبه الكل وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد أن يكمل رئيس خلاصهم بالألام» (عب ٢: ١٠).

الصليب مصدر فرح ومجد

في هذا العنوان مضادة صارخة، كيف يكون الصليب وهو رمز الظلم والعذاب والعار مصدر مجد وفرح؟ أليس هذا أمراً غير معقول... وأليس كل ما هو غير معقول جهالة؟

نعم... ولذلك يذمنا أن نصير جهلاء لنتذوق فرح الصليب ويحل علينا مجده... ولكن جهلاء فيما يخص الظلم والعذاب والعار، أي نتجاهلها إلى حين ليحل علينا فرح الصليب ومجده، وكيف نتجاهل الظلم والعذاب والعار؟

كثيرون يفرحون بالصليب... صليب المسيح... لأن عليه تألم المسيح ومات وبآلامه وموته نلنا الفداء، وفي الفداء أعظم فرح لأنه عتق من موت أبدي. لقد فدانا المسيح من الآلام ومن الموت في معناها الروحي والأبدي، لأن المسيح روح أبدي فصار فرح الفداء روحياً وأبدياً أيضاً...

ولكن مجرد فرحي بآلام غيري وموت غيري افتئات وجود وسلبية مطلقة... فرح مثل هذا ليس هو تجاهل الظلم والعذاب بل تجاهل المسيح... إن سر المسيح الأعظم هو أن المسيح لا يمثل «آخر» بالنسبة لي، بل يمثلني أنا نفسي بلحمي وعظامي وروحي وكل ما فيّ وعليّ...

الله ظل بالنسبة للإنسان «آخر» تماماً، هو من طبيعة وأنا من طبيعة أخرى. هو لا يمثلني أبداً وأنا لا أمثله أبداً... إلى أن تجسد المسيح ابن الله في طبعي فصار يمثلني تماماً لدى الآب، وصرت عندما يحل روحه في داخلي أمثله تماماً لدى كل الذين لم يعرفوه بعد... صار هو أمام الآب كخاطيء يطلب بر الله لسببي، وصرت أنا بروحه الأزلي أترأى لدى الآب كأني هو... كأني بار، كأني إبن «وهو آيت بأبناء كثيرين إلى المجد» (عب ٢: ١٠).

إذن فهل يمكن أن يصبح صليب المسيح أي تصبح آلامه وموته مصدر فرح لي ومجد دون أن تكون هي آلامي وموق وأكون شريكاً؟ هذا أمر محال لأن كل ما للمسيح صار لي، صليبيه ومجده وفرحه وألمه معاً... إذن فكيف أتألم معه لأفرح معه وأتمجد معه؟...

من على المنبر يمكن أن نصل بالسامعين إلى شركة آلام المسيح، وشركة مجد المسيح، وشركة كل شيء بغاية السهولة بالكلام والعواطف، بل حتى يمكننا أن نقنع السامعين أنهم صاروا أطهاراً ومبرّرين، بالكلام أيضاً، بل وتدعوهم للفرح والمجد وكأن الفرحة فكرة... مجرد فكرة، والمجد بالإقناع مجرد الإقناع. ويكفي أن يقول الواعظ بعد ذلك هليلوليا! ليرقص السامعون ويفرحوا بصليب المسيح!!! ولكن حينما يدخل الصليب حياتنا بالفعل يبطل الرقص ويتوقف المتأف وينسد الفم عن هليلوليا، ويقف الإنسان يطلب بالحاح أن يُرفع عنه الصليب. ثم إذ يتباطأ الله يتبدى التدمير وتبدأ المحاجاة مع الله والعتاب ثم الخصام ثم الحفاء، وأخيراً يُسدل الستار عن قصة غرام مع الله قصيرة انتهت بمأساة وقطيعة...

هذا مدخل للفرح الروحي وهمي وخاطيء جد الخطأ، وتعرّف على الصليب من خلال الألفاظ والمعاني وليس على أساس الواقع والحق...

فما هو المدخل الصادق للفرح الصادق وما هو الصليب الواقعي؟

حينما يقع علينا ظلم مكشوف وقاضح،

فهذا هو المسيح يتعرى استعداداً للصليب!

حينما يدق الحزن والألم باب حياتنا،

فهذا هو المسيح يُرفع على الصليب!

حينما تقع الخسارة وتدخل التجربة أعماقنا،

فهذا هو المسيح تُدق يده ورجلاه على الصليب!

حينما يُطوّح بكرامتنا إلى الطين ونفقد كل شيء،

فهذا هو المسيح ينكس الرأس ويسلم الروح!

إذاً فليست هناك حدود تفصل صليبي عن صليب المسيح، إن تخبرني
مُعادة، نمت أولاً على صليب المسيح بنجاح واليوم يُراد تجديدها لحسابي...

□ □ □

ثلاث مراحل يجوزها صليبي ليتحول إلى فرح المسيح...

المرحلة الأولى: الرضى:

إن كنت حقاً أؤمن بالله وأؤمن بأن الله قادر على كل شيء، وهو ضابط الكل،
فعليّ أن أسلم له حياتي، عالماً بمن آمنت واثقاً بالأذرع الأبدية القادرة أن تحفظ وديعتي
وتقيمني من الموت.

بهذا الإيمان وهذه الثقة يسهل عليّ الرضى بصليبي أياً كان هذا الصليب: مرض
عضال! شوكة في جسدي أو جسد من أحبته نفسي! خيانة أخ وصديق، كان حبيب
نفسي وأليف حياتي! خسارة وفقر مُذل! ظلم واضطهاد وطغيان! مذمة واغتيال
ومخاصمة الألسن! سيان سيان هو صليب على كل حال...

فإن كانت عيني قد تثبتت على مسيح حياتي، ورسمت صليبه وآلامه في قلبي وفي
جسدي فسأرضى، نعم سأرضى بصليبي لأنه سيكون في نظري تجربة مُعادة...

ولكن بمجرد أن أَرْضَى بصليبي فإن الله يحاول أن يستوثق من رضائي أو بالحري
يجعلني أستوثق أنا بنفسي من رضائي فيثقل يده عليّ قليلاً، ويطيل زمن التجربة
قليلاً، حتى أستوثق أنا من رضى نفسي وبالتالي يستوثق هو أيضاً من نفسي... وهنا،
نعم هنا... يتم سر الصليب الأول عندما يتحول الرضى إلى شكر بفعل النعمة، و بصير
الشكر هبة ثمينة شبه معجزة، لأن الشكر إنما يكون عادة قرين الخير فقط. إذن فهنا
يكون الشر قد تحول إلى خير لي بفعل الصليب وقوة الرضى.

المرحلة الثانية: تجربة الشكر:

بعد غمرة الإندهال من نوال القدرة على الشكر في وسط الألم وعمق التجربة،
يستيقظ الإنسان فجأة متعجباً من نفسه: «كيف أشكر وأنا مهان؟» «ولماذا أشكر

والله قادر أن يرفع التجربة، وهو لم يرفعها؟... هنا تدخل النفس في عراك مع الموهبة و يصطرع الشكر مع غصة الألم . ولكن عندما يكرم الإنسان الموهبة و يشكر، ثم يشكر متحدياً الألم والتجربة على مدى الأيام والليالي ، تحدث المعجزة الثانية و يتم سر الصليب الثاني ، عندما يتحول الشكر إلى فرح !! كهبة عظمى من الله!...

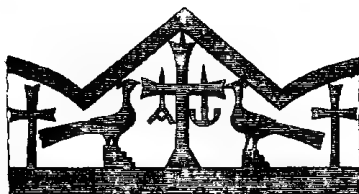
المرحلة الثالثة: معنى الفرح:

ماذا حدث؟ كيف أفرح بالحرمان والظلم؟ كيف أفرح وأنا في أتون التجربة وسعير الألم؟ إن الفرح هو البرهان الأكيد على خروج النفس من مجال الحزن وتوقف التفكير في هوم الواقع المؤلم توقفاً كاملاً وأكيداً. فكيف حدث هذا الخروج الفعلي من مجال التجربة، بل كيف تم تجاهل الألم والظلم والعار وأنا في صميم التجربة مرفوعاً على صليبي؟؟

هنا سر الصليب الثالث، هنا سر الإتحاد! الإتحاد بماذا؟ الإتحاد بمشيئة الله ومسرته!! لقد كان صليبي هو هو مشيئة الله بالنسبة لي، فلما رضيت به رضيت بمشيئة الله، ولما شكرت عليه شكرت مشيئته، ففاضت عليّ. ولكن لما فرحت بصليبي تقابلت مشيئتي مع مشيئة الله تماماً فحلّ عليّ مجد الصليب وفرحه الذي هو منتهى مسرة الله: «كما اشتركتكم في آلام المسيح افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً مبتهجين» (١بط ٤: ١٣).

يا إخوة افرحوا بصليبيكم لتحل مسرة الله!

(سبتمبر ١٩٦٩)



يوم الصليب

يوم القضاء ، ويوم البراءة

هذا اليوم يا أحبائي يوم عظيم .
هو أعظم أيام البشرية قاطبة . هو يوم الصليب .
والصليب هو يوم القضاء العظيم الذي دخلته البشرية ، فخرجت مبررة ومبرأة .

فالرسالة اليوم رسالة حية . ياليت الرب يعطينا أن نحس بما أحسه بولس ، الرسول العظيم ، وندرك مثله ونؤمن ثم نقول : « مع المسيح صُلبت » (غل ٢ : ٢٠) . من أين استلم بولس هذا المبدأ العظيم ؟ إن بولس الرسول ولو أنه لم يستلم بالكلمة عمل الصليب ، ولكنه استلمه حينما انفتح قلبه وانفتحت بصيرته . لذلك فنحن نستلهم اليوم قول بولس بل وروحه . لكي نُعطى هذه العطية الثمينة والعظمى جداً ، أن ننفتح على صليب ربنا يسوع المسيح ، لنشعر في النهاية أننا مع المسيح صُلبنا حتى نحيا فيها بعد لا لأنفسنا بل للذي مات من أجلنا وقام (٢ كور ٥ : ١٥) .

حديثي عن الصليب سأقتصره على آية واحدة صغيرة هي الكلمة التي قالها الرب على الصليب وقت أن حُلَّت الظلمة على الأرض ، يوم الصليب .

الرب تكلم سبع مرات على الصليب . ثلاثة منها قبل أن تظلم الأرض ، ومرة واحدة أثناء الظلمة ، والمرات الثلاث الأخيرة بعد انقشاع الظلمة .

الكلمات الثلاث الأولى التي فاه بها الرب قبل أن تحل الظلمة :

— « يا أبته اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (لوقا ٢٣ : ٣٤) .

— « الحق أقول لك أنك اليوم تكون معي في الفردوس » (لوقا ٢٣ : ٤٣) .

— «يا امرأة هوذا إبنك، وليوحنا (هوذا أمك)» (يو ١٩: ٢٦، ٢٧).

أما في أثناء الظلمة، أي من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، وهي ظلمة عظيمة غطت الأرض كلها، وهذا هو موضوع حديثنا الآن، فقد قال هذه الكلمة الخطيرة (وأنا انتخبته بالذات لأنها فعلاً خطيرة وعميقة والأسئلة فيها لا تنتهي والإرتباك في التفسير لا ينتهي، ولكني اخترتها ليس بسبب عمقها فقط بل بسبب شمولها وأهميتها بالنسبة لحياتنا الخاصة). هذه الكلمة هي:

— «إلهي إلهي لماذا تركتني». (مت ٢٧: ٤٦).

وبعد ذلك عبرت ثلاث ساعات من السادسة إلى التاسعة وهو صامت لم يتكلم. ثم انقشعت الظلمة، وابتدأت الشمس تشرق من جديد، فنطق وقال:

— «أنا عطشان» (يو ١٩: ٢٨).

فلما مدوا له قصبه، فيها بعض الأعشاب المبتلة في الخل، ذاق ولم يرد أن يشرب بل قال:

— «قد أكمل». (يو ١٩: ٣٠).

وهذه هي الكلمة الثانية بعد انقشاع الظلمة.

أما الكلمة الثالثة:

— «يا أبتاه في يديك أستودع روحي». (لو ٢٣: ٤٦).

* * *

١ — حرية المسيح في التقدم للصليب

المسيح تقدم إلى الصليب بمنتهى حرية إرادته، لم يكن في لحظة واحداً متردداً، ولا مترجعاً.

بمنتهى حريرته وإرادته تقدم إلى الصليب، ذلك لأنه لم يكن يتقدم بنفسه، بل ممثلاً عن البشرية كلها.

تقدم المسيح إلى الصليب ممثلاً للبشرية، ليدخل في قضاء إلهي، وهو يعلم تماماً ما هو الحكم الذي سيصير.

تقدم هكذا إلى قضاء الله الصارم كمحام عن البشرية، ولكن من داخل قفص الإتهام.

تقدم كمحام ليس بالكلام يطلب البراءة للبشرية، بل بأن دخل في هدوء وسكينة إلى داخل قفص الإتهام، وأغلق على نفسه، ووقف لكي يستقبل عقاب السماء.

لأول مرة يُسمع في البشرية كلها أن محامياً يحامي دون أن ينطق بكلمة واحدة، فاستطاع واستطاع أن يبرئ البشرية كلها، حامياً بدون كلمة، فهو الكلمة، الذي استطاع في صمته أن يتقبل العقوبة ويخرج مبرئاً ومعه البشرية كلها مبرأة.

لقد قال الرب قبل دخوله أورشليم في الأسبوع الأخير:

— «ها نحن صاعدون إلى أورشليم. وابن الإنسان يُسلم إلى الأمم و يُستهزأ به و يُشتم و يُتفل عليه و يجلدونه و يقتلونه» (لوقا ١٨: ٣١-٣٣).

من الذي يتكلم هنا؟

إنه المسيح نفسه، ولكن كأنه يتكلم عن آخر. يالهدوء و ياللسكينة و ياللزناة التي يتقدم بها إلى الموت. هذه بيئة على أنه قادم نحو الصليب بحريته، بإرادته وسلطانه وحده.

ثم نلتفت إلى قوله: «ابن الإنسان يُسلم...»، وقيمة قوله «ابن الإنسان». فيسوع هو مندوب عن البشرية كلها، نائب عن البشرية كلها، ومحاميا، والمتلقي العقوبة عنها.

هنا الصفة العمومية للمسيح التي أحبا دائماً: «ابن الإنسان»، ومفهومها الوحيد القوي أنه مندوب البشرية كلها جاء من السماء ليجتاز قضاءً، ويجوز عقوبة، ثم يُبرأ تبرئة...

«يُسلم»، هنا الفعل في صيغة المبني للمجهول. من الذي سيسلم ابن الإنسان؟

الأمة اليهودية ممثلة في رئيس كهنتها، وكهنتها، ومجلس قضاائها الأعلى، الذي هو مجلس السنهدريم، وهو يشمل جميع المعلمين الكبار في إسرائيل وحكامها، ويشمل أيضاً شيوخ الشعب المسؤولين رسمياً.

ثم قال أيضاً: «يسلم لأيدي الأمم». والأمم هنا أيضاً إشارة واضحة إلى بيلاطس وسلطانته القضائي.

هنا قضاءان: قضاء ناموسي، وهو يمثل قضاء الله. وقضاء عالمي، وهو لم يمثل للأسف أي قضاء بالمرّة، وهذه وصمة للقانون الروماني وقضائه. فقد تحول من هيئة تشريع وقضاء إلى هيئة تنفيذ فقط.

ولكن هذين القضاءين لهما موضعهما الروحي. كما سيتضح فيما بعد.

عقوبات القضاء:

فبعد أن تنبأ الرب عن تسليمه لأيدي الأمم، يقول: «ويُسْتَهْزَأُ به، ويُشْتَم، ويُتفل عليه». هذه العقوبات الثلاث تمثل الجانب الأول من القضاء.

ثم «يُجْلَد»، وهذا هو الجانب الثاني.

ثم «يُقْتَل»، وهذا هو الجانب الثالث.

«يُسْتَهْزَأُ به، ويُشْتَم، ويُتفل عليه»، هذا هو عقاب الناموس على مستوى العار والفضيحة.

ثم «يُجْلَد»، وهذا عقاب على مستوى التأديب.

ثم «يُقْتَل»، وهذا حكم على مستوى القضاء، قضاء الخطية الذي هو «النفس التي تخطيء هي تموت» (حز ١٨: ٢٠).

والآن وعلى ضوء تأكيدنا على حرية المسيح المطلقة في مسيرته نحو الصليب كمن يمشي بفرح، ليس فقط بتصميم، بل برجاء وتوسل بأن يكمل قضاء الصليب فيه، تضییء أمامنا كلمات المسيح في بستان جثسيماني التي وجهها إلى الآب «يا أبتاه إن شئت أن تحجز عني هذه الكأس، ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك». فالكلام ههنا

واضح وبسيط رغم تعقيد الشراح، فالمسيح دخل، ليس بنفسه، بل بالطبيعة البشرية العاجزة الضعيفة. وإذا كان يعرف مسبقاً مقدار العقوبة تماماً، مقدار طولها وعرضها وعمقها المريع الخفيف، فبالرغم من تقدمه إلى الصليب بأقدام واثقة مطمئنة إلا أنه «بصراخ شديد ودموع» (عب ٥: ٧) وقف أمام الآب يصلي ويشفع. ولكنه بالرغم من ذلك كله قال في النهاية: «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو ١٢: ٢٧).

أما البينة الثالثة التي تُظهر حرّيته في التحرك نحو الصليب فهي حين قال: «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشرها» (يو ١٨: ١١). قال ذلك لما أرادوا أن يشككوه في الصليب.

أما التصريح الرابع الذي يُظهر أيضاً حرّيته في التحرك نحو الصليب: «لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً (أو أرفعها)» (يو ١٠: ١٨). هويتكلم هنا عن نفسه وقت الموت.

من هذه الاتجاهات أو الزوايا الأربع تستطيعون أن تحسوا كلكم بمقدار الحرية والإرادة والعزّة التي كان الرب يتحرك بها نحو الصليب.

٢ — مضمون الصليب

وهكذا سأتحسس موضعي وموضعكم أيضاً في الصليب.

إن يوم الصليب وإن كان هو يوم قضاء البشرية العظيم، إلا أنه عظيم ومفرح للغاية، بالرغم من الكآبة والسواد اللذين تتجلل الكنيسة بهما في هذا اليوم، وبالرغم مما ابتدأ به اليوم بهذا الحزن وهذه الألحان التي تكسر النفس في أعماقها، فهذا أمر حتمي لا مفر منه. فالיום هو يوم قضاء عظيم. هذا اليوم تكلم عنه الأنبياء أنه يوم الرب العظيم. ومن يستطيع أن يقف في هذا اليوم؟ فهو يوم قضاء خفيف.

والآن، أين القاضي هنا؟

القاضي في محكمة الصليب كان هو الناموس، ناموس العهد القديم الذي استلمه

موسى مكتوباً بأصبع الله أو منطوقاً بفم الله . فالناموس كان هو الصورة المنطوقة بالكلمات التي تصور مشيئة الله ، أو هو الله في كلمات ووصايا لها تحذيرات وعقوبات .

ورؤساء الشعب ماذا كان موقفهم ؟ كانوا بلغة القضاء اليوم يمثلون « المدعي العام » .

لم يزعموا القضية . لقد وقف رئيس الكهنة مع شيوخ الشعب (وقبل أن تقدّم القضية إلى مصدر السلطان وحده أي القضاء الروماني) وقف ونطق ، وكان الحق معه ، كمدّعي عام ، حامى حمى الناموس ، والقيّم أو القوّام على ناموس موسى . لذلك وضع أقصى العقوبة لمثل هذا الإنسان الذي اتهمه بأنه ضد الناموس .

فهو أولاً: مجدف على الله .

ثانياً: حطم السبت وكرامة السبت .

ثالثاً: خالف ناموس موسى «فاعل إثم» . «لولا لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك» (يو ١٨: ٣٠) . أي أن له ماضياً تجاه الناموس كله نقط سوداء .

إذن فأصبح لرئيس الكهنة بموجب هذه الإتهامات الثلاثة الحق منتهى الحق — وفي حدود سلطانه تماماً — أن يصوّر للقاضي ماذا ينبغي أن يحكم به على إنسان مثل هذا . فقال له : «اصلبه . اصلبه . لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله» (يو ١٩: ٦، ٧) .

وهكذا فالحكم هنا هو تطبيق سليم للناموس .

وماذا كان رأي المسيح يأتري في هذا الحكم ؟

بلا شك أنه حكم سليم : «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو ١٢: ٢٧) ، من أجل هذا القضاء الذي كان المسيح يعلم أنه قضاء حقيقي .

ولكن...

إن الصراخ الذي صرخه رئيس الكهنة ووضعه في أفواه الشعب ، بالرغم من أنه

صراخ حقيقي، لكنه هو الحكم الذي كان ينبغي أن يُحكم به على الإنسان — كل إنسان — وأولهم هذا الإنسان نفسه أول من نطق بالحكم، أي رئيس الكهنة. فالحكم صحيح، لقد نطق به رئيس الكهنة وهو لا يدري أنه صادر ضده هو وصادر ضد كل هيئة الكهنوت وهيئة القوامين على الناموس أولاً وفي البداية، ثم ضد الشعب كل الشعب: الفاهم والدارس منهم أولاً، ثم غير الفاهم والجاهل أخيراً.

كل هذا كان يدركه واحد وحيد فقط، هو المسيح نفسه. ولذلك تقدم إلى هذا القضاء ليس عن رضا وبمسرة فقط، بل وبأمنية أن لا يتعرقل سير القضية، بل أن تبلغ إلى النهاية، أي أن يتقبل الحكم كاملاً غير منقوص.

وهكذا تقدم المسيح وهو يحمل البشرية كلها في جسده. يا أحبائي — هذا هو مفهوم التجسد. ينبغي أن تصححوا الوضع اللاهوتي في قلوبكم. المسيح أخذ جسد الإنسان، ودعي ابن الإنسان، أخذ جسدي وجسدك، أخذ جسد الخطاة فقط، لا يستطيع المسيح أن يأخذ جسد «البار»، لأنه كان يعلم أنه من أجل هذه الساعة قد أتى، لأجل قضاء واقع على الخطاة... كل الخطاة. لذلك فكل من أحس في نفسه البراءة أو أنه بار، خرج من دائرة الصليب وخرج من دائرة التجسد. من أجل الخطاة فقط أنا أتيت «لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مت ٩: ١٣).

والآن يا أحبائي، هذه هي رسالة المسيح، وهذه هي إرساليته. وهذا هو الصليب، وهذا هو عمقه. لا يجمع الصليب أبداً إلا الخطاة. أما كل من يشعر في نفسه أنه طاهر أو بريء، فليس له في الصليب نصيب، وليس له في هذا اليوم العظيم مكان، هو خارج عن هذا المشهد، هو متفرج، يستطيع فقط أن يقول: «خلّص آخرين وأما نفسي فلم يقدر أن يخلّصها».

المسيح لا يزال آخذاً جسدي وجسدك وجسد كل إنسان خاطيء على الأرض، من يوم أن جُبل آدم إلى آخر إنسان على وجه الأرض يكون.

هذا هو التجسد، وهذا التجسد تقدم المسيح إلى الصليب .
وماذا كان يحمل ؟

كان يحمل كل خطية الإنسان . يحمل كل خطية اقترفها الإنسان في وضعها
الرجعي الماضي منذ آدم ، بل آدم أولاً وبالضرورة ، وكل خطية تناسلت من آدم في
نسله منذ البداية وإلى آخر الدهور .

والسؤال الذي قد يتبادر إلى الذهن :-

كيف أخذ المسيح الخطية في جسده ، ونحن نعلم أنه بلا خطية ، وولد من جسد
طاهر بلا خطية ، وعاش بلا خطية ؟

يا أحبائي ، تأملوا معي قليلاً . حينما افترى على المسيح بأنه خاطيء ولم يدافع عن
نفسه ، ففي هذه اللحظة تقبل الخطية ورضي بأن يصير مندوباً عن الخطاة ، هذا في
المظهر . أما في الجوهر ، فقد استلم الخطية فعلاً ، إذ صار في الحال حامل كل إثم كونه
صمم على عدم المدافعة عن نفسه إزاء كل إفتراء عليه بأنه فاعل إثم .

حينما قيل عنه أنه مجدف واقتبل التهمة دون أن يدافع عن نفسه ، قبل أن يصير مجدفاً
بالفعل .

حينما قيل عنه أنه كسر السبت ، مع أنه أفهمهم كثيراً أنه رب السبت فلم يريدوا
أن يفهموا ، ثم لما لم يدافع عن نفسه تقبل في الحال خطية كسر السبت .

وأنتم تعلمون يا أحبائي — أو ينبغي أن تعلموا — أن كل من خالف ناموس موسى
ف: «على شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رافة» (تث ١٧: ٦ ، عب ١٠: ٢٨) .

أظن أنه قد ابتدأت الآن تتضح خطوط الخطية وخطوط العقوبة .

رضي المسيح أن يصير مخالفاً للناموس .

رضي المسيح أن يصير كاسراً السبت .

رضي المسيح أن يصير المجدف على الله .

رضي المسيح أن يصير فاعل الإثم.

بهذا يا أحبائي، وُضع على المسيح كل أنواع الخطايا والتعديات، ورضيها جداً. وفرح فرحاً عظيماً لأنهم استطاعوا أن يلموا شمل جميع أنواع التعديات ويصبوها على جسده وعلى رأسه صَباً. فرح جداً أنهم لم ينسوا خطية واحدة، جميع الخطايا: صغيرها أولاً وضعوها عليه، ثم متوسطها، ثم كبيرها.

نعلم أن الخطايا الصغرى كانت تعالج بالجلد أربعين جلدة حسب الناموس (تث ٢٥: ٢، ٣). وتعلمون أن كل من يخالف الرؤساء وذوي السلطان في إسرائيل كان يُخرج خارج المجمع كمخالف للناموس (خر ٢٢: ٢٨)، حتى ولو لم يكن بالسلوك مخالفاً للناموس (أي أنه إذا عصى الشعب رؤساء الكهنة — حتى ولو كان الشعب على شيء من الحق أو على بعض الشيء من الحق — فكانت العقوبة تجوز عليهم، لأن قول السوء على «رئيس في شعبك» هو خطية)، لذلك استدرك بولس الرسول في حوارهِ مع رئيس الكهنة بالرغم من أنه كان على حق (أع ٢٣: ٥).

وحينما تكلمت مريم على موسى، أتى موسى يتشفع فيها أمام الله ليشفيها. فقال الله لموسى: «ولو بصبغ أبوها بصبغاً في وجهها أما كانت تخجل سبعة أيام. تُحجز سبعة أيام خارج المحلة. وبعد ذلك ترجع» (عدد ١٢: ١٤). هذه إشارة عجيبة جداً، فهنا بصبغوا في وجه المسيح ولطموه على رأسه وبتفوا شعره (ولو أن نتف الشعر ذُكر في النبوات عن المسيح — إش ٥٠: ٦ — ولم يُذكر في الأناجيل بل في التقليد الليتورجي).

هذه هي العقوبات والتأديبات التي حملها المسيح عن الخطايا الصغرى: الجلد، وإخراجه خارج المجمع، والبصاق، ونتف الشعر.

وبعد ذلك تقدم المسيح إلى الصليب من أجل الخطايا المميّنة، بحسب الناموس القديم، ومن بينها خطية كسر السبت، فكان كل من يكسر السبت يُرجم.

فالآن، بعد أن استوفى المسيح كل عقوبة الخطايا الصغيرة تقدم ليستقبل عقوبة

الخطايا المميتة كلها معاً.

ما أعظم ما صنعت من أجلنا يارب، ونحن لاهون عما صنعت من أجلنا يا ابن الله.

* * *

يا أحبائي، أتوسل إليكم، تحسّسوا موضعكم من ضربات الظهر، تحسّسوا موضعكم من بصاق الوجه، تحسّسوا موضعكم من القصة وهي تهوي على رأس المخلص، إنها على رأسك أنت يا حيبي. اليوم يوم قضائك، وإن شئت وإن قبلت فهو يوم براءتك. فالיום تدخله برعدة حقيقية مع المسيح، معرى الظهر، مفضوحاً، متفلاً على وجهك، منتوف الخدين، مضروباً بالقصة على رأسك، ثم تتقدم بحرية إرادتك وتفرد ذراعيك بمشيئة إرادتك أيضاً و بسلطانك وحدك، ثم ترتفع معه سرّاً قليلاً قليلاً، تشجع معه من ضعف لتقف هذه الوقفة الشنيعة مفضوحاً معرى مسمر اليدين والرجلين على الجسد العتيق الذي حمل كل خطية لكما ترتفع مع ذلك الجسد الطاهر، وتأخذ معه نصيب عقوبة. حينئذ تخرج معه بنصيب براءة...

نعم، اليوم هو يوم قضائك. لا تخف تعال. عرّ ظهرك مع الذي تعرى ظهره ولم ينجل. تعال اكشف وجهك وعرضه ولا تلتفت إلى الوراء كما قال إشعياء: «لم يرتد أبداً» (إش ٥٠: ٦).

لا تخف، امش معه خطوة خطوة. وهذا هو ثمن خطاياك الصغيرة، ثمن كسر وصايا الله الصغرى... تعال. تعال معي، اشترك في هذه العقوبة التي تستطيع أن تغسلك بل تغسل لحمك ودمك وعظمك، بل تجعلك تولد من جديد بلحم طفل جديد.

اليوم قضاء البشرية على الخطايا الصغيرة. تعالوا، تعالوا يا خطاة، يامثلي الضمير، يا ذوي الحساسية الشديدة في الضمير، تعالوا فالיום هو يومكم. تعالوا لكي تُشبعوا حساسية ضمائرهم، لكي تعيشوا فيما بعد لا بضمير مثقل بالخطايا، ولا بضمير عليه خطية ما، بل بضمائر مطهرة مغسولة نقية بيضاء أكثر من الثلج (مز ٥١).

لقد ألبسوه ثوباً قرمزياً يوم الصليب، وهذا هو تحقيق النبوة عن «الآتى من أدوم بثياب حمراء» (إش ٥٣: ١)، أو بثياب حمراء ملطخة بالدم. فهذا الثوب الأحمر تقابله آية رائعة: «إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، وإن كانت حمراء كالودودى تصير كالصوف» (إش ١: ١٨). هنا الصوف هو ثوب الحمل وهو على الصليب. عروه وألبسوه ثوباً أحمر ورفعوه، فوضح الثوب الآخر، لبس المسيح ثوب المجد، ثوب الطهارة الأبدية.

هذه هي الحاجة التي يدخل فيها الله معنا اليوم. نحن كلنا لباس ثوب أحمر ملطخ بخطايا شنيعة، بعضها لطم صغيرة وبعضها لطم كبيرة.

اليوم يا أحبائي ثوبنا ملطخ بالدم، من بعيد يرى وكأنه لطة واحدة، كأنه صبغة واحدة. ولكن إذا دققتم النظر لوجدتموه صلباناً بلا عدد، بالملايين، هي خطاياي وخطاياك، بعضها صغير دقيق. هي الخطايا التي ثمنها تعرية الظهر وضرب السياط التي نالها المسيح، فنضحت علينا بياضاً يفوق الوصف، بياضاً يضاهي بياض صوف الحمل الوديع، حمل الذبيحة الإلهية التي رفعت خطايا العالم.

وبعضها صلبان كبيرة لا يمكن أن تشير إلا إلى خطية الموت التي تجلب الموت والتي دخل إليها المسيح كشجاع، وخرج مبرراً مغسولاً لنا وعنا.

فيا أحبائي، إن كانوا قد ألبسوا المسيح ثوباً أحمر واستاقوه به من محكمة رؤساء الكهنة، فهذا هو ثوب الخاطئ الملطخ بالدم، هذا الثوب الذي سبق ورآه وتحدث عنه النبي من قبل، استاقوه إلى مكان الحكم الصوري — أي محكمة الرومان — فما كان من الرومان إلا أن صدقوا، في ذلة مخزية، على حكم المدعي العام رئيس الكهنة.

وحاول بيلاطس في شيء من التخاذل، محاولة بشرية يائسة يكادها أن يعيد للقانون الروماني كرامته ويرجع ماء وجهه الذي أراقه هؤلاء الكهنة والمتمكنون من حياكة الدسائس. قال لهم:

— «أؤدبه وأطلقه» (لو ٢٣: ١٦) (عقوبة الخطايا الصغيرة).

فقالوا له :

— لا بن اصيله . اصيله .

— أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان ؟

— لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلمناه إليك .

ما أقسى جبروت هذا المدعي العام...

وهنا ارتجف قلب المسيح . لأنه إذا تم مسعى بيلاطس لضاع الصليب ، إن كان الأمر سيؤول إلى مجرد تأديبات فقط على خطايا صغيرة فحسب .

وهنا نلتفت مرة أخرى إلى حرية إرادته ، فهو لم ينثن لحظة واحدة ، بل كان يدعو في قلبه ألا يلين هذا الوالي ، بل أن يصدر أقصى الحكم في القضية كاملاً تاماً ، كما أرادوا أو كما صدر من فوق .

— أما تجيب بشيء ؟ (حام عن نفسك)...

ولم يكن بيلاطس يدرك أن محاماة المسيح الوحيدة عن البشرية سوف تكون هي دمه المسفوك !

فصمت الرب لئلا يتعطل الصليب بسبب حكمة بشرية لا تدرك معنى الصليب .

— أما تكلمني ؟ ألسنت تعلم أن لي سلطاناً أن أصليك وسلطاناً أن أطلقك ؟
(باللتذل) .

— لم يكن لك عليّ سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق .

ليس أبلغ من هذه الإشارة ، أن القضية قد صدر بها أمر إلهي ، قبل أن ينطق بالحكم بيلاطس كسلطة تنفيذية . وذلك لأننا أمام قضية ليس فيها أدلة مادية واضحة ، فهكذا اعترف هذا القاضي الروماني قائلاً : « لست أجِد فيه علة واحدة تستوجب الموت » .

وتحت إلحاحات هذا المدعي العام المجنون العاقل (لأن هذا كان أمر الناموس) ،

وتحت إلحاحات هذا الشعب الساخط، لم يكن بد من أن ترفع القضية إلى السماء، إلى الملك لكي يصادق على الحكم، وإلا فلا يمكن التنفيذ.

بحسب القانون الروماني، القضية مشوهة أشنع تشويه، فقال لهم:

— خذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم.

— لا يجوز لنا أن نقتل أحداً!

هنا المسيح بجلاله وبهيته العظمى، أعاد للقانون الروماني هدوءه، وأعاد لرئيس الكهنة هدوءه النسبي إذ حول صراخهم بصلب المسيح إلى السماء لكي يتم التصديق عليها، ترصية لضمائيرهم التي سوف تثور عليهم ولن تتركهم في هدوء. فصادق الله لحظة أن أعلن المسيح هذه الشهادة:

— لم يكن لك عليّ سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق.

هنا آخر مصدر للقضاء، وآخر مصدر للتنفيذ والحكم. صدر من كل الهيئات:

— هيئة الكهنة التي تمثل القضاء الناموسي.

— هيئة بيلاطس التي تمثل الهيئة التنفيذية.

والسواء صادقت أيضاً.

كل هذا يا أحبائي، لكي أهدىء نفوسكم أنتم أيضاً، فالمسيح لم يتقدم إلى الصليب وهو يحس أنه مظلوم، أو كأنه غير مستحق الموت بموجب الناموس. لا بل صار المسيح — مجريته وسلطانه وحده — مستحقاً الموت بموجب مخالفة الناموس التي وقعت فيها البشرية كلها، والتي حملها المسيح راضياً مسروراً ليتقدم بها إلى قضاء السماء لينتزع براءة من لدن السماء، براءة لم ولن يحدث مثيلها قط.

هذا هو القضاء العظيم الذي تبرأت به البشرية في هذا اليوم، براءة لا يمكن قياسها ولا إدراكها. إنه يمكن فقط الحصول على صورة مسجلة رسمية من هذا القضاء المبرء لكل إنسان يتقدم إلى المحكمة العليا السماوية بلا ذهاب ولا فضة.

* * *

تعالوا، تعالوا، إلى خلاص قد أعد، وتبرئة سماوية ليس فيها إطلاقاً أي نقاش. إذ لا يمكن أن يعاد نظر قضية سبق تقديمها والحكم فيها، وصدرت فيها براءة رسمية.

كل من له مثل هذه القضية، فليتقدم ليأخذ براءته اليوم، يأخذ «حكماً ماثلاً» بلغة القضاء اليوم، ومن هيئة رسمية سماوية وبختم الله.

باخطاة الأرض كلها، أي الخاطيء — أي خاطيء — تعال بما في قلبك وفكرك وجسدك وضميرك، من خطايا صغيرة كانت أم كبيرة، مزدحمة حتى شقت قلبك بالحزن. تعال اليوم، وخذ صورة رسمية من البراءة تستطيع بها أن تقف لا أمام كهنة أرضيين بل أمام السموات وأمام يسوع المسيح الذي هو محاميك وقاضيك ورافع البراءة عنك في حضرة الله. خذ براءتك من السماء نفسها، براءة لا يمكن النقاش فيها.

اليوم يا أحبائي دخل المسيح حاملاً شكل المجرم، كل مجرم، حاملاً كل خطية يمكن أن تطرأ على ذهن إنسان ثقلت مهما ثقلت، ولها حكم الموت المطلق بلا نقاش أو جدل، دخل المسيح بها في محكمة الأرض والسماء، وتقدم وجاز كل عقوباتها في نفسه منذ أن رفعوا الثياب من على ظهره وضربوه عند الجلجثة، والدم منسكب من يديه ومن قدميه ومن جروح الأشواك المغروسة في جبينه، بل أستطيع أن أقول أن كل جزء في جسده تخضَّب بالدم.

الذبيحة قدّمت عن خطايا البشرية كلها، والدم صار على الجسد ثوباً جديداً مطهراً لكل خطايا البشرية. وهذا الجسد عينه — الذي هو جسدك وجسدي — قام المسيح في اليوم الثالث ممجداً، وارتفع وجلس عن يمين العظمة في الأعالي ليصنع باستمرار شفاعة وكفارة ولينال لنا غفراناً عن كل خطية.

فالיום يا أحبائي يوم قضائكم، و يوم تبرئكم أيضاً.

* * *

٣ - إلهي إلهي لماذا تركتني

بعد هذه المقدمة الكبيرة، أستطيع أن أُمس معكم الآن هذه الآية المباركة، لنعرف
عمن قال المسيح هذه الكلمات: «إلهي إلهي لماذا تركتني».

الظلمة مخيمة على الأرض كلها من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، لقد
صلبوا الكلمة نور العالم، فاختفى النور عن العالم بالحقيقة. هدموا (فكوا - حلوا)
الهيكل، أي فكوا الجسد، فابتدأ الموت يسري في الأوصال. فلما هدموا الهيكل الجديد،
نُقِصَ في الحال الهيكل القديم. لقد قال لهم وهو في الهيكل: «انقضوا هذا الهيكل وفي
ثلاثة أيام أقيمه» (يو: ٢: ١٩)، ففي غياب منتهى الغباء، تقدموا إلى هذا الهيكل
السمائي غير المرئي بعيونهم الخاطئة، وقدموا عريضة تستوجب نقضه أو «فكه».

وفعلًا وفي اللحظة التي بدأ فيها الموت يسري بيقين في الجسد، إنشق حجاب
الهيكل من أعلى إلى أسفل تعبيراً عن خروج الله منه إلى الأبد «هوذا بيتكم يُترك لكم
خراباً» (لو: ١٣: ٣٥).

كيف يُرى النور على الأرض و«أنا هونور العالم» (يو: ٨: ١٢) قد قُطِعَ من أرض
الأحياء؟ (أش: ٥٣: ٨)!

هنا الظلمة الخارجية حقيقة لا بد منها، لأن النور الحقيقي حاولوا أن يخفوه عن
العالم، واستطاعوا: «هذه ساعتكم وسلطان الظلمة» (لو: ٢٢: ٥٣)، خيّمَت الظلمة
على الأرض بسبب هذا الظلم، لا بسبب أن المسيح قد ارتضى أن يُصلب، أو لأن
الآب ووجه الآب قد انجذب.

هذه الظلمة الخارجية من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، كانت صورة طبق
الأصل لما كان يجوزُه المسيح على الصليب.

وصمت المسيح أول ما حلت الظلمة على الأرض، أحس بالموت يسري في جسده،
صمت في الحال، وانتهت الكلمات كلها.

ولكن ما هذه الظلمة ؟ لقد أرادت البشرية أن تعرف كنهها . ولماذا هي ؟ إنها صورة طبق الأصل لما كان يجوزه المسيح في الداخل «إلهي إلهي لماذا تركتني ؟» . لا يمكن أن يقف مجرم أمام الله وعدله بوجه مكشوف ! ولا يمكن أن يُرى الله بوجه مكشوف . لقد انحجب وجه الله عن ذلك الذي صار مجرمًا ، ذلك المرفوع على الصليب بسبب الخطية «لأنك حجبت وجهك عنا وأذبتنا بسبب آثامنا» (أش ٦٤: ٧) .

لقد حمل المسيح كل خطايا البشرية على الصليب ، فانحجب وجه الآب عن الابن المتجسد ، دون أن يفصل لاهوته عن ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين .

وجازت الظلمة أعماق الجسد ، بل النفس ، بل الروح ، ولكن اللاهوت قائم كما هو ، لا يمكن أن يفصل عن الناسوت إطلاقاً .

هذه الظلمة هي التخلية والإخلاء : تخلية من الآب ، وإخلاء من الابن لذاته «أخلى نفسه» (في ٢: ٧) عن كل مجد الألوهة ونورها ، وارتضى شاكرًا راضياً أن يدخل الظلمة بنفسه ، وهو النور الحقيقي الذي لا تدركه الظلمة .

لا يوجد موقف أعمق وأعظم من هذا الإخلاء ، في مفهوم التجسد «إلهي إلهي لماذا تركتني» . لا يمكن أن نفهم إخلاء التجسد «أخلى ذاته آخذاً صورة عبد» إلا إذا رجعنا إلى هذه الآية واستلهمنا منها مفهوم الإخلاء على مستوى مرثي .

لهذا فالمسيح قال بفمنا وبفم كل خاطيء «إلهي إلهي لماذا تركتني» . لأنه لا يمكن أن يخطيء إنسان ثم يستطيع أن يقف أمام الآب بوجه غير مغزي . لا بد أن يعبر هذه الظلمة عينها ، نعم لا بد أن يجوز مع المسيح من الساعة السادسة إلى التاسعة ، لكي يدخل مرة أخرى إلى حضرة الآب برجاء وقدم وثقة ، بإيمان المسيح ، بلا لوم في المحبة ليعيش إلى الأبد كقديس مطهر ، كإنسان بار في دم المسيح ، اغتسل وقام في ثياب مبيضة ، ليعيش مع المخلصين إلى الأبد .

وهكذا فإن النور الذي لا يمكن أن تدركه ظلمة، ارتضى أن يدخل الظلمة بإرادته، ولكن الظلمة لم تستطع أن تحتويه. فالمسيح وهو في القبر شق ظلمة الموت وخرج في فجر الأحد بنور يملأ السماء والأرض وينير المسكونة إلى دهر الدهور.

إذاً، فهو رضى بالظلمة، ولكن رضى بها إلى حين، رضى بها إلى زمان. هنا مفهوم الإخلاء، هو مفهوم زمني وليس مفهوماً جوهرياً. الإخلاء لا يمكن أن يفهم على مستوى الجوهر والطبيعة واللاهوت إطلاقاً. الإخلاء يفهم فقط على مستوى زمني. المسيح تخلى عن مجده زمنياً، وتخلّى عن نوره زمنياً، رضى في ثلاث ساعات أن يعيش في ظلمة قاتمة كإنسان خاطيء، وهو الإله، حاملاً خطية العالم كله على الصليب، في جسده. فأنحجب عنه نور الآب، بل وحجب هو عن ذاته نوره الحقيقي، إذ هو النور الحقيقي، وعاش هو والأرض كلها في هذه الظلمة ثلاث ساعات متوالية، عبر عنها بـ «إلهي إلهي لماذا تركتني».

هذه الصرخة بأحباتي، هي صراخ الخاطيء حيناً بحس أن الخطية حجبَت نور الآب ونور الابن عنه.

هذه هي ظلمتنا التي نعيش فيها بين الحين والحين، حيناً تستعلن الخطية وحيناً نحسها بالضمير الشفاف وبنور الإنجيل والآية، وعلى ضوء الكلمة والعظة، وعلى ضوء التأمل والتعمق بالقلب. نواجه هذه الظلمة عنها، لا مفر، ظلمة مرعبة للغاية هي.

ولكن، شكراً للنور الحقيقي الذي لا يمكن أن تدركه الظلمة، ولا يمكن أن يحتويه قبر الخطية، فقد استطاع أن يجوزها عني، ماسكاً بيدي أنا الإنسان الخاطيء الذي قد صارت في الخطية وصار لي الظلام رفيق حياة، وما صار لي النور تماماً بعد.

فلا نخف أبداً... نعم... فن ظلمة إلى نور... حيث يملك النور ولا يمكن أن تملك الظلمة علينا من بعد.

نحوز بالحقيقة في نور الضمير وجع الخطية وظلمتها، حزنها وكآبتها، وكأننا ننزل القبر بأقدامنا، ولكن سرعان ما يشع علينا نور الرجاء، نور المسيح، نور الصليب، نور القبر الفارغ ونقوم، بتعزية الكاهن وبتعزية الكنيسة وبسر التوبة وبرجاء الإفخارستيا. نقوم من جديد في نور يكاد يشملنا، تتسربل به.

حقاً هو لا يدوم معنا، لأننا لا زلنا نعيش بجسد الخطية، ولكن... سوف نقوم بهذا الجسد عينه غير الفاسد الذي تنق وتجدد واستنار بنور المسيح والقيامة منذ الآن. وإذا يقوم، فلن يسود عليه الموت بعد.

بل ومنذ الآن، وكل من أشرقت عليه قيامة المسيح، فلن يرى الموت حتى ولو مات (يو ١١: ٢٥). ولن تحتويه ظلمة القبر، حتى ولو أحكموا عليه مغاليق الحديد ومتاريس النحاس والأقفال. سوف ينطلق من العالم، من شمسها الضعيفة ومن نورها الضعيف، إلى شمس البر، النور الأبدي. نعم، سوف يدخل مجال النور، ولن تحتويه ظلمة قط.

يا أحبائي — اليوم أيضاً يوم ظلمتنا، ينبغي أن نحوزها مع المسيح من الساعة السادسة وحتى التاسعة، من وراء حجاب الخطية الذي ينبغي أن ينشق ونعيش أبداً خلفه. ثم وبعد التاسعة يشرق علينا نور الرجاء، النور الذي أتى ودخل العالم ولن يتركه، نور المسيح الذي قام من بين الأموات لكي نعيش في نوره إلى الأبد.

هذا هو الصليب.

هذا هو يوم القضاء العظيم، يوم البراءة التي نالتها البشرية، من الحكم الذي صدر على المسيح وتقبله كمستحق الموت، رفعه عنا ومزقه على الصليب، وقام في نصرة القيامة ب بشرية مجددة، بخليقة لا يمكن أن يملك عليها الموت، ولا يمكن أن تسود عليها الخطية. بل بر في بر إلى الأبد.

نعم يارب . نعم يا يسوعنا المصلوب .

نعم يا يسوع ساعات الظلام من السادسة إلى التاسعة .

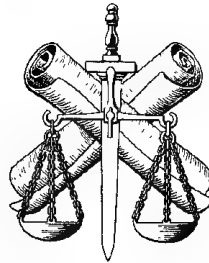
يا من جزت هذا كله عني ، نعم يارب . أذكرني ، أذكرني أنت الآن وأنت في ملكوتك . واذا كر شعبك لكي لا يستنقلوا الظلمة إذا غشيتهم ثلاث ساعات . ولكي لا يدخلوا اليأس أبداً طالما أنت هتكت ستار الظلمة بقيامتك ، إذ قمت أبها النور الحقيقي . وفيك أدخلت البشرية في نور أبدي .

ادخلنا اليوم يا ابن الله في هذا الصليب ، صليب الحبيب ، لندخل معك القضاء ونخرج مغفوري الخطايا والزلات .

آمين . برّتنا يا ابن الله واقبلنا ، هذا اليوم ، لتكون شركاء حبك العظيم الذي دفعك إلى هذا الصليب .

آمين . ليتمجّد إسمك في كنيستك من الآن وإلى الأبد آمين ...

(١٩٧٣)



إنجيل آلام وأمجاد قيامة

« بموتك يارب نبشر وبقيامتك
المقدسة وصعودك إلى السموات
نعترف ... »

القداس الإلهي

إنجيل الآلام:

بدأت أحزان المخلص مبكرة جداً، وامتزجت بحياته اليومية صور متعددة من
الآلام الضاغطة، يتحسسها الذين مالوا إلى عشرته فيجدوا فيها ملجأ فريداً في
الأحزان، وكتاباً صاغته حياته في أبواب مستوفاة كل نواحي الألم...

وقد زادت قصته روعة، تلك الأيدي التي كتبت في سلاسل وقيد، وراجعت عيون
أنهكتها الدموع — بقصد أن تقرأ تلك الجماعات المبعثرة في زوايا المدن التي أهدت بها
نيران التجارب من كل ناحية... حتى صار إنجيلنا بشكله وموضوعه، بذرة زُرعت في
هوان، ورويت بالدموع، ونمت في وسط لهيب نار الإضطهاد في أنحاء الأرض المتفرقة،
تجمعها نفس الظروف الواحدة... ولكنها انتصرت وقامت واستقامت كباذرها. وأنت
بشار، نحن لون من ألوانها.

• • •

وإنه وإن كانت هناك أنواع أحزان كثيرة نعرفها، إلا أنه ليس فيها كلها ما يماثل
أحزان الذي صُلب بالشوك.

ومع ذلك فكثير من أحزانه لازلتنا نجعلها...

إنه وإن وُجد مجربون كثيرون بتجارب مرة — ولكن ليس كمن جُرّب في أهله

وأحبائه وتلاميذه ورؤسائه وحكامه ، وفي مبادئه وتعاليمه وأقواله وآيات رحمته ، وفي جسده وفي طريقة موته .

وإنه وإن كانت طبيعة الألم تزداد بمقدار نبل الإنسان وحساسيته — فهل يمكن أن يتصور أحد مقدار الآلام التي أصابت نفس المسيح ، وعمقها ...

لذلك فهو بلا شك رئيس الآلام ومكملها .

لذلك استطاع أيضاً أن يأتي بأولاد كثيرين إلى المجد ، مكتملاً خلاصهم بالآلام (عب ٢: ١٠) .

وسار قائد خلاصنا عبر وادي الآلام والدموع ، « وإذ قد تألم مجرباً فهو قادر أن يعين المجربين » (عب ٢: ١٨) ، ويسكب عليهم من أحشاء رحمته عطقاً وحنواً وغفراناً .

من أجل ذلك كم كان لاثقاً لنا جداً ، ونافعاً ومفيداً ، أن يتألم المسيح أولاً ، ثم يدخل إلى راحته ...

* * *

ولكن القارئ يلاحظ وهو يتصفح قصة خلاصنا ، أن الآلام تتجمع في سرعة غير عادية ، خلال الصفحات الأخيرة ، كختم سيمفونية حزينة ، تتوارد فيها تعبيرات الحزن شديدة المسرعة ، تنبئ السامع بقرب انتهاء المأساة ، فيها يسكب الموسيقي كل مشاعره على أوتاره المتجاوبة معه ، فتمتزج فيها السرعة والشدة والألم معاً ...

هذه جثسيماني ، بؤرة صغيرة تركزت فيها أكثر آلام عرفتها الأرضى ، وأقواها ...

وعلى رمية حجر من أقرب أحبائه ، ارتأى أن يحزن وأن يكتئب وحيداً ... لا بمستوى أحزانه الكثيرة التي مرت عليه ، ولكنه حزن حتى الموت .

يقول عنه القديس بولس الرسول إنه كان بصراخ ودموع (عب ٥: ٧) .

ويقول عنه القديس لوقا الإنجيلي إنه كان مصحوباً بجهد جسدي عنيف ،

استنزف قطرات العرق من جبينه كمنقط الدم — مع أن الليل كان بارداً (لوقا: ٢٢: ٤٤).

ولكن، ما هذا الحزن الشديد...
أكان فزعاً من الآلام القادمة...؟
ولكن الآلام التي لم تُفزع الشهداء، كيف تُفزعه؟
والصليب الذي قبله بطرس منكساً بشجاعة... أيجزع هو منه...؟

لم يكن قطعاً حزن الرهبة من الآلام، ولا جزءاً من الصليب مهما كانت عذابات، فهو لم يخش الموت قط، لأنه جاء ليتممه، بل ولد له. نحن نخشى الموت، لأننا نجهله. أما هو، فكان يعلم كل شيء، ويعرف أين سيمضي، بل ويرى المجد الذي ينتظره.

كانت أحزاناً حقيقية ثقيلة، واكتئاباً شديداً، ومرارة ممتة — لم يكن مصدرها رهبة من الموت، أو جزءاً من ألم — فهو رئيس الإيمان ومكمله بالآلام (عب ١٢: ٢)...

اسمع إذن لماذا حزن واكتئاب:
لقد كان أبرع جالاً من بني البشر (مز ٤: ٢) — ولكن لما وضع عليه الرب إثم جميعنا (١)، صار منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل (٢) ...
ولما حمل الخطية صار محتقراً أكثر من بني البشر (٣).

كان حلقه مملوءاً حلاوة (٤)، ولما تحمل أوجاعنا امتلاً صراخاً وتنهذاً للقادر أن يخلصه (٥). ونحن حسبناه مضروباً من الله ومذلواً (٦)!!

هي الخطية أم الأحزان والأوجاع والمذلة...
هي الرذيلة والنجاسة والإثم، كثيبة مفسدة لكل من اقترب منها...
ولما حملها رئيس سلامنا أثقلته جداً فوق الطاقة حتى ستر الناس وجوههم عنه

(٣) إش ٥٣: ٣.

(٢) إش ٥٢: ١٤.

(١) إش ٥٣: ٦.

(٦) إش ٥٣: ٤.

(٥) عب ٥: ٧.

(٤) نش ٥: ١٦.

ونفصوا الرؤوس (٧).

وفي اختبار آلامه خذلوه واحتقروه ولم يعتد به أحد^(٨)، وقالوا «فليخلص نفسه». مع أنه سُئل عما لم يفعله^(٩)، وضُرب عن ذنب شعبه^(١٠)، وخلص آخرين^(١١)، أما نفسه فلم يشأ أن يخلصها، لأنه هو الذي وضعها^(١٢).

فأوفى بأحزانه ديون الخطية، وأكمل باكتسابه وصراخه ودموعه وعرقه كل مطالبها.

ولولا الخطية التي أحزنته لجاز الجلاشة مبتسماً!
ولولا عار البشرية الذي ضغظه لصار الصليب عنده ضحكاً.
ولكن لو لم يرتعب، ولو لم يحزن و يكتئب، ولو لم يصرخ بدموع — لكننا اندهشنا جداً: كيف يتحمل خطية الناس ولا تؤثر فيه وهو ابن الإنسان.

وكيف يتحمل أوجاع البشرية ولا يتوجع كبشر.
ولكن الذي لم يعرف خطية، صار خطية^(١٣) واحتمل حزننا^(١٤) بالحق.
والذي لم يعرف لعنة، صار لعنة^(١٥) وجاز مرّها حتى الغاية.
الخاطيء يحزن عندما يشعر بخطيته، فكم يكون حزن الذي لم يخطيء حيناً يحمل نيرها.

وإذا لُعِن المستوجب اللعنة تتمرر نفسه جداً، وينسحق بحزن مميت — فكم يكون انسحاق البار ومرارة نفسه حيناً يلعن.

هذا كان كأسه، طلب لو أمكن أن يرفع عنه^(١٦) لأنه لا يستحقه، ولكن الذي تعلم الطاعة مما تألم به^(١٧) كيف لا يشربه وقد أعطاه له أبوه...

(٩) مز ٣٥: ١١، يو ١٨: ٣٥.

(١٢) ٢ تي ٨: ١.

(١٥) غل ٣: ١٣.

(٨) إش ٥٣: ٣.

(١١) مر ١٥: ٣١.

(١٤) إش ٥٣: ٨.

(١٧) عب ٥: ٨.

(٧) مز ٢٢: ٧.

(١٠) إش ٥٣: ٧.

(١٣) ٢ كو ٥: ٢١، إش ٥٣: ٣، ١٠.

(١٦) مت ٢٦: ٢٩.

كانت ساعة الخطية وسُلطان الظلمة (١٨) — طلب أن تجوز عنه ، ولكن من أجل هذه الساعة جاء (١٩) . فكيف لا يقبلها ...

لقد انعكس ظل هذه الساعة على كل حياته السابقة ، فكان يتطلع إليها ويئن ، وبكى لما تذكرها على قبر لعازر (٢٠) .
لكنه ثبت وجهه نحوها (٢١) ...

* * *

دخل الموت ليصرعه بحياته ، ونزل القبر ليقوم و يتركه فارغاً — شهادة أبدية .
وانحدر إلى الهاوية ليصعد وفي موكب نصرته ربوات من شهود قيامته .
كان لابد أن يموت ، ليبطل الموت بقيامته . وكان لابد أن يظل ميتاً ثلاثة أيام ليخلص الذين في الجحيم ، و يصعد أعظم من منتصر .

كجبار حطّم أسوار الجحيم ، وصعد وفي يديه المصاريح ومفاتيح الهاوية والموت .
وفي عظمة نصرته نادى : « أنا ... الحي وكنت ميتاً ، وها أنا حيّ إلى أبد الآبدين » (رؤى : ١٧ ، ١٨) .

« إني أنا هو . جسّوني وانظروا » (لوقا : ٢٤ : ٣٩) ...

كان لا يمكن أن يموت إن لم يكن قد أخذ جسد خطيتنا ...
وكان لا يمكن أن يقوم إذا لم يكن قد غلب الخطية بالجسد ...

من أجل ذلك تشارك مع الأولاد في اللحم والدم (٢٢) ، لكي بالموت الذي يذوقه يبيد من له سلطان الموت ، أي إبليس ، ويعتق بقيامته الذين بسبب الخوف كانوا كل حياتهم تحت عبودية الموت (٢٣) .

(٢٠) يوحنا : ١١ : ٣٥ .

(١٩) يوحنا : ١٢ : ٢٧ .

(١٨) لوقا : ٢٢ : ٥٣ .

(٢٣) عب : ٢ : ١٥ .

(٢٢) عب : ٢ : ١٤ .

(٢١) لوقا : ٢١ : ٢١ .

وعلى الصليب جرد الرئاسات المظلمة وفضحهم جهاراً وظفر بهم (٢٤). أسقط قاهر الأمم وهوى كما رآه سابقاً كالبرق المنحدر من السماء (٢٥)...

وما أروعها معركة دارت رحاها وراء حجب العالم المنظور، تلك التي طرح فيها رئيس هذا العالم خارجاً (٢٦)، فاقداً سلطانه الأول. ودُفع للغالب الذي خرج غالباً ولكي يغلب (٢٧) كل سلطان بما في السماء وعلى الأرض (٢٨).

* * *

داس المعصرة وحده (٢٩)، واعتصر من دمه كأس خلاص للناس، وحياة أبدية لكل من يتناول منه.

هو الكرامة ومن عصيره لا زالت تقدم الكنيسة دمه جديداً مهراقاً كل يوم على مذابحها — علامة دهرية لعهد الجديد لغفران الخطايا، الدم الذي أهرقه بإرادته إيفاء لكل خطية.

«والدم هو الحياة» (لا ١٧: ٢).

قدّمه على الصليب مرة واحدة، ولكنه لا يزال كما هو — حي إلى أبد الآبدين يعمل في الأرض كلها... وكل من يؤمن بالصليب وعمل آلامه وعاره يأخذ قوة الدم المسفوك عليه...

دمه يتكلم ويغسل ويطهر ويصالح ويفدي ويشتري ويثبت ويحيي إلى أبد الآبدين...

* * *

(٢٦) يوحنا ١٢: ٣١.

(٢٥) لوقا ١٨: ١٠.

(٢٤) كورنثوس ١٥: ١٥.

(٢٩) إشعياء ٦٣: ٣.

(٢٨) متى ٢٨: ١٨.

(٢٧) رؤيا ٢: ٢٦.

أعجاد قيامة :

وإن قيل أن المسيح كان ينبغي أن يتألم ويموت ، فكم تحتم الضرورة أن يقوم ؟

لأنه تألم من جراء خطايا كثيرة ليست له ، حملها لطاعته ، وتحملها لمحبهه ، فإنه وإن كان قد صُلب ومات ، فاذلك إلا لتكميل عقاب آخرين . أما هو ، فكيف يُمسك في الموت وهو لم يخطئ قط...

فإن تألم وصلب ومات من أجل ثوب الخطية الذي لبسه ، فلا بد أن يقوم من أجل الحق والقداسة والبر التي هي أصل طبيعته الحية غير المائتة .

+ فبموت المسيح رفع الحجاب الذي كان يفصلنا عن الله أي الخطية مسمراً إياها على الصليب بجسده الذي وضع عليه إثم جميعنا .

ولما مات قتل العداوة أي الخطية بموت جسده الحامل لها . فانشق حجاب الهيكل الذي كان رمزاً للعداوة التي كانت تفصل قداسة الله عن نجاسة الإنسان .

وعوض الحجاب الفاصل صار لنا بمجد المسيح الطاهر حجاب مصالحة — إذ جعل جسده طريقاً كرسه لنا حديثاً ، حياً (٣٠) ، للدخول بثقة إلى أقداًس الله...

وبقيامة المسيح ، استُعلنَت للإنسان القوة الجديدة التي أكملها المسيح ، تلك القوة التي يغلب بها الإنسان طبيعته القديمة ، وينتصر بها على الموت وعلى سلطانه .
ليستطيع أن يحيا فيما لله .

+ قام المسيح بقدرة فائقة ، بإمكانيات جديدة يستطيع بها أن يهب ذاته لنا بأن يدخل فينا ويتحد بنا بسر عجيب ، على شبه دخوله العلبة التي كان التلاميذ مجتمعين فيها والأبواب مغلقة .

هذا يشرح لنا في غموض إمكانية دخول المسيح هياكلنا البشرية والحواس

(٣٠) عب ١٠: ٢٠ ، ٢٠.

مغلقة... لا نحس به في دخوله ولا نشعر به إلا وهو يقول: «سلام لكم»
(لو ٢٤: ٣٦)...

وبدخول المسيح فينا واتحاده بنا بالإيمان والمعمودية وأخذ جسده ودمه الإلهي في سر الشركة، تصير حياة المسيح عاملة فينا، لأنه هو يكون حياً فينا. وبذلك تأخذ قوة وثمره عمله الذي أكمله كله من جهة قداسه وطهارته وعدم غشه ونصرته على الخطية وتحمله الآلام وصلبه وموته وقيامته.

وبذلك تتجدد طبيعتنا إلى ما فوق مستوياتها — وهذه الإمكانيات جميعها ليست منا، وإنما هبة عمل حياته المقامة فينا. وهذا ما عبر عنه بولس الرسول بالإنسان الجديد. وما الإنسان الجديد إلا يسوع المسيح فينا، الذي ننسب ذواتنا إليه ونقل بسببه إننا مسيحيون.

وقبول المسيح فينا هو ما عبر عنه بالميلاد الجديد، أي يولد فينا إنسان آخر غير الترابي الآدمي «وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي»
(١ كور ١٥: ٤٩).

والذي وُلد الميلاد الجديد وصار المسيح عاملاً فيه يستطيع أن يقول مع بولس الرسول: «مع المسيح تأملت. ومع المسيح صلبت. ومع المسيح قُت. بل ومع المسيح جلست في السماويات... لأننا صرنا من عظمه ولحمه وأحياء فيه ومعه».

هذه هي هبة القيامة الفائقة الوصف التي كان يحيا فيها بولس الرسول، وعلى محورها تدور جميع إلهاماته ومبادئه. وهذه هي الشركة العجيبة التي كان يحسها إحساساً قوياً في نفسه، فكان لا يرى أي شيء أو أية هبة أو نعمة أو قدرة — إلا في المسيح. فكان يؤمن في المسيح، ويتبارك في المسيح، وهو مختار في المسيح، ومفدي في المسيح، ويرجو في المسيح، ومخلوق في المسيح، وشريك في الميراث في المسيح، ويستطيع كل شيء في المسيح. وبالاختصار لم يكن يحيا هو بل المسيح كان يحيا فيه.

ذلك لأن الاتحاد بالمسيح يجعل لنا كل ما للمسيح، وهذا هو سر قوتنا الجديدة. وسر عمل الروح القدس فينا هو سر حقيقى نلناه بالقيامة العجيبة بقوة فائقة يعبر عنها

بولس الرسول بقوله: « جعل الإثنين واحداً » (أف ٢ : ١٤) .

إذ قد سبق وأكمل هذا السر في نفسه — باتحاد اللاهوت والناسوت — في شخصه .
ولما أكمل مطالب الغفران والقضاء بذبيحة جسده ، قام ليعطينا ثمرة هذا السر
الرهيب ، وهبته ، بجلوه فينا ، وإعطائه جسده ودمه الإلهي لنا ، جاعلاً كل من يأخذه
بإيمان ، واحداً فيه . وإذ هو لا يتجزأ صار المؤمنون واحداً بواسطته ، كأعضاء
كثيرة في جسد واحد .

فكل من قبل قيامة الرب ينال سر الشركة فيه ، و يصير عضواً في جسده الحي .

وكل من لا يقبل قيامته لا ينال شيئاً قط من أعمال المسيح ، سواء من جهة
آلامه أو موته — إذ يكون حجاب العداوة لا زال قائماً لعدم قبول وسيط المصالحة .
والشفيع الذي صار بين الله والناس .

* * *

إذن كم يعوزنا أن نتذوق روح القيامة ونجدها في ذواتنا ، فاحصين بصلاة وطلبية
كثيرة عن معرفة أسرار المسيح المقام ، ... متأيدين بالقوة بالروح في الإنسان الباطن
— ليحل المسيح بالإيمان في قلوبنا — حتى لا نكون بعد تحت دينونة ، بل سالكين
حسب ناموس روح الحياة في المسيح يسوع .

أما في الدهر الآتي ، فإننا وإن كنا لا نعلم ماذا سنكون ... ولكن نحن واثقون أننا
سنكون مثله .

لأننا متنب عن إنسان آدميتنا ، وحياتنا مستترة مع المسيح في الله ، ومتى أظهر
المسيح حياتنا فحينئذ سنظهر نحن أيضاً معه في المجد .

سلام للصليب طريق القبر

سلام للقبر الفارغ موضوع القيامة

سلام للقيامة مفتاح الخلود !

(١٩٥٨)

الصليب ...! (*)

في هذا اليوم تعيّد الكنيسة لتذكّار ظهور خشبة الصليب التي صلب عليها رب المجد، وذلك على يدي الملكة البارة هيلانة أم الملك قسطنطين.

وقد لقبت الكنيسة الصليب بلقب «المحيي»، لأن صليب ربنا «قوة حقيقية للخلاص». فيولس الرسول يسلمنا هذا الإيمان الحي بقوله: «إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلّصين فهي قوة الله» (١ كو ١: ١٨).

ولكن كنيستنا القبطية الأرثوذكسية تجعل دائماً من الحدث الزمني فرصة لإضرام قلوبنا بالإيمان بالحقيقة الحية التي نعيشها.

في هذا اليوم اكتشفت هذه الملكة البارة خشبة الصليب مدفوناً تحت التراب، فأرادت الكنيسة أن تستحث بهذا الحدث الزمني إيماننا بالحقيقة الحية التي نعيشها. فنحن نعيش في صليب ربنا يسوع كل يوم ليس مدفوناً، بل مرفوعاً وظاهراً في القلوب والأفكار والأعمال. عيد الكنيسة للصليب المحيي لا يبتدىء من ظهور الخشبة التي كانت مدفونة تحت التراب، بل ابتدأ حقاً وإيماناً وحباً منذ أن رُفع عليه رب المجد!...

إذن، يلزم أن نرسّخ في ذهن القارئ والسماع أن الكنيسة القبطية لا تعيش على حوادث زمنية، وإن كانت تذكرها بالحب والتسبيح، وتعيّد لها بالفكر والقلب والتهليل، بل هي تعيش بالروح على حقيقة قائمة حية تملأ الأرض والسماء.

فصليب ربنا وإن كانت له أعياد زمنية ومكانية، فهو فوق كل شيء وقبل كل

(٥) كلمة أُلقيت بمناسبة عيد الصليب المقدس ١٩ مارس ١٩٧٥ الموافق ١٠ برمهات ١٦٩١ بكنيسة القديس العظيم أنبا مقاريديره العامريبرية شبيبت.

شيء حقيقة إلهية سماوية . لذلك نستطيع أن نقول في جرأة الإيمان أن الأعياد التاريخية في كنيستنا تستمد مجدها وبهاءها من واقع حياتنا وإيماننا أكثر من أنها تعطي لحياتنا شيئاً من الواقع أو شيئاً من الإيمان .

فنحن اليوم وفي تذكارات اكتشاف الصليب المدفون نترنم بلحن الصليب المحيي ، نضفي على هذا اليوم من بهجة إيماننا وحرارة حبنا وواقع صليتنا الذي نعيشه كثيراً من الصدق ، فنجعل الذكرى واقعاً حياً ماثلاً أمام أعيننا .

فصليب ربنا في مضمونه الكلي يلزم أن لا يكون في بالنا حقيقة من حقائق الماضي بأي حال من الأحوال ، لا لشيء إلا لأن تأثيره الفعال ممتد بالحقيقة في الحاضر والمستقبل ، طالما يوجد إنسان يعيش على الأرض . لأن الصليب مرتبط أساساً بالمصلوب ، والمصلوب حي في السماء يحمل سمات صليبه ويسكبها علينا كل يوم بل كل لحظة غفراناً وتطهيراً ، بل قداسة وبراً وفداءً . فنحن نخبر بأنفسنا بل ونمارس بأجسادنا وأرواحنا صليب ربنا كل يوم .

وحينما نقول الصليب « المحيي » فإنما نقول ذلك وعيننا على « الدم » الإلهي الذي انفجر لنا من على خشبة الصليب نهر حياة !!

لا يمكن يا أحبائي أن نذكر الصليب ذكراً حسناً أو ننشد نشيده بالروح والحق إلا والإحساس بالدم يملأ أعماق كياننا الإنساني ، فالدم هو الصلة الحية المحيية بين الصليب وقلوبنا ، بين المصلوب وبين ضماثرنا ، بين المسيح في السماء والكنيسة على الأرض !

وحينما نقول « دم المسيح » لا نقصد أن ننحصر في صورة الدم بواقعيته المادية المحسوسة وبخواصه وكميته الطبيعية المعروفة لدى الإنسان الطبيعي وحسب ، هذا الذي سَفك قديماً على خشبة الصليب ، ولكن ترتفع سريعاً لنحتضن بأرواحنا المسيح المذبح وحوله ألوف وربوات ربوات القديسين والشهداء تربطهم شركة « الدم الإلهي » في واقعيته الإلهية الفائقة غير المحدودة . أما نحن الذين نشرب كل يوم من

كأس البركة التي نباركها فندخل هذه الشركة عنها، شركة دم المسيح، وكأنما دم المسيح يلاً السماء والأرض ويجمع كل ما في السماء وما على الأرض في واحد!

وما يُقال على الدم يُقال على الصليب بدون تحفظ، فصليب ربنا ليس بعد خشبة يمكن أن تُدفن ويمكن أن يُكشف عنها، بل هونفس «شركة الدم» إنما في مفهوم شركة أخرى أكثر تجذراً وأصالاً: أي «شركة آلام»!! وهي نفسها «شركة مجد» بأن واحد!!

ولكن لا ينبغي أن يغيب عن بالنا قط أن شركة الدم أو شركة الألم أو شركة المجد، هذه الأنواع المتعددة التي للشركة الواحدة — أي شركة الصليب — إنما تأخذ قوتها من المسيح «الحي» أي من القيامة. فالصليب قوة حياة أو قوة محية، لأن المسيح الذي صُلب هو الآن حي! فبدون المسيح الحي يصبح الصليب عبثاً وجهالة. ولكن إيماننا بالمسيح الحي القائم من بين الأموات أو بالبحري شركتنا الآن في المسيح الحي تجعل لنا من الصليب قوة وحياة. فقيامه المسيح المصلوب جعلت خشبة العار سبب مجد وافتخار.

وإن كان التحول الذي تم على الصليب من عار إلى افتخار يظهر أمامنا هائلاً وغير معقول، فإنما ذلك من أجلنا نحن، وقد استدعى عملاً من الله الآب فائتاً أيضاً وهائلاً أكثر مما يتصوره العقل، يقول عنه بولس الرسول: «لتعلموا... ما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين بعمل شدة قوته الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات» (أف ١: ١٩). فهذه القدرة المتعظمة والفائقة عن حدود العقل والتصور التي أجراها الله الآب في المسيح من أجلنا، هذه العظمة وهذه القدرة الفائقة وهذه الشدة المتناهية التي استخلمها الآب ليحول لنا عار الصليب إلى افتخار في المجد الأسنى بقيامة المسيح، هذا كله وبكامله مذكور في الصليب!!

فبقدر ما احتوى الصليب كل العار البشري، كذلك وبمقدار أعظم احتوى شدة قوة الله للمجد الأبدي!!

ونستطيع أيضاً في جرأة الإيمان أن نقول أنه ليس من بين أعمال الله كلها عمل بلغ في قوته، بل في شموله، بل في مجده، بل في سلطانه، بل في غايته، مثلما بلغ الصليب! لأنه رفع الخليقة كلها من دائرة العصيان إلى الصفح الكلي والمصالحة، من الرفض إلى القبول والإختيار، من العبودية إلى البنوة والميراث مع المسيح في الله!!

نعم يا أحبائي، هذا هو الصليب الذي من أحده نُعِيرُ ونُهَان، وكأننا به نهين الله مع أنه مذكرفيه كل مجد الله بل وكل مجد الإنسان. فن أدرك سر المسيح المصلوب وآمن بالإله المهان، انكشف له السر وانقلب تجديفه إلى دموع وهتاف وعثرته إلى إيمان وشهادة، ونحبل له الصليب كمصدر ووحيد للحق والخلاص...

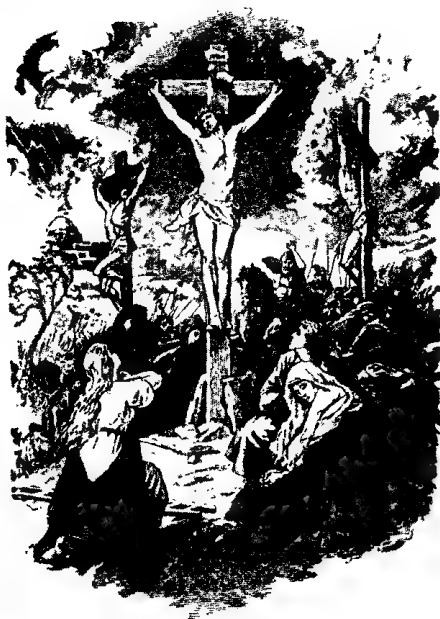
آلاف من المعجزات عملها الله في القديم وعملها المسيح في الإنجيل وكلها معجزات للإنسان، أما الصليب فهو معجزة الله!... «إذ عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذاك» (أف ١: ٩).

بل أعمال حكيمة هذا عددها عمل الله قديماً وجديداً للإنسان ليعرفها فيعرف الله، ولكن ليس من بينها جميعاً عمل كالصليب، كما يقول بولس الرسول: «نحن نركز بالمسيح مصلوباً لليهود عشرة ولليونانيين جهالة، وأما للمدعوين... فبالمسيح قوة الله وحكمة الله» (١ كو ١: ٢٣، ٢٤)، عملاً جمع فيه الله حكمته لا كمعرفة بل كفعل أجراه في نفسه مرة واحدة، فتجلت حكمة الله إلى أقصى ما يمكن أن يقبله الإنسان، لا كمعرفة، بل حياة، بل حب، بل تأله وشركة في روح الله!!

والصليب في حياة المسيح ليس حادثة عرضية بل غاية، جاء وتجسد من أجلها، ونهجاً شمل حياته كلها جاعلاً من الصليب كأسه المفضل وطاعته العظمى للآب، وبرهان حبه الأبدي للإنسان كل الإنسان، نقض به ناموس الخطيئة وبرّره الخطاة، وظفره على قوات الظلمة، وقتل به العداوة، وجمع تحت لوائه شمل الإنسان، كل البعيدين والقريبين، كرجية مع القديسين وأهل بيت الله.

لقد حول المسيح صورة الصليب الذي عرفناه يوم الجمعة صليب الخشب الثقيل الذي لم يقوَ هو على حمله فسقط تحت ثقله ، الصليب الذي بدأ أمام أحبائه كرهماً مشثوماً ، والذي تراءى لأعدائه ذلاً وشماتة ، وكان بالنسبة للناموس لعنة وعاراً ، هذا صار لنا من أجل يسوع وفي يسوع شركة سعادة أبدية ومصدر راحة وسرور وافتخار ، وكلما ازدادت الآلام من أجل شهادة يسوع ازدادت رؤية الصليب نوراً وازدادت الحياة قوة وعزاًء ، وارتفع الصليب من التاريخ لينغرس في عمق أعماق الضمير .

السلام لصليب المسيح !!



لماذا الصليب؟ وكيف نتصالح معه؟

اليوم يا أحبائي تُعَيِّد الكنيسة لعيد ظهور الصليب. صحيح أنه خشية لا تزيد عن كونها شجرة، ولكن الكنيسة لا تتمالك نفسها إزاء سر هذه الخشبة فوصفتها عن حق وبقين أنها الخشبة المحيية!! وبقار شديد بل وهتاف القلب بالإيمان تنشد: السلام للصليب ربنا يسوع المسيح، السلام للخشبة المحيية!!

ولكن ما سر هذا التجيد الأرثوذكسي للخشبة؟
+ صحيح أنها الخشبة التي مات عليها الرب موته المحيي ثم قام، فانعكست بالضرورة كل أجماد القيامة وأفراحها وهائها على موت الرب، وبالتالي على القبر وعلى الصليب!!

إذن فتكرّم الصليب نابع من كرامة القيامة، لأن الموت الذي باشره الرب على الخشبة أثمر قيامة وبالتالي مجداً. فيكون الصليب باختصار هو سبب المجد!!

وفي هذا يصف القديس يوحنا — في إنجيله — الصليب بالمجد قائلاً في موضوع انسكاب الروح: «لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد» (يو: ٧: ٣٩) مشيراً بذلك إلى الصليب!! والمسيح نفسه سُمي الصليب ارتفاعاً: «وأنا إن ارتفعت أُجذب إليّ الجميع. قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزماً أن يموت!!» (يو: ١٢: ٣٢، ٣٣).

إذن فحقّ لنا هنا أن نهتف بملء أفواهنا: السلام للصليب مصدر كل ارتفاع

(٥) كسمة أُلقيت على الرهبان يوم عيد ظهور الصليب المقدس ٢٨ سبتمبر ١٩٧٦ بدير القديس أنبا معار بشييت.

ومجد!! فإن كان الصليب هو أقصى صورة للإتضاع والمذلة، فهو قد صار أعظم واسطة للإرتفاع والمجد.

ولعل قول الرب: «من يضع نفسه يرتفع» (مت ٢٣: ١١) يشير إلى أن الإتضاع هو في الحقيقة حالة صليب وبالتالي فهو ارتفاع مؤكد.

+ ولكن هناك أيضاً عمقاً آخر تستمد منه الكنيسة تمجيدها الشديد وتوقيرها المتفاني لخشبة الصليب. وهنا يلزمنا أن نفرق بين الموت الذي ماته الرب وبين الصليب بمجد ذاته. لأن كون الرب يموت بأية طريقة مهما بلغت أقصى التعذيب شيء، وأن يموت الرب بواسطة الصليب فهذا شيء آخر!!

فالرب لم يأت ليموت فقط، بل جاء «لِيُصَلَّبَ»، حيث الموت على الصليب بالذات كان عملاً أساسياً معلوماً مسبقاً منذ الدهور، كشف عنه الأنبياء: «فقبوا يدي ورجلي» (مز ٢٢: ١٦)، «فينظرون إلى الذي طعنوه وينوحون عليه كنانح على وحيد له» (زكريا ١٢: ١٠)؛ بل إن المسيح نفسه سبق وأعلن عن سر الصليب الذي سيجوز به هكذا: «وابن الإنسان يسلّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الأمم لكي يمزقوا به ويجلدوه ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم» (مت ٢٠: ١٨، ١٩).

إذن فالله صمّم ونفّذ أن يكون موت ابنه صليباً. أي أن «الصليب» كأداة للموت كان كائناً في ترتيب الله منذ الأزل. وهذا يُضفي على «الصليب» رهبة وقوة وأصالة إلهية فائقة.

ولكن لماذا تحدد أن يكون الصليب خشبة؟
هنا نصير في مواجهة أمام أعرق مفهوم لاهوتي للصليب!!

فالرب قصد أن يتحمل لا «الموت» فقط بل «الموت في حالة لعنة» تكميلاً للقصاص المنصوص عليه في الناموس لكل من يتعدى ناموس الله!! والذي جاء فيه

ذكر الموت تعليقاً ، أي صلباً ، على خشبة .

نقرأ في سفر التثنية ٢١: ٣٢ و ٣٣ :

« وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقتل وعلّقه ، على خشبة ، ، فلا تَبِثْ جسده على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم ، لأن المعلق ملعون من الله ! » .

ومن هذا نرى أن المسيح قصد أن يتحمل لا الموت فقط ثمناً للتعدي البسيط ، بل الموت واللعنة ، أي الغضب الكلي والحرمان من الله ، وذلك نيابة عن الإنسان ، كل إنسان ، كمتعمّد عمداً على ناموس الله !!

وفي هذا يقول القديس بولس الرسول : « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا » (عندما علّق على الخشبة) لأنه مكتوب ملعون كل من علّق على خشبة » (غل ٣ : ١٣) . ولقد ذاق المسيح المر (مت ٢٧ : ٣٤) على الصليب تعبيراً عميقاً عن مرارة اللعنة .

وهنا يلزمنا أن نفرق بين الموت ، وبين الموت في حالة لعن . فالموت كان قصاص خطيئة ، ولكن الموت واللعن هو قصاص تعدّد متعمّد لناموس الله : « لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به » (غل ٣ : ١٠) . هنا كلمة : « كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب » تفيد التحرر الإرادي من الوصايا والتعدي المتعمّد على ناموس الله .

لذلك فسر موت المسيح الإرادي معلقاً على خشبة هو لتكامل قصاص كل تعدّد إرادي أو متعمّد على ناموس الله بأية صورة وبأية كمية وفي أي زمان ومكان ولأي إنسان !!

كذلك فهنا « التعليق » كفعل موت ، وعلى « الخشبة » بالذات ، يدخل في صميم الفعل الكفاري لرفع اللعنة عن كل إنسان بالمسيح ويتمسك بالصليب .

هذا الأمر أدركه بطرس الرسول بوضوح عند قوله: «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر» (١ بط ٢: ٢٤).

وهذا المفهوم الواضح يكشف بطرس الرسول بمنتهى الاختصار والكثافة اللاهوتية عن سر غفران خطايانا على خشبة الصليب. فقبول المسيح اللعنة بارتفاعه على خشبة الصليب كان بمثابة حمل جميع خطايا البشرية في جسده وجميع اللعنة المستحقة بسبب التعديات على ناموس الله.

وبذلك، «بخشبة الصليب» نكون قد متنا بالفعل ووُئينا في جسد المسيح كل لعنة التعدي على ناموس الله، ونكون قد قبلنا «الحياة» المبررة. ولهذا يحق لنا أن نحمل خشبة الصليب ونصرخ بإيمان راسخ:

[السلام للخشبة «المحيية»] !!

[السلام للصليب] !!

إذن، خشبة الصليب التي كانت عاراً ولعنة، صارت هي نفسها افتخارنا، وليس افتخارنا نحن فقط بل افتخار المسيح !! لأن المسيح لما قبل اللعنة عنا محاماً لنا إلى الأبد. إذن فصليب المسيح في حقيقته هو صليبنا وخشبة اللعنة هي خشبتنا، عليها نموت كل يوم عندما نجوز توبتنا عن خطايانا، ونتبرر عندما نستقبل دم المسيح.

انتبهوا يا أحبائي إلى المسيح المصلوب على الخشبة.

انتبهوا جداً لأنه في الحقيقة هو أنا وأنت وكل من تعدى على ناموس الله. فاللعنة أصلاً لعنتنا والموت في الحقيقة هو قصاصنا. ولكنه جاز هذا كله عنا لأنه أحبنا ومات... مات من أجلنا، ثم سلمنا الصليب «خشبة اللعنة» كقوة نموت بها معه كل يوم عن خطايانا. وإذ نشرب دمه نتبرأ من اللعنة، فنحيا !!

كذلك فالخطية لم تعد إزاء خشبة الصليب قادرة بعد على أن تحدر إلى الجحيم كالأول، فقد دأها المسيح في جسده على الخشبة، وأبطل سلطانها بموته، كما قال بولس الرسول: «دان الخطيئة في الجسد» (رو ٨: ٣). ولكن ليس جسدنا نحن بل جسده

هو، لذلك نأكل جسده فتنجو من الدينونة .

السلام للصليب الذي عليه دفع المسيح ثمن كل خطايانا...
السلام للخشبة المحيية التي بها زالت اللعنة وقبلنا الحياة الأبدية .

المصالحة مع الصليب:

إذن، جيد لنا جداً أن نمجد الصليب وإشارة الصليب، فهو محور كل طقس وبداية ونهاية كل تقديس، سر القوة المندفقة في كل سر، والنعمة الحائلة على كل نفس...

ولكن الأرثوذكسي لا يُعوزه عظة عن تمجيد الصليب، فهو يعيش هذا التمجيد منذ أن يدخل جرن المعمودية حتى تستودعه الكنيسة إلى مقره الأخير. فإشارة الصليب ترافقنا من المهد إلى اللحد، وفي كل قداس ينضح النور على وجهنا من كثرة رشم الصليب .

الذي يعوزنا حقاً بالنسبة للصليب هو أن نتصالح معه، فبالرغم من فرحنا الشديد به إذا قُدم لنا كهديّة على هيئة ذهب أو فضة أو خشب منقوش أو سن فيل جميل، إلا أنه لا يوجد إلا القليل جداً من يحتمل الصليب أو يرضى إذا قُدم إليه كصليب حقيقي من الآلام!! كما رضي به المسيح واحتمله بسرور!!...

لا يمكن أن نتصالح مع الصليب إلا إذا كان لنا «فكر المسيح»: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب ثُلُسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبدٍ صائراً في شبه الناس . وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (في ٢: ٥-٨) . «وضع نفسه...» «وأطاع حتى الموت موت الصليب»...

فإن كان لنا فكر المسيح هكذا نكون فعلاً في مصالحة مع الصليب: «وضع نفسه فأطاع حتى الصليب» .

حيثما نحاول أن نعيش حسب وصايا المسيح . قبل أن يكون لنا «فكر المسيح» (١كو٢: ١٦) من جهة المصالحة مع الصليب وطاعة المسير في الدرب المؤدي إليه . نخفق بشدة ، ويتزَيَّف لنا التعليم المسيحي كله . فنصير معلمين كذبة ومتعلمين الأكاذيب .

لأن معرفة الإنجيل ووصايا يسوع لإنسان ليس له «فكر المسيح» من جهة الصليب ، تصبح كلها معرفة للإفتخار والمجد والدينونة .

أما الذي له «فكر المسيح» ، وقد وضع ذاته فعلاً وأطاع مصمماً على المسير في درب الصليب حتى إلى الموت ، فمثل هذا نصير معرفة الإنجيل لا لدينونة آخرين ، ولا لتجديد الذات أو الإفتخار بالمعرفة ، ولكن لقيادة الآخرين إلى «فكر المسيح» عينه وللمصالحة مع الصليب .



الصليب في حياتنا (*)

«فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله»
(١ كو ١: ١٨)

نحن نعيّد لعيد الصليب المقدس، وجميل أن نعيّد للصليب ونحن صائمون، لأن الصوم يعطينا الإحساس والإنطباع الذي يتمشى مع معنى الصليب.

واليوم نتأمل معاً في الصليب، كحقيقة لا نعيّد لها لذاتها بل نعيشها لأنفسنا، فإن نعيّد لظهور خشبة الصليب شيء وأن نعيش الصليب نفسه شيء آخر، والكنيسة تجعل دائماً من حوادث الكتاب المقدس معايير خاصة للحياة التي نحياها، لأن حياة المسيح هي التي تكون الكنيسة.

والصليب هو أقوى حدث في حياة المسيح بالرغم من أنه أضعف موقف من مواقف الرب على الأرض — فهو الذي يقول عنه الرسول بولس «صُلب من ضعف» (٢ كو ١٣: ٤) — تلك هي لحظة الإخلاء العظمى التي بلغ فيها المسيح أقصى حدود الهوان عندما غُلّق على خشبة الصليب. لأنه معروف أن كل من يُعلّق على خشبة هو ملعون بحسب التاموس القديم (تث ٢١: ٢٣). لذلك فالقديس بولس الرسول يقول إن المسيح — بسبب الصليب — صار لعنة لأجلنا وخطية لكي نتبرره (غل ٣: ٣).

لذلك إذا تأملنا الصليب اليوم، فنحن نتأمله كقوة محوِّلة، حوَّلت الموت إلى حياة «بالموت داس الموت» — حوَّلت اللعنة الزمانية إلى بركة أبدية، حوَّلت الخطية إلى بر، حوَّلت العداوة إلى محبة، والظلام إلى نور أشرق في قلوب الجالسين في الظلمة وظلال الموت إشراقاً لا ينطفئ! فكل نور يُرى بالعين أيها الأحباء يمكن أن ينطفئ،

(٥) عن كلمة أُلقيت في عيد الصليب المقدس ١٩ مارس ١٩٧٧.

أما نور الله إذا أشرق في القلوب فلا توجد قوة في العالم يمكن أن تطفئه: «الذي قال أن يشرق نورٌ من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإتارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (٢كو٤: ٦).

نرى بوضوح إذن أن الصليب قوة جديدة دخلت العالم وأقوى من كل ما في العالم. حوِّلت السليبيات التي كان يرنح تحتها الإنسان إلى إيجابيات ينعم بها. فإن كان الصليب من الخارج هواناً ولعنة، فهو في الداخل مجد وبركة. وهذا في الواقع يعبر عن مضمون حياتنا التي نعيشها في المسيح والتي يطالبنا بها الإنجيل كل يوم: «من لا يعمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (لو١٤: ٢٧).

الصليب هنا — بالمفهوم الإنجيلي — المطلوب منا أن نحملة كل يوم على أكتافنا كعبء ثقيل، هو في حقيقته قوة حاملة للإنسان وليس ثقلًا عليه، يحوّل الموت الذي تملك الجسد بسبب الخطيئة إلى قيامة وحياة أبدية بسبب دم الغفران المنسكب عليه. الصليب نواجه به ظلمة هذا العالم التي تسيطر على قلوبنا بسبب الخطيئة التي تقتحم حياتنا كل ساعة، لأنه معروف أن بقوة الصليب تموت النفس عن شهواتها، فيتحول الحزن والكآبة والندم إلى برٍّ وابتهاج مع فرح أبدي.

وبقدر ما يكون الصليب محنة حقيقية للنفس تجوز فيها غصّة الموت، بقدر ما يتجلّى الصليب عن سلام يفوق العقل.

وهكذا يا أحبائي حيناً نعيّد للصليب فنحن لا نُقيم ذكرى حادثة مبهجة، بل هي أخطر خبرة مؤلة في حياة المسيح وكل إنسان يتبع المسيح. نحن ننظر إلى الصليب اليوم معاً كممارسة وحياة، ونقول إن كل من لم يعيش صليب ربنا يسوع المسيح، فهو لم ينتقل أو يتحرك داخلياً ليذوق معنى العبور من حياة حسب الجسد لحياة حسب الروح، الصليب آلة الفصح والقوة الخفية التي تحمل الإنسان من الموت إلى الحياة.

الصليب حركة داخلية وقوة محوِّلة، والذي لم يدخل اختبار الصليب لا يمكن أن يفهم قول القديس بطرس الرسول «لا تُخبر بفضل الذي دعاني من الظلمة إلى نوره

العجيب» (١بط ٢: ٩). وهولا يعرف كيف يحوّل عداوة الناس المقدّمة له مجاناً إلى عبة، والحزن الذي يضغط به العالم على قلبه إلى فرح.

أما من ارتضى أن يدخل في اختبار صليب المسيح، كثير يعيشه كل يوم بكل خسائره، عن مسرة، هذا يعرف كيف تتحول الظلمة إلى نور، والحزن إلى فرح، والعداوة إلى حب، والضيق إلى مسرة وسلام.

ما وجدت يا أحبائي في حياتي فرحاً بالعمق والثبوت والإمتداد كالفرح الذي ينشأ من اجتياز محنة الصليب، حيناً يُوضَع على كتفي بيد المسيح الحانية بصورة ظلم فادح أو اضطهاد أو ضيق أو افتراء أو مهانة في أي شيء وبأي من كان، صديق أو عدو، أو زميل أو رئيس أو من الشيطان نفسه... لا يوجد في العالم كله ما يعادل فرح الصليب!! «ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا بإسم يسوع ثم أطلقوهم، وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل إسمه» (أع ٥: ٤١).

أنواع كثيرة من الفرح ذقتها في حياتي... إن فرح التأمل شيء شهبي جداً، فرح الرهبنة، فرح الإنجيل، فرح التناول، فرح الرؤيا العقلية، فرح الحب الإلهي حيناً ينسكب في قلب الإنسان من الله بالروح بلا سبب، شيء لا يمكن وصفه أن ينخطف الإنسان ويعيش لحظات في اللاوعي، فرح حب الإخوة كقول القديس بطرس الرسول «الحب العديم الغش من قلب طاهر بشدة» (١بط ١: ٢٢)، هذه كلها أفراح لا يمكن التعبير عنها حيث ينخطف القلب والعقل معاً، ولكن فرح الصليب شيء آخر لا يُقاس بها جميعاً، لأنه الفرح الذي يستطيع أن يرفع الإنسان ليرتفع فوق نفسه. أنواع الفرح التي سردها الآن جامدة غير متحركة تأتي وتذهب، أما الفرح المتولد من عبور الألم الذي يكون على مستوى الصليب فهو يكون فرحاً متحركاً يغيّر ويجدّد القلب والفكر والنفوس. إذ حيناً تنقشع المحنة بكل خسائرها يلتفت الإنسان فإذا به قد عبر مرحلة ما قبل الصليب ليدخل مرحلة ما بعد الصليب، والفارق بينهما كالفارق بين الموت والقيامة: ينسلخ الإنسان من الأشياء المحسوسة لتتجلى أمامه وفي أعماقه الأشياء

غير المحسوسة ، و ينتقل وهو في ملء الوعي لينفك من أمور الدهر الفاني .

هذا هو عجب الصليب ، فالصليب هو معجزة الإنسان المسيحي التي يحياها كل يوم ، هو سر المسيح . وكل من لم يدخل بعد في خبرة الصليب فهو لم يدق بعد حلالة المسيح ولا استمتع بعمق المسيحية .

وإذا انتبهنا نجد أن الصليب هو القلب الذي ينصب في الإنجيل كله . فحينما يقول المسيح «أحبوا أعداءكم» (مت ٥ : ٤٤) ، يقولها على أساس أنك تحمل صليبه وتتقبل في نفسك موت الصليب بالإرادة ، فإمكانية أن تفتح يديك للصالبين ليطعنوا كرامتك ، أو إسمك ، و يسلخوا كل إمكانياتك ، وقدراتك ، وكل ما لك ، هي كلها وصايا يسوع القائمة على أساس حمل الصليب بمهارة كل يوم للمسير وراء المسيح .

الصليب بحسب الواقع النظري جود وخسران وعدم ؛ أما بحسب الواقع الروحي فهو تحرك داخلي إلى أعلى ، وانتقال من حال إلى حال أسمى ، وتغير جوهري من مستوى جسدي إلى مستوى روحي ، واستبدال طبائع من مستوى بشري إلى مستوى إلهي ، وبشارة عجيبة ومفرحة من موت إلى قيامة !!

لذلك نستطيع أن نقول إن الصليب كان الوسطة الأولى التي استعلن المسيح بها أنه ابن الله ، لأنه لم يكن ممكناً بدون الصليب أن تتم القيامة من الأموات بكل أمجادها ، ثم أعطانا في صميم طبيعتنا هذا السر العجيب أن نصير مثله (١يو ٣ : ٢) — وأيضاً بواسطة الصليب — لننال قيامة تعطينا استعلان بنو يتنا لله !!

صليب — قيامة ، هذا هو القانون الذي وضعه ابن الله في نفسه وفي جسده بموته على الصليب وقيامته ، لذلك أصبح من غير الممكن أبداً أن يدخل الإنسان في خبرة الصليب مع المسيح بإيمان كامل إلا ويحوز على قيامة داخلية وتغير وحياة .

الحكم بالصليب — كما قلنا سابقاً — هو أكثر أنواع الموت لعنةً وعاراً . هذا هو مظهره ، ولكن المسيح استطاع أن يحوّل هذا الحكم المهين والزري إلى أعلى وأسمى

حقيقة يمكن أن تُستعلن على الأرض لمنطق أول عقل بشري، وهي القيامة بمجد إلهي!... هذا هو جوهر رسالة المسيح بالنسبة للإنسان.

فصليب العار جعله المسيح، لكناً قبله على نفسه، قوة محوِّلة قادرة أن تحوِّل ذل الإنسان وعاره وضعفه إلى شركة في أجماد قيامة المسيح مع هبة التَّيْنِي لله.

هذا هو الصليب الذي لا يزال يُنظر إليه عند كثير من الناس أنه جهالة، ولكنه وإن كان جهالة فإن «جهالة الله أحكم من الناس» (١ كو ١: ٢٥). هذه هي جهالة الصليب التي استُعلن بها المسيح حكمة الله وقوة الله (١ كو ١: ٢٤)، أي خطة الخلاص العظمى التي فدى بها الإنسان وأقامه من الموت لحياة أبدية.

والصليب يظل محصوراً في فكر الإنسان كحقيقة لاهوتية أو مبدأ عقيدي، إلى أن يرتفع إلى المستوى العملي للصليب في حياتنا وذلك حينما نقبل حكم الموت في أنفسنا اضطهاداً أو ظلماً واعتسافاً بيد الطغاة أو نسلّم أنفسنا بإرادة حسنة للموت الاختياري، كما يقول القديسون، أي ندخل في أعماق الإماتة لنموت عن أنفسنا وشهواتنا. حينئذ تبدأ حقيقة الصليب تتجلى في حياتنا كخبرة مضيئة وقوة رافعة.

فالإنسان الذي يرفض أن يموت بإرادته عن العالم، ويتجزع من أن يُقْلِب أهواءه وشهواته وأعضائه — من أجل المسيح — هذا الإنسان يظل غريباً عن حقيقة الصليب. ربما يكون دارساً مدققاً لمعاني الصليب اللاهوتية متيقناً لمفهوم العقيدة نظرياً وفلسفياً، ولكن الصليب كحركة داخلية وقوة ترفع الإنسان من مستوى عجز الإنسان إلى مستوى تقديس الله، هذا يبقى شيئاً مخفياً عن عين الإنسان وعقله.

لهذا فالصليب لا يمكن أن تُكتشف قوته الإلهية إلا عند قبول الموت أو الإماتة. وهكذا يظل الصليب جهالة ورعبة وموتاً جاهلاً لا يستطيع الإنسان أن يقترب منه، إلى اللحظة التي فيها يكشف الروح للإنسان عن سر مجد الشركة في صليب ربنا يسوع المسيح، حينئذ تدفع النعمة الإنسان في طريق الصليب ليذوق — في شجاعة — معنى الموت المحيي مع المسيح. وحينئذ يتجلى الصليب كحكمة الله وقوة الله للخلاص.

لذلك فالصليب لا يُحسب أنه صليب طالما نحن نعيش في اكتفاء وراحة مهما بذلنا وسط المحبين، لأنه إن كنا نحب ونبذل من أجل الذي يحبنا فهذا ليس هو حمل الصليب، كقول الإنجيل «فأي أجر لكم» (مت ٥: ٤٦)، إنما هذا يُحسب محاولة للدخول في حياة إنجيلية وحسب، ولكن عندما ننجح في تقديم البذل مع الرافضين وغير الشاكرين بل والناكرين لعمل البذل والمحبة، ومع الذين يردون على الخير بالشر؛ فهذا هو الصليب حقاً. لأنه معروف أن أصدق علامة لحمل الصليب هي أن يكون البذل والإماتة والخسارة عن رضى وحسب وسرور، بمعنى أن أفقد بالفعل ذاتي وأنكرها، ذاتي التي تطلب الشكر والمديح ورد الجميل. هنا تبدأ فعلاً صورة الصليب، حيث لا يكون عائد كرامة أو شكر أو ربح من أي نوع، بل على النقيض نكران وهجران وعداء واعتداء.

يلاحظ هنا أن مواصفات الصليب مأخوذة من مشهد الجلجثة ومحكمة المسيح بعد حياة كلها بذل وحسب. فالمسيح لما ابتدأ على أساس المحبة والبذل يعمل ويعلم، احتج رؤساء اليهود وتعالأت أصوات رؤساء الكهنة بالإستنكار لعمله وتعليمه، والبذل والمحبة رُفضا، لكن المسيح استمر في عمله وتعليمه ينزل إلى الأسواق يشفي الأعمى والأعرج والكسيع والأبرص وكل مرض وعلة في الشعب، و يؤدي واجبات جليلة لخراف بيت إسرائيل الضالة التي جاء ليصنع لها خيراً... واستمروا هم أيضاً في رفضهم بشدة وصادروه وقاوموه في كل مكان!! وبالرغم من ذلك، ظلّ يصنع خيراً عن فرح ورضى داخلي حتى إلى الصليب.

وهكذا يكون المسيح قد أعطانا المواصفات الإيجابية للصليب وما هو قبل الصليب، أي نعمل عن مسرة حتى ولو كان عملنا مكروهاً وبذلنا مرفوضاً.

أما الخطوة الحتمية التي تلي ذلك، فهي أن المسيح بدأ يفقد كل المواقف، ويُهاجم بشدة — خاصة في الأيام الأخيرة — ويُحاصر من جميع فئات رجال الدين، وتُلَقَّ له التهم وشهادات الزور عن حقد مريع، وهكذا بدأت تتشكل الصورة الدموية للصليب.

أما السر الأخير للصليب فهو الموت على الصليب . لذلك فالمسيح لما أكمل الموت على الصليب أعطانا سر الصليب وقوة موته كاملة ، بل وكل ما هو قبل الصليب من صبر واحتمال على الموت ، أعطاه لنا كخبرة حية يمكن أن نمارسها كل يوم . وهذا يعتبر من أهم معجزات ومواهب الحياة المسيحية . فبالإيمان بالمسيح نأخذ أشياء لم نعملها ، كأن نصير شركاء الصليب ووارثين لبركاته دون أن نُصلب فعلاً ، وهكذا نأخذ حقوقاً لا نستحقها ، ونأخذ مواهب لا ندفع ثمنها .

وقوة الصليب هي من أهم هذه الحقوق والمواهب : «مع المسيح صُلبت» (غل ٢: ٢٠) ، أي أن المسيح حينما صُلب عن العالم أعطانا أن نحصل على هذه الموهبة عينها بالإيمان ، فصارت في متناول حياتنا . ليس فقط أن نبذل من أجل أحبائنا أو نفقد إزاء مضطهدينا وأعدائنا ، بل أن نموت أيضاً بإرادتنا عن العالم كحقيقة نستطيع أن نمارسها بقوة صليب المسيح .

فالصليب يُحسب لنا صليباً ، إذا استطعنا أن نقتد من البذل من أجل أحبائنا إلى البذل من أجل أعدائنا ، ثم إلى الخسارة بإصرار وبرضى ، وباستعداد الموت من أجل أحبائنا وأعدائنا معاً .

إذا استطعنا أن نضع هذا الحق نصب أعيننا كمسيحيين فنحن نكرم عيد الصليب وذكرى الصليب وخشبة الصليب ، لأننا بذلك نأخذ من المسيح سر الصليب كحقيقة نمارسها بالحب . إن كان لنا هذا الإستعداد : أن نبذل من أجل أحبائنا وأعدائنا ونخسر كل شيء في حياتنا باستعداد الموت ، فنحن نستطيع أن نتجاوز مرارة الصليب إلى مسرة القيامة .

ولكن الصليب بالكلام سهل ، أما الحقيقة فرة...

فالصليب ليس ضحكاً أو مسرة ، الصليب عُصّة ومرارة قاتلة . حينما قدموا للمسيح خلافاً لمرارة (مت ٢٧: ٣٤) ، هذا كان لكي يُذكرنا دائماً بالإحساس الداخلي الذي كان يعبره وهو على الصليب : مرارة الموت .

الكلام عن الصليب لاهوتياً ووعظياً لذيذ وسهل ومنطقي، ولكن كتجربة، حينما ندخل فيها نجدها علقماً ياً أحبائي.

حينما نجرز الآلام — من أي نوع — ولا يبدو لها نهاية، حينئذ تبدأ المرارة ورعبة الموت. ولكن كل ضيقة نجوزها، وكل ظلم أو مرض نجوزه ونرتضيه حتى إلى حدود الموت فإنه يُحسب لنا في الحال صليباً وشركة حقيقية في صليب المسيح.

وأعود مرة أخرى لأقول أن البذل من أجل الإخوة أو الأحباء أو الأصدقاء، هذا بذل محبة، ليس له ثمن، لأن ثمنه مردود لك في حينه فهو محبة وليس صليباً، لأنه ينشئ فرحاً ومسرة للنفس فثمنه فيه. أن تحب أخاك أو تسلم عليه فأنت تفضل لك! ولكن المحبة تبدأ تُحسب أنها تسير على درب الصليب على غط الجلجثة، حينما يبدأ البذل أن يكون مرفوضاً والمحبة تُرد إليك عداوة وخسارة، والبساطة والتودد يُقابل بالحقْد والإنقام.

ولكن لا غنى لنا عن خبرة الصليب والسعي وراء حمله حسب وصية الرب، لأنه إن لم يصير الصليب — أي الموت عن العالم — في حياتنا حقيقة مقبولة وطريقاً مُشْتَهَى، فسنبقى بعيدين كل البعد عن سر القيامة والحياة الأبدية. فالحياة المسيحية كلها هي حركة مستمرة للإنتقال من الحياة حسب الجسد إلى الحياة حسب الروح، وذلك لا يتم إلا من خلال الصليب.

على أن الصليب وإن كان خارجاً أو بدايته رعبة ومرارة، فعاقبته نصرة حتمية وسلام وفرح لا يوصف. فعندما ندخل في ضيق — أي ضيق من أي نوع — ونتذكر الصليب الذي صُلب عليه ربنا يسوع المسيح، ونضعه أمامنا هدفاً لنا، تتحول الضيقة المرة إلى بركة وسلام فيه، وتتحول الخطية إلى إحساس بالتبرير فيه، والعداوة تزول ويحل محلها مصالحة وصفح أمام المسيح والآب فيه.

إذن، فلننتبه جداً حينما يداھمنا الضيق، لأننا عندما نجوزه برضى ونتقبله كما تقبله المسيح على الصليب كإرادة الآب عن رضى وسرور داخلي؛ ننال قوة من الصليب

ونبدأ ندخل في التحول، ونذوق كل مجد ما بعد الصليب، ونذوق النور والحق والحياة من خلال الحزن والألم والضيق.

الصليب، خشبة الحياة، هو بحسب فعله السري في كيان الإنسان والجسد محيي حقاً، فإذا استطعت أن تحتوي الصليب في قلبك كهدية حياة من السماء، فلا الباطل الذي في العالم يستطيع أن يغشاك ولا ظلمة العالم تستطيع أن تطفىء نور الحياة داخلك، ولا أي ضيقة في العالم أو خطية تستطيع أن تحصرك أو تربطك. هذا لو قبلت الصليب كقوة غلبة وخلاص في شخص المسيح المصلوب. وهذه هي حقيقة الإنجيل كله: «قوة الله للخلاص»، و«قوة الله»، و«حكمة الله»، و«مجد الله».

وهذه الحقيقة هي التي انكشفت لجميع الشهداء والقديسين، فأقبلوا حاملين الصليب بفرح من أجل ما وراءه من سرور ونصرة. لهذا فإن كل من أدرك سر الصليب فإنه لا يعود يتهرب من الضيق أو يخشى الظلم أو يخور تحت الإضطهاد.

فسرّ الصليب قوة وُهبّت لنا لتسكن داخل قلبنا وأجسادنا لتحوّل كل ما فينا وكل ما هو خارجنا لحساب مجد الله. وهي كهدية، تظل بلا قيمة إلى أن ندخل الضيقة، أو إلى أن تتضافر ضدنا قوى الظلام، حيث يبدأ الصليب يعمل عمله ليتمجد الله في موتنا وحياتنا.

فلو أنت تصورت معي موقف إنسان مظلوم يشبه ظلم المسيح أمام حثّان وقيافا أو أمام بيلاطس وعساكره، وابتدأ هذا الإنسان المظلوم يرفض الظلم و يشور مطالباً بحقه ومهدداً باستخدام القوة والقانون، فإن الصليب المرسوم على يده أو المعلق على صدره يفقد في الحال معناه بل يفقد وجوده وكرامته وقوته، و يصبح الصليب كجبار فاقد قوته لا يستطيع أن يخلّص. صحيح أنه ممكن ومن حقك أن ترفع قضية تطالب فيها بحقك، أو بذراعتك تضرب وتنتقم لنفسك، أو بلسانك تنتهر وتدافع وترد الصاع صاعين، أو بقلمك تكتب وتطعن وتحارب لكي تنفي الظلم أو الضيق الواقع عليك، ولكنك إن صنعت هذا فليس لك أن تطالب الله أن يعلن لك سرّ صليبه القادر أن يحوّل الظلم إلى

مجد والإضطهاد إلى شركة في أفراس المسيح والقديسين .

إذا كان لأحد حق وأراد أن يأخذه بالقانون والمحاكم ، فهذا ليس خطية ولا عيباً ، ولكن إن يكون للمسيح المصلوب مكان في هذه المحكمة ، بل سيقف بعيداً ويترك الحق يطالب به المحامي الشاطر وعلى قدر فلوسك ، والقضية تسير وفقاً لرأي القاضي والقانون وعدل الإنسان . أما إذا ترك الحق الضائع للمسيح فهو يستطيع أن يرده ويزيده دون أن ينجرح الصليب .

إذا رضىنا بالنكران والخسارة حباً في صليب المسيح ، فلن يرضاها لنا القائم من الأموات ، بل سيعطي عوض النكران كرامة وعوض الخسارة بركة ، ويظل الصليب هو المحكمة الإلهية العليا التي تنصف المظلومين والمنسحقين تحت حد السيف أو المنشار .
خبرة الصليب هذه ، أعتقد أنه لا يوجد أحد منا لم يذوقها ، فكلنا ظلمنا ، وكلنا قبلنا المرض والتعب والإهانة والمهانة وإنكار حقوقنا وكرامتنا . ولكن قليل منا من سار في درب الصليب حتى النهاية ، لم يشتك أولم يتظلم أولم يئن . هذه هي قوة الصليب الفعالة في جسم الكنيسة الحاملة عار المسيح والمرشحة للمجد الأسنى .



وقوة الصليب ومفاعيله متعددة وكثيرة ، نأخذ منها كنموذج :
كيف ينقلنا الصليب من البغضة إلى المحبة :

إنسان مظلوم يحقد ويبغض ويهدد ، هذا في الحقيقة منحصر عنه نور الصليب لأن روح العالم استطاع أن يحتويه . والإنسان الذي يفتح كيانه لحركة العداوة والحقق يلبسه روح العالم في الحال ، لأن العداوة تتغلغل النفس والجسد والعقل والأعصاب ويصير وكأن سحابة مظلمة تحيّم عليه . وكما يقول القديس يوحنا الرسول : « في الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي » (١ يوحنا : ١١) .

أكبر حاجز يحجز نور الحب الإلهي عن الإنسان هو العداوة والبغضة حينما تكون

دفينة في القلب . الصليب وحده هو القوة الإلهية التي هدمت العداوة والتي جاء المسيح لكي يرفعها في جميع صورها ، سواء بين الإنسان والله أو بين الإنسان والإنسان .
« هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ١٦) . هنا حب الله للعالم لم يكمله إلا صليب المسيح ، فالحب لا يملك القلوب إلا بالصليب . ففي الحقيقة إن الحب والصليب لا يمكن أن يفصلهما عن بعض إلا العداوة . والعداوة والبغضة تلغيان قوة الحب وقوة الصليب معاً ، لذلك حينما تدخل البغضة تفصل الإنسان نهائياً عن الصليب ، وبالتالي عن كل ما يختص بالفداء والخلاص .

الله حينما أراد أن يصالح الإنسان بنفسه ، صالحه بالصليب !! لا يمكن أن ترتفع البغضة من قلب الإنسان إلا إذا قَبِلَ أن يموت عن مبغضيه — أي قَبِلَ الصليب . لا بد أن يكون الإنسان في استعداد هذا الموت دائماً وكاملاً عن العالم وكل ما في العالم ، لينفتح أمامه باب الحياة .

فإنسان يترك قلبه للبغضة معناه أنه لم يمت عن العالم بعد ، لم يذُقْ هبة محبة الآب للعالم أي الصليب !! هبة الآب للعالم هي بذل ابنه الوحيد على الصليب . فالصليب بحق هو قوة حوّلت حالة العالم كله من تحت الغضب الإلهي إلى محبة أبوية فائقة . الله الآب استطاع بالصليب أن يصالح كل العالم لنفسه بالمسيح على الصليب متغاضياً عن جهالة الإنسان (٢ كور ٥ : ١٩) .

لكن حينما يتجاهل الإنسان ذبيحة المسيح على الصليب التي أكمل بها المصالحة وأسس بها الحب ثم يعود ويُمَلِكُ العداوة والبغضة في قلبه ، فإن هذا يكون بمثابة إعطاء تصريح رسمي للشيطان ليعود بنا مرة أخرى إلى حالة الغضب الإلهي .

إذن ، فغياب المحبة معناه غياب الصليب وبالتالي غياب محبة الله وسلامه .

لقد عبّر القديس بولس الرسول عن قوة المصالحة الكامنة في الصليب هكذا :
« يصالح الإثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به » (أف ٢ : ١٦) .

فالصليب هو قوة مصالحة عظيمة . لذلك إذا سألتني لماذا أصبحت المحبة ضعيفة بين الكارزين ، أو لماذا صارت الكنيسة غير قادرة على جمع المتفرقين إلى واحد ، وغير قادرة أن تظهر كقوة جامعة وكحياة أبدية نابضة باعتبارها ملكوت الله على الأرض ؟ أجيبك : هو عدم قدرة رجالها على حمل الصليب ، ليس صليب الذهب المرصع بل صليب الهوان والإضطهاد وإنكار الذات ومحبة الأعداء .

كمسيحي يمكنك أن لا ترشم الصليب على يدك ، ولكن غير ممكن أن ترفض المسمار المراد دقه في كفك . كمسيحي يمكن أن لا تحمل الصليب على صدرك ولكن غير ممكن أن ترفض الطرد والتعير والشتيمة والإهانة على إسم المسيح والصليب . وإلا كيف تقول : « مع المسيح صُلبت » ؟

ضعف الكنيسة كلها في العالم ناتج عن غياب القناعة بحمل صليب المسيح ليس في اليد ، ولكن في القلب باستعداد الموت . ونصرة الوحش في الأيام الأخيرة على قديسي الله وقدرته أن يصنع معهم حرباً ويغلبهم ، هو نتيجة مباشرة لضياح قوة المحبة : « ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين » (مت ٢٤: ١٢) .

هذه هي الخطية الكبرى التي سيُهزم بسببها العالم . أكبر خطية ستحطم العالم هي أن يُنزع من الكنيسة استعدادها لتحمل الصليب كل يوم ، لأن سر الصليب دخل العالم لكي ينزع به الإنسان الخطية ، فإذا انتزع الصليب (سر الموت) عاشت الخطية !! ولا ينزع الصليب من قلب الإنسان إلا العداوة أو غياب المحبة أو عجرفة الإنسان !!

فإن كنت اليوم أتيتكم منذراً لكي نستطيع أن نعيّد معاً عيداً صادقاً للصليب ، فهو أن نوّس أو بالحري نحدد عهد المحبة بالصليب ، أي باستعداد الموت بعضنا عن بعض ، لا من أجل الأحباء فقط ، بل من أجل الأعداء أيضاً والعالم كله .

فإن كنا نريد أن نعيّد للصليب ، ليس اليوم فقط بل كل أيام حياتنا ، عيداً صادقاً يُرضي قلب المسيح المطعون ويُنعش حياتنا ؛ فعلينا أن نوّس اليوم وفي هذه الليلة عهد محبة أخويّة لا تُطفئها عداوة لأي سبب كان ، ولا تشوها حركة بغضة واحدة لأي

إنسان، حتى ولو كان شاهراً الموت في وجوهنا .
لو استطعنا أن نؤسس في القلب عهد حب على هذا المستوى ، فهذا يكون عيداً
للصليب في الأرض وفي السماء .

وكما لمّا أراد الله أن يحب العالم ، بذل ابنه على الصليب ، هكذا إن أردت أن
تُحِب ، فلا بد أن يكون حبك على أساس البذل لتحيًا نفسك والعالم حولك .
من أجل هذا كان همُّ القديس بولس الرسول الأول من جهة ثبوت الكنائس في
إيمان المسيح أن يكون الصليب حقيقة حيّة وقوة محرّكة : «لم أعزم أن أعرف شيئاً
بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً» (١ كور ٢ : ٢) ، ليس يسوع المسيح فقط وإنما
يسوع المسيح مصلوباً .

يمكن أن تكون مسيحياً ولا تحتمل الظلم والإضطهاد والإهانة فتكون حينئذ غير
مدرك لمعنى الإيمان بالمسيح المصلوب — «لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع
المسيح وإياه مصلوباً» معناها أني أريد أن يكون إيمانكم قائماً على أساس المسيح
الذي مات من أجلكم وأن يكون ثمر هذا الإيمان فيكم استعدادكم أيضاً للموت حباً
له وللآخرين .

إقبلني ياسيدي في هذا اليوم وفي هذا المساء كأنسان يعبدك مصلوباً عني لأنك
أحببتني ومُتَّ من أجلي . واعطني هذا الاستعداد عينه أن أحمل صليبك لأموت عليه
كل يوم باستعداد حبي لك ولكل العالم .

إن كان إنسان ما قد استطاع أن يُظهر ولو قليلاً جداً من رائحة المسيح الزكية ،
فهذا يكون بسبب وجود المحبة الباذلة .

لو ارتفع معيار هذه المحبة للمستوى الذي صُلب به المسيح الذي وهبه لنا في سر
الكنيسة سواء في سر المعمودية أو تناول أو بقية الأسرار، لاستطعنا أن نقدم المسيح
للعالم كله دون أن نتحرك من مكاننا !!

لأن كل من حاز على سر الصليب في قلبه وحياته ، صار هو بدوره قوة في العالم لا

تنتهي لتحويل البغضة إلى المحبة. لأن الذي يصنع سلاماً و يصلح إثنين، ابن السلام يُدعى. ولكن من ذا الذي يستطيع أن يصلح إثنين متخاصمين إلا من كان على استعداد أن يبذل حياته عنها؟

العالم اليوم يحتاج لإنسان المصالحة، إنسان الصليب، الذي يستطيع أن يركز بالحب والصلح والسلام والحياة.

إني أتكلم يا إخوة بروح الإنجيل؛ هذا هو صوت القديس يوحنا الرسول: يا أحبائي من هو الإنسان الذي انتقل من الموت إلى الحياة؟ أليس هو الذي أحب الإخوة؟! (راجع ١ يوحنا ٣: ١٤).

أليس هذا عجباً، وأليس هذا هو ما تحتاجه الكنيسة والعالم اليوم؟ عندما نحب الإخوة ننتقل من الموت إلى الحياة. نعم، ومن يستطيع أن يحب الإخوة إلا الذي هو على استعداد أن يموت كل يوم على صليب ربنا يسوع المسيح، الذي أخذ في نفسه قوة أن يغلب الشر بالخير وقدرة أن يقتل العداوة بالحب؟ هذا هو الذي انتقل من الموت إلى الحياة، واستطاع بالتالي أن يحول الموت في الآخرين إلى حياة.

هل رأيتم كم نحن في إحتياج لنعيش في سر الصليب وقوته الذي نعيّد له في هذا المساء؟

اليوم يا أحبائي ليست الحاجة كما قيل في القديم: «لا جوعاً للخبز ولا عطشاً للماء بل لاستماع كلمات الرب» (عا ٨: ١١). هذا كان قديماً، وأما اليوم فما أكثر الوعاظ المقتدرين الذين يقفون على المنابر ليتكلموا بكلمة الله ويحفظونها بإتقان وعن ظهر قلب.

ولكن ليست الحاجة اليوم تبدو كما كانت قديماً إلى كلمة الله، وإنما الحاجة ماسة جداً إلى الصليب — ضياع الصليب هو السمة الشاهدة على ضعف الكنيسة في كل مكان، إذ لا يوجد قبول عملي للصليب. كل إنسان يتملئ من تجربته، كل إنسان يشتكي من ضيقته، كل إنسان يصرخ من الظلم الواقع عليه، والكل يلوم الله.

هذه السّمة هي سمة الجيل كله . ورئيس هذا العالم بدوره ينتهز هذه الفرصة النادرة فيبدأ بتخطيط ماهر للغاية لكي يذيق كل أولاد الله أنواعاً متعددة من الإضطهادات والمظالم والأمراض والأوبئة والجوع ، لكي يرتفع صراخ الكنيسة وشكواها وتذمرها بالأكثر حتى عنان السماء .

وهكذا يتقلص معنى الصليب وتتبدد قوته من داخل القلوب ومن الأرض كلها ، وينشغل المؤمنون بالمطالبة بالحقوق الضائعة !!

ولكن متى كان العالم أو بالحري رئيس هذا العالم مستعداً أن يرد حقوقاً هو هو الذي ضيّعها ؟ ، أو متى كان الله نفسه مستعداً أن يوسع طريق الخلاص و يفرشه بالراحات والخيرات الزمنية ؟

لقد كاد يتلاشى من حياتنا معنى الصليب وضرورته ، الإحتمال ، الصبر ، طول الأناة مع الشكر والحب رغم الظلم والإضطهاد والضيق ، حتى يتجلى المسيح وتأتى المعجزات .

نحن كلنا يعوزنا اليوم أن نعيّد لصليب المسيح بالروح والحق .

(١٩٧٨)



سر الصليب

١ - التجسد والصليب :

إذا أردنا أن نتعمق الأصول الأولى التي نبع منها الصليب وبلغت الآلام غايتها العظمى بالفداء، علينا يا أحبائي أن نعود مباشرة إلى «التجسد» لتربط «الكلمة صار جسداً» (يو: ١٤) والجسد المكسور النازف على الصليب!

فلولا التجسد، أي لولا أن ابن الله صار إنساناً ذا جسد ونفس وروح مثلنا تماماً، لما استطاع أن يتألم بالآلام تنتهي بالموت الفدائي.

أنظروا يا أحبائي. حتى لا يغيب عن أعين أذهانكم قط الصلة الحية الجوهرية بين «التجسد» والصليب!! فالكلمة صار جسداً، ليستطيع عمل الفداء ويكمله بجسده بدم صليبه!!

ولكي نخطو خطوة أعنق نحو سر الفداء، الذي نرى أنفسنا فيه كمفدين ومخلّصين بدم المسيح، يلزم أن نعرف قبلاً ما هو موقعنا من سر التجسد، لأنه هو السر المؤدي للفداء.

معروف أن التجسد هو اتحاد كامل بين الله والإنسان في شخص المسيح، لذلك صار قبولنا للفداء واتحادنا بشخص المسيح (بتناولنا دمه) معناه أننا دخلنا في سر الاتحاد بين الله والإنسان - أي سر المسيح!! هذا هو عودة الإنسان إلى الله!! عودة حياة الشركة المقطوعة والمكسورة بآدم التي كانت بين الإنسان والله!!

أما كيف ندخل إلى سر الاتحاد بين الله والإنسان، لنستعيد الصلة مع الله، فهذا أكمله لنا المسيح بدم صليبه بالآلام الموت، بالفداء، الذي هو تقديم نفس عوضاً عن نفس، ليربطنا في الله بالآلام وموته.

فالآن، كل من يؤمن بصليب المسيح — أي يدخل سر الفداء — ويشرب دم المسيح الذي للخلاص، يتحد بالمسيح، فيدخل في سر التجسد، سر العلاقة أو سر الاتحاد بين الله والإنسان. وهذا هو واقع المصالحة التي أكملها المسيح للإنسان مع الله بدم صليبه (كو ١: ٢٠)!!

وهكذا، باختصار، يكون التجسد قد أنشأ الفداء. والفداء عاد فأنشأ الاتحاد بالله (الذي كان مقطوعاً). والاتحاد هو المصالحة وهو الخلاص. وهذا يرتبط الصليب بالتجسد ارتباطاً جوهرياً من جهة خلاصنا. فإين الله تجسد ليخلصنا بألامه وموته بالجسد، أو بكلمات القديس إيرينيئوس: «إين الله صار إين الإنسان (بالتجسد) لكي يصير الإنسان إين الله (بالموت على الصليب)».

هذا هو السر الخفي منذ الدهور، والآن قد أعلنه الله للعالم كله بموت المسيح وقيامته: أن الله أضمر منذ البدء أن يرفع الخليقة البشرية الخاطئة والساقطة إلى حالة التبني ليتحد بها بواسطة تجسد كلمته، الذي به أكمل فداءها من الخطية والموت بموته على الصليب.

وهكذا تمت مشورة الله على مرحلتين:

١ — الله استعلن للبشرية أولاً بالتجسد، فأصبح التجسد تاج الخليقة وكما لها الإلهي في شخص يسوع المسيح: «عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد» (١ تي ٣: ١٦).

٢ — ثم بعد ذلك، الحياة الأبدية التي كانت عند الآب محجوزة عنا، استعلنت ووهبت للإنسان بموت المسيح على الصليب، عندما قام ناقضاً سلطان الموت (لأن المسيح بقيامته صار باكورة الراقيين — ١ كو ١٥: ٢٠).

والنتيجة الحتمية للقيامة هي أن الروح القدس روح الحياة في المسيح يسوع انسكب على البشرية، وهكذا انتقلت الحياة الأبدية للإنسان عبر التجسد والصليب ثم الموت والقيامة.

وهكذا يظهر التجسد كدرجة أساسية في تكميل الخليقة البشرية ورفعها إلى مستوى صورتها الأولى الأساسية المكرمة في الله، في شخص المسيح نفسه.

ثم يظهر الفداء بموت المسيح على الصليب كدرجة حتمية لتكميل غاية التجسد (الإتحاد)، حتمية من وجهة نظر الله، حتمية الحب الذي أحب به الله العالم، ليرفع الخليقة البشرية كلها من الهلاك إلى حياة أبدية في حالة التبي.

وهكذا يتضح أمامنا أن التجسد والفداء عملان متلازمان أساسيان، بل ووحتميان :

التجسد : الإتحاد كنموذج فعال ؛

الفداء : إعطاء هذا الإتحاد كهبة .

هذا هو التدبير الإلهي لتكميل الخليقة البشرية ورفعها من العداوة إلى حالة التبي، ومن الانفصال إلى الإتحاد بالله بواسطة يسوع المسيح .

من هذا يتضح لنا أن الفداء الذي أكمله المسيح على الصليب ليعيد لنا شركتنا واتحادنا المفقود مع الله، إنما يقوم على أساس لاهوتي بالنسبة للتجسد باعتبار أن التجسد هو المسئول عن عطية الفداء، أي إعادة اتحاد الإنسان بالله .

أنواع الآلام التي قبلها المسيح :

يوجد نوعان أساسيان للآلام التي قبلها المسيح :

النوع الأول : هي الآلام التي دخلت إليه من واقع قبوله للطبيعة البشرية بكل أعوازاها وضعفها . فالآلام الجوع والعطش والتعب وحزن النفس من جراء الإتهامات والمطاردات والمصادمات والخيانات والشتيمة والإهانة، كل هذه قبلها المسيح كما يقبلها أي إنسان، فقد صار مثلنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها : « بل مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية » (عب ٤ : ١٥).

هذا النوع من الآلام قبلها اضطراراً من جهة الحب والحق والإتضاع، والتزاماً من

جهة المشورة الإلهية التي حتمت بالتجسد. ولكن لم يكن مضطراً لقبولها، ولا تحتم عليه الالتزام بها من جهة خبث الناس وشرهم أو جور الطبيعة واختلال موازينها، فهو كان قادراً على أن ينعها ويردّ عليها وبلغى سطوتها وكل آثارها، فالذي سار على الماء كان في قدرته أن لا يتعب من السفر على الأرض، والذي قال للسامرة أنه قادر أن يعطي ماءً حياً وكل من يشرب منه لا يعطش أبداً بل ينبع فيه إلى حياة أبدية كان قادراً أن لا يطلب منها ليشرب ويستقي بغمه من دلوها النحاسي، والذي أطعم آلاف الجموع من خمس خبزات كان قادراً أن لا يجمع أو على الأقل أن لا يطلب طعاماً ليرد به جوعه، والذي أقام لعازر من الموت كان قادراً أن يميت أو يُخرس فم الأشرار من الكتبة والفريسيين والرؤساء الذين تربصوا به وأهانوه وأخرجوا عليه كلاماً سفيهاً شريراً.

وهكذا يتضح أنه قبل هذه الآلام في جسده ونفسه قبولاً طبيعياً بالالتزام الحب، وبدافع الإلتضاع والمشاركة لنا في آلامنا التي بحسب هذا الدهر، «مجرّب في كل شيء مثلنا»، ولكن ليس بمجتمية الإلتزام أو الخضوع لشر الأشرار وجور الفجار أو ضعف الطبيعة أو تسلط المقادير.

إذن، فهي آلام لمجرد الشركة في طبيعتنا، دخلت إليه دخولاً طبيعياً، قبلها هو حباً لنا وتكريماً لضعفنا ومذلتنا.

أما النوع الثاني: فهي آلام الفداء! آلام الصليب والموت!
هذه لم تدخل عليه دخولاً طبيعياً، بل دخل هو إليها دخولاً متعمداً مقصوداً، وحثّمها هو على نفسه تحتياً «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو ١٢: ٢٧)، وقيل حتميتها من يد أبيه بحسب مشورة ما قبل الدهور كلها: «الكأس التي أعطاني الآب ألا أشربها» (يو ١٨: ١١).

فالصليب محسوب حسابه قبل الزمن «عالمين أنكم افتديتم بأشياء تفضي بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء بل بدم كريم كما من حل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (١ بط ١: ١٨، ١٩، ٢٠).

بل وإن صلب المسيح مذبحاً على الخشبة ، هذا أيضاً كان مرسومًا ومكتملاً في التدبير الإلهي كفعلٍ كامل تمّ في المشورة العلوية ، ولا ينتظر إلا استعلانَه بحسب الواقع البشري : «...الذين ليست أسماؤهم مكتوبة في سفر حياة الخروف الذي ذُبح ههنا تأسيس العالم» (رؤ ١٣: ٨ حسب الأصل اليوناني الدقيق).

وهكذا فإن آلام الصليب الفدائية لها في الحقيقة وجهان : وجه بشع أُرضي ، يمثله حقد اليهود وشرُّهم المريع وعداوتهم وكذبهم ونميتهم ، مع ظلم وعنف القضاء الأُمِّي . وجه آخر للصليب سمائي ، ينضج بالحب والمسرة والبذل الإلهي الفائق الوصف من نحو العالم : «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد» (يو ٣: ١٦) ، وإنصافاً للحق وتكميلاً للبر الأبدي وخلصاً عميقاً متسعاً يشمل كل الدهور .

ولكن الوجه البشع الأُرضي لم يُثنِ المسيح قط عن أن يتمم مطالب الوجه السمائي المملوء حباً وطماعة ومجداً وكرامة للآب وخلصاً عميقاً أبدياً للإنسان !!

لذلك ، فبسبب حقيقة الوجه السمائي للصليب ، صار قبول المسيح لعار الصليب بكل صنوف المهانة والهوان والإذلال المريع ، صار يُعتبر انتصاراً رائعاً للحب الإلهي ومجد الله في السماء وخلص الإنسان على الأرض !!

فالصليب كان طريق الإلتضاع ، بل والمذلة الإرادية المذهلة التي أوصلت المسيح إلى قمة الإنتصار والمجد السمائي ومعه الخليقة الجديدة ، ملايين المفدين من بني الإنسان الذين رفعهم إلى ذات المجد وذات الإنتصار وأدخلهم معه إلى الحياة الأبدية في شركة الآب في الفرح الأبدي .

والآن ، لنعمل مقارنة بين الآلام الطبيعية ، آلام الحياة اليومية التي دخلت إليه طبيعياً بحكم تجسده وتأنسه وأخذه شكل العبد ، وبين الآلام التي دخل إليها المسيح متعمداً وحثَّها على نفسه قبل إنشاء العالم ، باعتبارها آلام الفداء ، وهي إحدى غايات التجسد العظمى ، بل إحدى مراحل تكمين الخليقة بالمجد الإلهي :

آلام الموت القدائي الذي أكمله المسيح على الصليب:	آلام الحياة الجسدية التي جازها المسيح:
<p>تشمل: أ — الجلد والضرب على الرأس والمسامير وإكليل الشوك والعطش والتزيف والموت.</p> <p>ب — تخلية الآب، لعنة الخشبة، حمل الخطايا.</p>	<p>تشمل: جوع، عطش، أحزان، اتهامات باطلة، كذب، افتراء، طرد، خيانة، شتيمة، إهانة.</p>
<p>١ — فوق الطبيعة: آلام الموت لتغيير الحياة البشرية بجملتها وتجديدها، فهي:</p> <p>أ — آلام طاعة الحب الإلهي نحو الآب.</p> <p>ب — آلام تناسب الإنن الوحيد فقط:</p> <p>إلهية في جوهرها وعميقة وسرية إلى أقصى حد، فهي آلام فريدة من نوعها، فائقة عن حدود قدرة البشر ولن يستقصيها بشر.</p> <p>ج — آلام أنهت على رسالة التجسد على الأرض واستفرغت مضمونها.</p> <p>د — آلام عقوبة استلزمت الموت: أشنع عقوبة في مضمونها السمائي (لعنة).</p> <p>هـ — آلام كان القصد منها بلوغ غاية التجسد، تشرح سببه وتحوي وتستقصي وتستقطب معناه.</p> <p>و — قضاء على بريء كل البراءة</p>	<p>١ — آلام المشاركة الطبيعية: عبر الحياة اليومية:</p> <p>أ — آلام تواضع الحب الإلهي نحو البشر (جاع وتعب وظلم وشتم).</p> <p>ب — آلام تناسب شكل العبد فقط:</p> <p>«أنا بينكم كالذي يخدم» (لو ٢٢: ٢٧) — آلام العبيد حسب الظاهر، فهي آلام عادية جداً يجوزها أي إنسان عادي.</p> <p>ج — آلام مناسبة لحياة التجسد على الأرض.</p> <p>د — آلام ليست عقوبة في مضمونها الإلهي، بل مشاركة لا تستلزم الموت.</p> <p>هـ — آلام كان القصد منها إظهار صدق التجسد أنه واقع بشري حقيقي.</p> <p>و — آلام طبيعية على جسد طبيعي</p>

خاضع لقوانين الطبيعة وتقاليدهم الناس .

وقدوس متسامي فوق البشر إيفاءً لعدل
يفوق طاقة البشر .

آلام طبيعية صار في قبولها قبولاً طبيعياً
تمهيداً ومدخلاً سهل لآلام الصليب ،
مؤكدة أنها آلام حقيقية .

آلام في واقعها البشري أقصى آلام يمكن
أن يتحملها إنسان ذو جسد ، ولكن في
واقعها الإلهي ليست في طاقة البشر ،
فهي آلام كفارة وفداء ، استلزمت
قداسة وبراً مطلقاً .

لذلك ، فالآلام الصليب والموت القدائي
ليست قط من نوع الآلام الطبيعية اليومية ،
فهي آلام تفوق ألم الجسد أو النفس ، آلام
تمتد في عمقها إلى سر الحب الإلهي — في
الآب والإبن — الذي لا يُستقصى ، وتمتد
في تأثيرها عبر الخليقة والزمن إلى أعماق لا
تُستقصى .

آلام المسيح بالنسبة لحياتنا اليومية وخلصنا الأبدى !

آلام المشاركة :	آلام الفداء :
لقد شارك الله البشرية في آلامها الطبيعية التي كانت هذه الآلام اليومية محسوبة أنها لعنة بسبب الخطية ، فبتجسد إبنه لم تعد آلام حياتنا اليومية معتبرة أنها لعنة أو عقوبة ، فالجهد والتعب والعرق من أجل لقمة العيش الذي صار عقوبة لآدم شاركنا فيه كلمة الله بنفسه متنازلاً عن	هنا الآلام التي احتملها المسيح حتى الموت (الموت غاية الألم) ، هي كفارة للفداء ، لذلك فهي آلام فوق مستوى البشر . هي موجهة ضد الخطية مباشرة : ليست لمجرد غفران الخطية ، وليست لمجرد المصالحة مع الله ، ولكن لإجتياز الخطية نفسها من أصولها ، ومحوها ، والإنقاذ من

مجده محتملاً كل الآلام والتجارب مثلنا، ليرفع اللعنة عن الجهد والتعب والعرق والألم، ويحوِّله لنا إلى شركة حب مع الله في المسيح، محولاً الحياة برمتها لتكون غايتها ميراثاً مع الله في المسيح. «من ثَمَّ كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً فيا الله حتى يُكفِّر خطايا الشعب لأنه في ما هو قد تألم مجرباً يُقدَّر أن يعين المجربين» (عب ٢: ١٧، ١٨) «كي يعيش الأحياء فيا بعد لا لأنفسهم (الآلام) بل للذي مات لأجلهم وقام» (٢ كوه: ١٥) «فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله» (١ كوه: ١٠: ٣١).

كيف يكون ذلك؟ : لقد استقطب المسيح ليس فقط الآلام اليومية الطبيعية عندما بلغ بالآلام إلى الموت الفدائي لرفع الخطية وإبطال سلطانها، بل حوَّل الحياة كلها لحسابه!! أي أننا نتعب ونشقى ونتألم من الآن من أجل الرب وحباً فيه وشركة معه.

لأن الخطية كانت سبباً في انفصال آدم عن الله، ودخوله في لعنة الآلام الحياة اليومية: «ملعونة الأرض بسببك» (تك ٣: ١٧).

سلطان الخطية وسطوة الموت!! هذا هو معنى الفداء تماماً «الفداء بدم صليبه» (كو: ٢٠).

هنا ليس آلام وحسب بل الآلام للموت. والإنقاذ الذي تم ضد سلطان الخطية والموت وإبليس لم يتم باحتمال الآلام وحسب بل بقبول الموت لتتم القيامة.

فالموت إجراء فدائي أساسي، ولكنه لا ينتهي في ذاته بل هو موت لقيامة. والقيامة هنا مرتبطة بالموت (الفداء)، ثم بالصليب والقيامة معاً.

فكل من قبل موت المسيح على الصليب، يكون قد قبل القيامة، وحاز الفداء.

لذلك فبسبب القيامة، صار موت المسيح نصرة فوق الموت.

ولذلك كان الإيمان بموت المسيح على الصليب:

— ليس لمجرد قبول غفران خطايا ولا لمصالحة مع الآب وحسب، ولا للحصول على البراءة أو التبرير، ولكن:

لقبول نصرة على الموت، وعلى سلطان الخطية، بقبول القيامة كحياة أبدية،

حياة جديدة، خليفة جديدة بالروح القدس.

ولكن لأن المسيح أبطل سلطان الخطية التي هي سبب اللعنة بالفداء على الصليب ، فإنه ينتج من ذلك أن المسيح قد رفع عنصر اللعنة المتغلغل في الآلام والأتعاب اليومية باعتبارها عقوبة الحياة .

فصار الجهاد والألم لكل إنسان — يعيش في الفداء والصليب — هو مشاركة حياة مع المسيح الذي قبل لعنة الموت في نفسه ورفع الانفصال عن الله .

الآن نحن لا نحيا لأنفسنا ، وبالتالي لا نتألم لأنفسنا ، لأن ابن الله مات عنا ليعيدنا إلى الحياة مع الله مرة أخرى ، وتألم عنا ليرفع اللعنة عن الألم ، فلا يُحسب الألم عقوبة بل شركة في آلام المسيح .

لذلك أصبحت الآلام اليومية لكل مفديي الله هي شركة حب ، هي وقود لإشعال القلب كل يوم بالحب الإلهي ، وكأننا لا نتألم وحدنا ولا لأنفسنا بل نتألم لنزداد قرباً من الله ونزداد حباً وحياة فيه !!

والنتيجة: عمل قوة موت المسيح على الصليب في الطبيعة البشرية:

بقبول آدم لعنة الموت ، بسبب التعدي على وصية الله — صارت نتيجته المباشرة ، أو كانت هذه اللعنة بمجد ذاتها ، عبارة عن فقدان الإنسان الصلة المحيية التي كانت تربطه بالحياة مع الله .

لقد فقدت النفس وفقد الجسد الألفة والرباط الذي كان يربطهما بالله، وصارا قبايلن للتفكك والتقسم والنزاع، وبالتالي قابِلين للمرض والانفصال — أي الموت والفساد. ولكن الله خلق الإنسان على غير فساد.

إذن الفساد هنا عَرَضٌ، وليس من صميم طبيعة خلقته الحسنة: «الموت هو أجرة الخطية» (رو ٦: ٢٣)، هو استعلان الخطية!!

والموت هنا واقع على الجسد، لأن النفس لا تموت. لذلك بقي للإنسان رجاء. موت المسيح حَقَّقَ هذا الرجاء، رجاء غلبة الموت بدفع أجرة الخطية، فقام الجسد «وأنت نفسة واتحدت بجسده» (القسم السريانية). وصار المسيح باكورة الراقدين (١ كوه ٢٠)، أي أعطى كل الراقدين رجاء بل قوة القيامة!!، قيامة الجسد والنفس في ألفة الروح القدس بالإتحاد بالمسيح الذي هو القيامة والحياة!!

وبذلك صار موت المسيح على الصليب هو نفسه مصدر القوة لإلغاء الموت وإعطاء قوة القيامة.

يا ربنا يسوع المسيح...

ننظر إلى صليبك فتسيل دموعنا ولا نعرف كيف نضبط أنفسنا...

لقد تحيّرنا جداً يا ابن الله، حينما نستعفي من شركة الآمك ومذلة موتك وانسحاق صليبك نجد إكليل المجد قد طار من على رؤوسنا، وانسكبت حياتنا في الطين، ولم نعد أعمالنا إلا حفنة تراب...

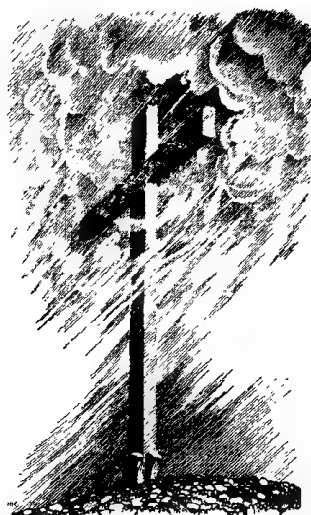
وحينما نحمل صليبك ونوقد العزم أن نشرب كأسك ونصطبغ بالصبغة التي اصطبغت بها ونقدم بجماعة حاملين عارك مستهينين بالخزي منتظرين المראה، لا نجد إلا فرحاً وسلاماً ومجداً وكرامة، وتختفي المفزععات والمروعات، ونرى المجد عياناً...

إن هذا لمرّ عجيب!!...

لقد عرفنا اليوم سر صليبك يا ابن الله...

كيف بكل حكمة وفطنة أخفيت أمجادك داخل آلامك، حتى لا يستطيع أحد

أن يختار الواحدة ويترك الأخرى...
 ري ، لقد أحببنا صليبك ، أحببنا صليبك جداً ، ففيه آلامنا وفيه أفراحنا
 امتزجت معاً...
 كيف لا نحب صليبك يارب ونحن نقرأ أسماؤنا منقوشة عليه ، وخطايانا وعارنا
 انتقلت من علينا لثُرسم كلها على جسدك ؟ ... ثم تتساقط عليها قطرات دمك
 فتمحوها واحدة فواحدة...
 ربنا نحن كلنا نحب صليبك... نحب صليبك جداً...
 لك المجد مع أبيك الصالح والروح القدس
 في كنيستك إلى الأبد
 آمين



الإنجيل والصليب

الإنجيل، أيها الأحماء، يعني الخبر المفرح، فهو خبر الخلاص. والخلاص هو الفداء بدم المسيح على الصليب. أي أن الإنجيل هو خبر الصليب المفرح.

لا يمكن أن يكون الإنجيل إنجيلاً بدون الصليب. وينتهي الوضوح والاختصار، الصليب هو سفك دم ابن الله، بروح أزلي. فالدم هو الحياة، كما يقول العهد القديم (لاو ١٧: ١٤)، وكما يقول علم الطب الحديث أيضاً. فالمسيح سكب حياته عِوض كل ميت، وأخطر موت هو الموت بالخطايا والذنوب.

يقول القديس يوحنا الرسول بالروح في سفر الرؤيا، شاهداً بالمسيح الحي الكائن والذي كان والذي يأتي، أنه رآه بصورة متصلة عبر كل الأزمنة أنه: «الخروف الذي دُبِّح منذ تأسيس العالم» (رؤ ١٣: ٨) أي حالة مقضي بها. «كخروف قائم كأنه مذبوح» (رؤ ٥: ٦) أي حالة دائمة. «وسأعطي لشاهديّ فيتنبان... وتكون جثثهما على شارع المدينة العظيمة... ومصر حيث صُلب ربنا أيضاً» (رؤ ١١: ٨ و٩). وهنا إشارة على أول رمز عملي للمسيح المصلوب، وهو خروف الفصح الأول، والفصح هو العبور من الموت إلى الحياة.

أما الصدى لهذا القول الفائق على الزمن فهو كامن في قول يوحنا المعمدان عن المسيح بالرؤيا المتجاوزة لكل الزمان: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو: ١: ٢٩). ثم يعود يوحنا الرائي، ليرى المسيح ينضح بدمه على خطايا البشرية، حتى بعد قيامته من الأموات، ليجعلهم لا أطهاراً فحسب، بل أيضاً ليرفع رتبهم إلى ملوكيته؛ وإلى كهنوته الإلهي: «يسوع المسيح، الشاهد الأمين، البكر من الأموات، ورئيس ملوك الأرض. الذي أحبنا، وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا موكاً وكهنة لله أبية، له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين. آمين» (رؤ ١: ٥ و٦). غسلنا بالدم،

أي عمدنا بالحياة وبالروح القدس، لأن الدم هو الحياة!!

ولكن يرتفع القديس بولس الرسول في سفر العبرانيين إلى مستوى رؤيا يوحنا اللاهوتي، الذي رأى المسيح حلاً مذبوحاً منذ تأسيس العالم، في مشورة الله القدير، لخلاص تحتم أن يتم في زمانه ومكانه هكذا:

— «فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم (هذه هي أحزان الله التي طالما عبّر عنها العهد القديم على مدى كل أسفاره، والتي لم يلففها دم تيوس أو عجول أو آلاف الذبائح على مدى مئات السنين).

ولكنه الآن قد أظهر مرة، عند انقضاء الدهور، ليُبطل الخطيئة بذبيحة نفسه (يُبطل أثرها فينا ولدى الله أبيه).

وكما وُضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة، هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية، ليس بسبب الخطيئة، للخلاص للذين ينتظرونه» (عبرانيين ٩: ٢٦-٢٨).

لهذا يقول سفر العبرانيين إن السماء كانت تتلهف لدخوله ظافراً، حاملاً فداء البشرية: «ليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس؛ فوجد فداءً أبدياً» (عب ٩: ١٢).

لنا ثقة للدخول إلى الأقداس بدمه:

ويشدد سفر العبرانيين أن الدم الذي سلمه المسيح للآب، باعتباره ذبيحته عن البشرية، كان له القوة والسلطان، لا أن يغفر الخطايا ويصالح فحسب، بل وأن يطهر الضمير من وجع الخطيئة الميت للضمير: «فكم بالحرى يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قُدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من الأعمال الميتة لتخضعوا لله الحي (كأخصاء عوض أعداء، كأحباء عوض منبذين)» (عب ٩: ١٤).

ثم ليس جزافاً ولا عبثاً يقرر يوحنا المعمدان أن «هوذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم» (يو: ١: ٢٩)؛ هنا خطيئة العالم بوضعها الشمولي على مدى الزمان والمكان، الأمر

الذي حدده يوحنا الراي بصورة شمولية أعم بقوله: «دُبح قبل تأسيس العالم»، أي قبل أن يكون إنسان، وقبل أن تُعرف خطية. هنا ذبيحة المسيح الكفارية داخلية، أساساً وضمناً، في خطة الخليقة من ألفها إلى يائها.

لذلك يقول سفر العبرانيين مثبتاً هذه العمومية والشمولية، معتبراً الخطية، مهما كثرت وتناهت، فهي خطية واحدة: «يسوع الذي نراه مكلاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت، لكي يذوق، بنعمة الله، الموت لأجل كل واحد»، «فبعدها قَدَّم عن الخطايا ذبيحة واحدة، جلس إلى الأبد عن يمين الله» (عب ٢: ٩، ١٠: ١٢).

لذلك، هنا يليق بنا أن نذرف الدمع، ونسكب أنفسنا بالحزن والصلاة من أجل أي إنسان في العالم يخيب من نعمة الله هذه ولا ينال نصيبه من دم الفداء المجاني؛ كما يقول سفر العبرانيين ٣: ٢: «كيف ننجون نحن إن أمهلنا خلاصاً هذا مقداره»، وقوله أيضاً في ١٢: ٣: «أنظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير، بعدم إيمان، في الإرتداد عن الله الحي».

هنا يتضح لكم سر التجسد، لماذا أخذ ابن الله جسداً كجسدنا، ولحماً ودماً مثلنا، يمكن أن يُسفك ويموت!! يقول سفر العبرانيين: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، اشترك هو أيضاً كذلك فيها؛ لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس» (عب ٢: ١٤).

وإمعاناً في جعل دم المسيح ليس وقفاً على أحد، صار سفك دم المسيح خارجاً أورشليم، إعلاناً أبدياً أن دمه ليس وقفاً على أحد، بل هو ملك لكل من ليس له إقامة: «لأنه ليس لنا هنا مدينة باقية!!— لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه، تألم خارج الباب» (عب ١٣: ١٤ و١٢).

ويصير سفر العبرانيين ليضع الصليب مركز الأساس للإنجيل، كما يعطي دم المسيح صفة العهد الأبدي الذي لا يمحي ولا يُنسخ ولا يضعف، حتى نهاية الدنيا: — «والله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع المسيح

بدم العهد الأبدى، ليكملكم في كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته، عاملاً فيكم ما يُرضي أمامه يسوع المسيح» (عب ١٣: ٢٠ و ٢١).

— «فهذه المشيئة نحن مقدِّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة» (عب ١٠: ١٠).

— «لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدَّسين، ويشهد لنا الروح القدس أيضاً» (عب ١٠: ١٤ و ١٥).

— «فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه، لئلا تكلُّوا وتخزوا في نفوسكم، ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب، مستهيناً بالخزي، فجلس في يمين عرش الله» (عب ١٢: ٢ و ٣).

— «بل أتيتم... إلى وسيط العهد الجديد يسوع وإلى دم ريش يتكلم أفضل من هابيل» (عب ١٢: ٢٢ و ٢٤).

— «الذي أسلم من أجل خطايانا، وأقيم لأجل تبريرنا» (رو ٤: ٢٥).

— «الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه، لإظهاره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة» (رو ٣: ٢٥).

— «لأن الموت الذي ماته، قد ماته للخطية مرة واحدة،... عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه، ليُبطل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية» (رو ٦: ١٠ و ٦).

— «الذي لم يشفق على أبنته، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء» (رو ٨: ٣٢).

الإنجيل ومركز الصليب فيه :

— «وأعرّفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به، وقبلتموه، وتقومون فيه، وبه أيضاً تخلصون، إن كنتم تذكرون أيّ كلام بشرتكم به، إلا إذا كنتم قد أتممت عبثاً : فإنني سلّمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دُفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب وأنه ظهر لصفا ثم

للإثني عشر وبعد ذلك ظهر لأكثر من خمس مئة أخ... وبعد ذلك ظهر ليعقوب ثم للرسل أجمعين، وآخر الكل، كأنه للسقط ظهر لي أنا» (١ كوه ١: ٨-١).

— «حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح» (غل ٦: ١٤).

— «بمقتضى علم الله الآب السابق في تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح» (١ بط ١: ٢).

— «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا، فنحيا للبر» (١ بط ٢: ٢٤).

— «فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل خطايانا، البار من أجل الأثمة، لكي يقربنا إلى الله، مماثلاً في الجسد، ولكن مُحيي في الروح» (١ بط ٣: ١٨).

— «عالين أنكم افتديتم، لا بأشياء تافهة، بفضة أو ذهب، من سيراتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم» (١ بط ١: ١٨-٢٠).

— «فلنا شركة بعضنا مع بعض، ودم يسوع المسيح أبنه يطهرنا من كل خطية. وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١ يو ١: ٧، ٢: ٢).

— «(الآن) لنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار» (١ يو ٢: ١).

— «لأنكم قد اشتريتم بثمن، فجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله» (١ كوه ٦: ٢٠).

— «قد اشتريتم بثمن، فلا تصيروا عبيداً للناس» (أي أن شراء دم المسيح لنا = حرية) (١ كوه ٧: ٢٣).

الدم فيه الحياة. المسيح سكب حياته على الصليب، عوض كل ميت. لقد اشترى كل قتل الخطية، واستعاد لنا الحياة في الله عوض الموت في الخطية: «ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رو ٨).

— «لأنك دُبحْتَ؛ واشتريتنا الله بدمك (بحياتك)، من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة» (رو ٩).

— «نحن نركز بالمسيح مصلوباً» (حالة كائنة: لا نعرف المسيح إلا مصلوباً ومقاماً) (١كو١: ٢٣).

— «لأن فصحننا المسيح (عبورنا من العبودية إلى المجد) قد ذُبح لأجلنا» (ذبيحة عبور) (١كو٥: ٧).

— «لنا ... ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً، بالحجاب، أي جسده» (عب ١٠: ١٩ و ٢٠).

— «أحبنا المسيح؛ وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً، وذبيحة لله، رائحة طيبة (ذبيحة سرور، ذبيحة استرضاء وجه الله لقبول مسرة الله عوض الغضب)» (أف ٥: ٢).

— «لأنه فيه سُرَّ أن يحمل كل الملء؛ وأن يصالح (الله) به الكل لنفسه؛ عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته... قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت، ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه، إن ثبتتم على الإيمان» (كو ١٩: ٢٣).

— «لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه (فدية) لأجل الجميع» (١ تي ٢: ٥ و ٦).

— «الذي بذل نفسه لأجلنا، لكي يفدينا من كل إثم؛ ويطهر لنفسه شعباً خاصاً، غيراً في أعمال حسنة» (تيطس ٢: ١٤).

— «لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، (من أجل ذلك وبناءً عليه) فإن الراقدين بيسوع المسيح سيحضرهم الله أيضاً معه» (١ تس ٤: ١٤).

— «الذي مات لأجلنا، حتى إذا سهرنا (أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة) مت ٢٦: ٤٠)، أو نمنا (ناموا الآن واستريحوا) مت ٢٦: ٤٥)، نحيا جميعاً معه. لذلك عزّوا بعضكم بعضاً وابنوا أحدكم الآخر» (١ تس ٥: ١٠ و ١١).

— «لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء، مات في الوقت المعين لأجل الفجار... الله بيّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا...

ونحن متبررون الآن، بدمه، نخلص به من الغضب...

لأنه إن كنا، ونحن أعداء، قد صولحنا مع الله بموت ابنه!! فبالأولى كثيراً،

ونحن مصالحوه، نخلص بحياته» (رو ٦: ١٠).

وجهان للصليب في الإنجيل :

فإذا راجع القارئ كل الآيات السابقة بامعان، يجد أن الصليب يرافقه دائماً وجه محزن، كله عار وخزي، انعكس على الدنيا وقت الساعة التاسعة سواداً مقبضاً. وهذا الوجه هو المقابل والمساوي بكل دقة للخطية التي اقترفها الإنسان، و يقترفها كل يوم، من نجاسة وزنا بالنية، بالعين، في القلب، أو بالفعل في الجسد، وهذا يساوي ذاك، أو من رشوة وكذب وتزوير وشهادة زور؛ أو ظلم وعداوة وتجبر وامتهان الآخرين، أو تسبب وتجديف وسرقة هياكل. هذه هي صنوف من الخطية التي أوجبت الصليب، فالتزم المسيح أن يلبسها كثوب من الحزي ويتراءى بها أمام العالم والله.

أما الوجه الآخر الملازم أيضاً للصليب، فهو وجه السرور المفرط، القائم في المصالحة مع الله، وخلع كل نجاسات الضمير والجسد، ورفع كل حكم ودينونة، بل وغسل الضمير والجسد، لبلوغ حالة براءة كاملة، وتبرير حقيقي، يقف بها الخاطئ المسك بالصليب أمام الله وكأنه بلا لوم، مرتدياً ثوب الخلاص، أبيض كالنور، في بهجة وتهليل، وعلى رأسه إكليل أبدي، وعلى لسانه أنشودة الظفر.

أما الذي يحترق الوجه المخزي للصليب، فليس له نصيب في وجه البر، لأنه سيظل مستعبداً تحت حكم الخطية.

لذلك صار الإنجيل هو الخبر السار للخاطئ؛ والصليب افتخار.

(١٩٨١)



من الصليب ... إلى القيامة

إن حياة المسيح كلها من الميلاد للقيامة ، بكل الأحاديث والوصايا والوقائع والقصص والتعاليم والمصادمات ، تحوي مضمون الصلب والموت بمفهوم الفداء والقيامة ، لإعطاء الحياة الجديدة .

ولكن التركيز على الصليب هو لإيضاح ثمن الخطية .
والتركيز على القيامة هو لإيضاح مقدار قوة البرّ .



١ . المحاكمة والصليب

نحن خطاة متعتّون على كل الفرائض والوصايا ، صغیرها وكبیرها ، وبذلك صرنا تحت حكم الموت . ونحن محتاجون إلى تبرئة أمام السماء ليكون لنا نصيب في الحياة الأبديّة مع السّماثین . والمسیح ، وهو برّیٌ كل البراءة المطلقة بل هو هو الדיان الذي یدين ، أكمل هذا الحكم في نفسه على كل درجاته القانونيّة بكل دقة .

أولاً: المسيح قَبِلَ حكم الموت موتاً كاملاً ، حيث انفصلت نفسه عن جسده ، أما لاهوته فلم ینفصل قط لا عن نفسه ولا عن جسده . ودُفِن ، لكي یلغی قانون حكم الموت الأبدي بكل مشتملاته ، حتى لا یصبح الموت بعد حاجزاً یحجز الإنسان منذ الآن عن الحياة والوصول إلى الله : « الذي به لنا جرأة وقدومٌ بإیمانه عن ثقة . »
(أف ٣: ١٢)

ثانياً: والمسیح ، وهو القاضي المعین لفحص كل إتهام ، حل كل أنواع الإتهام التي يستحقها كل إنسان مما یستلزم الموت من جرائمها ، ومات بناءً علیها .

ثالثاً: قَبِلَ أن یقف قدام بیلاطس البنطي الذي كان ممثلاً لأعلى سلطة قضاء لتنفيذ حكم الموت رسمياً حسب طلب رؤساء الكهنة ، وبحسب ناموسهم .

أ - ولكن بيلاطس برأ المسيح براءة شخصية (لو ٢٣: ٢٧) من كل علة.

ب - ثم وافق على حكم الموت بناءً على ادعاءات الناموس والأوصياء الرسميين عليه، وهم رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيون، مما يوضح ضمناً أن المسيح لم يمت بسبب أي علة شخصية وإنما بناءً على طلب الناموس عامة، مما يتسحب على كل إنسان، لكي يكون المسيح كفدية عامة. لذلك فبالرغم من براءته، لحكم عليه وُصِّل كفاعل شر بحسب الناموس، وجُعل مع الأشرار قهره، ليجد فيه الأشرار عمامياً ومخلصاً (إش ٥٣: ١٢)، بل وصديقاً وفادياً.

براءة من أي
ادعاء مدني
كمواطن وإنسان

الصليب كشف المضادة العظمى:

و يلاحظ أن الآلام التي عاناها المسيح من المطاردة والإهانة والكرهية كما وصفه إشعياء في نبوته: «مكرهه الأمة، عبد المتسلطين» (إش ٤٩: ٧)، والضرب حتى الصلب، هي نتيجة المضادة العظمى بين الظاهر الكلي والفساد الكلي، بين الله والإنسان، وهي مضادة مباشرة وواضحة ولازمة بسبب إتحاد اللاهوت بالناسوت. فهو إنسان عادي جداً ولكنه حامل صفات إلهية من ظهور ونقاء وصدق ومواجهة جريئة وتوبيخ صادق للرؤساء. وكان من نتيجة ذلك أن الموكِّلين بالحق والناموس والصدق كانوا هم أول مَنْ لم يحتملوا تبيكته الصامت بحياته في وسطهم. فكان الصلب نتيجة رفض الإنسان لله من جهة، ومن جهة أخرى قبول الله لشركة الإنسان بعد أن نبى كل ضعفه وخطيته وبرأه ودفع ثمن جرمته.

فالصليب، في آي واحد، كشف عن حب الله للإنسان، وعن غضب الله على الخطيئة. كما كشف عن كذب حكم الإنسان على الحق، وفظاعة عداوة الإنسان لله.

وهكذا في الصليب والموت انكشف الإثنان، وُزِع الإثنان: الخطيئة والعداوة. ولا يحظ أن عداوة الإنسان ضد الله، عقوبتها الوحيدة هي الفناء. فالمسيح واجه هذه

العداوة، فكان الصليب، وهو أعظم عقوبة ممكنة؛ واحتمل ما كان يجب أن يحتمله الإنسان. لذلك كان التجسد ضرورة حتمتها عملية الفداء، وكان هو بدء التفرد عن الله واحتمال التذلل: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (متى ٢٧: ٤٦)، وهكذا تحمّل المسيح عبء العداوة، عداوة الله والناس، وعبء أقصى عقوبتها، ثم تم إلغاؤها باستحقاق بنوته لله، وقداسته المطلقة، وحبه وطاعته الكاملين.

أما سر الصليب وسر الخلاص في الصليب، فهو في أن المسيح كما كانت له قدرته الفدائية على حمل الخطية في الجسد والآلام الفعلية والصلب، أي عذاب الموت عنا؛ كان في قدرته القوة على رفعها جميعاً عنا: الخطية والآلام والصلب والموت. فهو حملها — كإنسان — ليرفعها كإله، لذلك كانت رسالة الصليب وتذكّارها يوم الجمعة العظيمة، ليست رسالة حزن بقدر ما هي رسالة نصرّة فائقة على عدو الإنسان، أي على الشيطان والموت والخطية، لإعطاء حياة قيامة جديدة للإنسان وإعادة المسرة والمصالحة مع الله، كمسرة الله.

ولا تنسى أن الرمز كان يحمل هذا الإزدواج، أي أن ذبح الخروف كان يصحبه تهليل العتق والخروج، وفي نفس الوقت كان يتضمن الانتقام من الأئمة التي استعبدت شعب الله. لذلك وجب أن يكون تذكّار الصليب، أي يوم جمعة الصليب، ممزوجاً بإحساسين:

أولاً: النصرّة؛

ثانياً: النّقمة؛

النصرة على العالم والجسد والشيطان والخطية والألم والقبر والهاوية التي استعبدت الإنسان؛ أما النّقمة فعلى الذي استعبد الإنسان بالخوف والرعب من الموت وإذلاله بسلطان الخطية والتعدي والتجديف — أي الشيطان.

جوهر رسالة الصليب؛

أعظم مصالحة وأعظم ارتباط بين الإنسان والله:

فرسالة الصليب، ولولائها في ظاهرها تعبّر عن خذلان من الله نحو آبنه، وإشهار

ومذلة وضعف ومهانة لا تليق بإبن الله، إلا أن جوهرها ينني هذا المظهر الزمني. فكل ما وقع المسيح تحته من مهانة وعار وصليب وبتعد ظاهري عن الله الآب «إلهي إلهي لماذا تركتني»، هذا كله احتمله بسرور ليرفعه إلى الأبد وبلغ سلطانه عن الإنسان ويؤمن الإنسان ضده. لذلك، فإن سر التجسد، ولو أنه يحمل في ظاهره التخلي أو الإخلاء κένωσις بقبول الضعف والمهانة، إلا أنه يحمل في جوهره أعظم مصلحة وأعظم قوة وأعظم ارتباط بين الإنسان والله بواسطة الإبن. وهكذا كما نزل المسيح إلى الحضيض، إلى القبر والتراب والدفن، حاملاً في جسده لعنة وعار الإنسان ودُّله وإخفاقه، هكذا، وبنفس القدر بل وأكثر جداً، قام في مجد ويقين أنه هو أبن الله بقوة القيامة. وإذ قام من الموت، أعلن نصرة الإنسان فيه وحصول البشرية على نفس القيامة والشركة في المجد والميراث والمحبة التي يحب بها الله الآب أبنه الوحيد المحبوب: «... ليكون فيهم الحب الذي أحببتي به.» (يو ١٧: ٢٦)

ويتحتم أن ندرك ونثق ونشهد أن الله هو الذي صمم على فداء الإنسان منذ البدء، وهو الذي نفذ في أبنه متحملاً كل عار وقع على أبنه بسببنا «تعبيرات معيترك وقعت علي» (مز ٦٩: ٩). هنا يكون الصليب هو قوة الله للخلاص بالفعل، وكل الآلام التي رافقتة هي ثمن قيامة الإنسان، وتجديد خلقته، وشركة مجده مع المسيح في ميراث الحياة الأبدية.

عالمين علم اليقين أن الله في ذاته لم يكن في احتياج أن يتجسد أبنه ولا أن يؤلمه بهذا القدر واضعاً عليه كل عار الإنسان، ولكن هي عبة الله الفائضة من نحو العالم كله وكل إنسان فيه.

لم يُمسك المسيح في لعنة الموت،

لذلك رفع عن كل إنسان سلطانها القاتل:

كما نلاحظ أن المسيح قَبِلَ الموت بصورة صليب، وليس بصورة أخرى، لأنه هو النوع الوحيد من طرق الموت المحسوب في التناموس أنه لعنة كُثُنَ التعدي على التناموس. فالمسيح قَبِلَ الصليب ليصير لعنة من أجلنا، ليوفي كل عقوبات التناموس مرة واحدة: [«لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب

الناموس ليعمل به... المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون كلُّ من عُلّق على خشبة.» (غل ٣: ١٠ و١٣؛ تث ٢١: ٢٣)]

ولكن المسيح لم يُمسك لا في هذه اللعنة ولا في الموت كشمس اللعنة والتعدي، بل إذ حملها عنا ألغاهما بعد أن أكمل كل طلباتها، لأنه هو نفسه قدوس وبلا عيب، ولم يتوقف لحظة، على الصليب أو حتى في القبر، من أن يكون هو البار القدوس الذي يمنح البركة للعالم كله.

فكان المسيح على الصليب هو هو الله الذي دان الخطية في الجسد، أي جسده، ودفع كل أجرتها بالموت «أجرة الخطية هي الموت» (رو ٦: ٢٣)، ليرفع عن كل إنسان سلطانها القاتل. وعلى الصليب كان هو هو الديان العادل الذي انتقم للإنسان من عدوه المشتكي عليه ليل نهار، وأدانه، وخلص الإنسان من سلطانه. فالآن، نحن لسنا تحت سلطان الخطية أو الموت أو الشيطان، بل تحت نعمة ربنا يسوع المسيح الذي فدانا بنفسه وصالحنا مع الله أبيه، وأمنّ الفداء بقيامته من الأموات وإعطاء الروح القدس لضمان دوام مغفرة الخطايا وتقديس الحياة ورفع الخوف من الموت، إذ جعله المسيح باباً للحياة الأبدية بقوة القيامة من الموت: «فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة.» (رو ٦: ١٤)

ولقد رضي الرب أن يوضع في قبر وحيداً، ويتركه التلاميذ والأهل والأم وجميع الأصدقاء، ليذوق وخشة الموت تأكيداً للموت. ولكن بينما جميع الأموات يُتركون هكذا إلى الأبد، قام هو في اليوم الثالث ليتقابل عند القبر مع محبيه ويعود سريعاً إلى التلاميذ في العُلية، تأكيداً على أن الموت فقد كل جوهره ومظهره. وهكذا أعاد للصورة القديمة المتعلقة بالموت حقائق جديدة مفرحة ومذهلة. فالقبر كان تعبيراً عن الفساد، هذا تركه المسيح منيراً فارغاً تفوح منه رائحة الأطياب والعطور. والكفن صار تذكار حياة تفوح منه رائحة القيامة. والدم المسفوك على الصليب لم يعد دم إنسان مات ويمكن أن يفسد، بل دم الحي المحيي دم أبن الله، فعلاً، بروح أنلي يمسح ويطهر ويقدس ويحيي الضمائر من كل الأفكار والتصورات والأعمال الميتة، وصار دم المسيح الذي تخضبت به الخشبة، خشبة الصليب، صار للحياة ولغفرة الخطايا. وهكذا انقلبت

أدوات الموت وصورته إلى مصادر للحياة والتطهير والتقديس .

أما نفس الجسد المصلوب الذي مات والذي قام ، فقد انفتحت أحضانه ليقبل شركة الإنسان فيه بيسر الروح ، سواء في آلامه أو صلبه أو قيامته ، شركة يعبر عنها سر عشاء الخميس ، أي سر الأكل من الجسد والدم ، بأنها شركة حياة وثبوت وإتحاد «من يأكلني يحيا بي» ، «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه» ، «... ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيّ وأنا فيك يكونوا هم أيضاً واحداً فينا... أنا فيهم وأنتم فيّ ليكونوا مكتملين إلى واحد .» (يو: ٥٧: ٥٦ ، يو: ١٧: ٢١ و٢٣)

الإيمان بقوة الفداء ، هو المدخل إلى كل هذه النعم :

ولكن المدخل إلى كل هذه النعم هو قوة الفداء الذي تم بالصليب ، التي إذا آمنا بها وحلّلت فينا ، تجعلنا قادرين أن نتحمل صلب الإنسان العتيق فينا وموته ليحيا إنساننا الجديد القادر على مقاومة العالم والشیطان ، وله سلطان إماتة أعضاءنا التي على الأرض ، لا بضيق ولا بتململ ، بل بفرح سرّ النصر وروح القيامة الساكن فينا ، وحيث لا تعود الخطيئة تسود علينا بعد بل نعمة المسيح ، لأن المسيح «أبطل الخطيئة بذبيحة نفسه» (عب ٩: ٢٦) . و«أبطلها» تعني في اللغة «أخلأها من مضمونها كتعدّ وأفرغها من سلطانها القاتل» .

ولكن إذا لم ندخل بالفعل في شركة فداء صليب المسيح ؛ ونحتمل موت الجسد العتيق وصلب الأعضاء التي تخدم الخطيئة والفساد ؛ ونموت بإرادتنا عن شهوات الجسد والعالم ، فهذه إشارة خطيرة إلى أن قوة القيامة لم تعد فعالة فينا . فعلياً أن نبكي وننقطع للصلاة الكثيرة والتوبة ، ونطرح أمام المسيح كل يوم كموات بالذنوب والخطايا ، حتى تعمل فينا قوة قيامته ، وعلامتها الثقة بالمسيح التي تتحدى العالم وكل مخاوفه ومرعباته وحوادثه ومصادماته ، لأنها تسخر من الموت ذاته . وهكذا ليس كأننا مطالبون أن نحارب أو نصارع مع الشيطان ونواجه عالم الظلمة بإمكانياتنا الضعيفة ، بل علينا أن نتمسك بقوة القيامة المنبعثة من صليب ربنا يسوع المسيح ونستمد منه هو ، بالروح ، بقوة الإيمان ، الاحتمال والصبر على كل ما يقع علينا من ضيقات ومظالم واضطهادات وآلام ، باعتبارها أنها هي شركة الآلام وشركة الصليب مع المسيح . فإذا قبلناها

معه بصبر و بفرح، نتركى ونُحسب أهلاً للعزاء وقبول سيرِّ قيامته المملوءة بهجة وسلاماً
يفوق العقل.

والشركة في الآم و صليب المسيح، تؤهلنا للدخول في سلام المسيح:

كذلك، فإن صلب الجسد بالصلاة باجتهاد في صلوات كثيرة يجعلنا فعلاً قادرين
ومؤهلين لمقاومة الخطية ولصلب الإنسان العتيق، قريين دائماً من النصر، مؤهلين أن
ندخل سلام المسيح، الذي وهبنا إياه بقيامته من الأموات.

وبالعكس، فإن أي تذمر على أية ضيقة أو اضطهاد أو ظلم، سواء كان هذا من
أصدقاء أو أعداء يسوقهم الشيطان لتجربتنا، فإن هذا التذمر يُحسب كاستعفاء من
شركة الآم المسيح وشركة صلبه وموته. كما أن أي ملل من الجهاد ضد الخطية حتى
الدم (الإستشهاد)، بوهيم أن للخطية هذا السلطان الكاذب لأن تسود علينا
وتستعبدنا، فهذا يعني أن قوة الآم المسيح و صلبه لم تمسك بها بعد مسكاً جيداً لنأخذ منها
قوة الموت عن الخطية والعالم وشهوته، بل وقوة الحياة الجديدة المنتصرة أيضاً. لقد هزم
المسيح الخطية وأبطل سلطانها، وهو يمنحنا هذا السلطان في الصلاة وبالصوم والسهر،
بقدر ما نؤمن به ونثق فيه غير مرتابين.

القيامة هي الثمرة الطبيعية لموت أبْن الله بالجسد!!

مجد القيامة هو النتيجة الطبيعية لهوان الصليب «المسيح مات من أجل
خطايانا...، وأقيم لأجل تبريرنا.» (١ كور ٣: ٤٥؛ روم ٤: ٢٥)

□

٢ . القيامة

+ قيامة المسيح من الأموات حقٌ اكتسبه لنا المسيح، لأنه من جهته هو لم يكن في
حاجة إليها، فهو القيامة ذاتها والحياة، والموت لا يمكن أن يسود عليه ولا يمكن أن
يُمسك هو في الموت، لذلك فقيامة المسيح تَمَّت لأنه رضي أن يموت بإرادته، وهكذا
أصبح موته هو موتنا وقيامته هي قيامتنا.

والقيامة قوة حياة جديدة دخلت إلى خلقة الإنسان لم تكن فيه قط، ولا هي من صفاته أو حقوقه، ولكنها هبة خالصة، حياة أخرى فوق حياته، حياة جديدة ممتدة في الأبدية مع الله لا يعترضها حزن ولا وجع ولا تنهد ولا موت.

+ حينما تخلّص المسيح لنا من قضاء الناموس تجاه جميع أنواع الخطايا بالموت الذي مات به على الصليب، محكوماً عليه بها كمخالف للناموس، اكتسب لنا حق البراءة الأبدية في مصالحه كلية مع الله ضد الناموس لكل خاطيء.

١. التبرير:

هذا أول حق اكتسبناه بقيامة المسيح من الأموات، أي حصولنا على هبة التبرير أو البراءة تجاه قضاء الله العادل ضد كل عقوبات الناموس. فلم يعد حتى الموت عقوبة، إذ لم نعد نُحرم من وجه الله أو الوجود في حضرته بعد الموت بسبب خطايانا، بل صرنا نُحسب حتى منذ الآن في شركة القديسين وفي زمرة المفديين القائمين مع المسيح تحت مُلكه وتديره.

+ ولكن التبرير الذي نحصل عليه بقيامة يسوع المسيح من الأموات ليس حقاً عاماً أو نظاماً خارجياً عاماً يشملنا تلقائياً، بل التبرير هو هبة روحية يتحتم أن نكتسبها نحن أيضاً ونحصل عليها شخصياً، كل واحد، من المسيح بالطلب الحار كاحتياج خاص، وذلك بالصلاة التي يؤازرها عمل وسلوك وحب المسيح الشخصي، بالإضافة إلى تكميل سريّ العماد من الماء والروح القدس والتناول من جسد المسيح ودمه: «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدّمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار برة من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله، لإظهار برة في الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع.» (رو ٣: ٢٤-٢٦)

فالمسيح اكتسب لنا التبرير بالفداء حسب تدبير الله الآب بعمل وجهاد صعب للغاية، بتحمّل وصبر على الآلام والإضطهاد والحكم بالظلم وقبول شهادة الزور وتقبّل الضرب على الظهر والرأس والإهانة والمذلة، ثم الرضى أخيراً بأوجاع الصليب حتى الموت، طاعة للآب، لتكميل الفداء لإكتساب برة الله لأجلنا ولحسابنا.

لذلك، فنحن نوهب التبرير الذي ظفر به المسيح، حينما نؤمن من كل القلب بما عاناه المسيح قبل القيامة، بل وحينما نكون مستعدين للإفتخار والشهادة بكل آلامه وصليبه، وفوق الكل حينما نكون مستعدين بكل شجاعة للشركة في نفس آلام المسيح بدافع الحب: «تكون وتكسرون قلبي لأني مستعد ليس أن أربط فقط بل أن أموت أيضاً في أورشليم لأجل أسم الرب يسوع» (أع ٢١: ١٣). وهكذا فعل جميع الشهداء بلا استثناء.

لهذا استطاع القديس بولس أخيراً أن يقول: «قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الربُّ الديان العادل، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً.» (٢ تي ٤: ٨ و ٧)

٢ . حياة عدم الموت:

أما الحق الثاني الذي اكتسبناه بقيامة المسيح من الموت فهو حياة عدم الموت. هذه الحياة اكتسبها لنا المسيح لما قام بالجسد وظهر عياناً، وشاهدوه ولمسوه وأكل معهم هو هو كما هو، ليحيا إلى الأبد في عدم الموت، بحيث لا يسود عليه الموت بعد. هكذا صار لنا بالمثل بكل يقين في تدبير الآب أن نقوم بأجسادنا يوم القيامة لنعيش في عدم الموت لحياة جديدة مع الله، أبدية لا تزول ولا يسود عليها موت أو خطية بعد.

إن قيامة المسيح بنفس جسده المصلوب المثقوب اليدين والرجلين والمطعون في الجنب بشهادة التلاميذ ويلمس يد توما، كانت للعالم أعظم وثيقة وعربون قدّمها المسيح علناً بشهود، ليؤكد لنا أنه هكذا سنصير مثله على شبه جسد قيامته. هكذا يؤكد لنا القديس يوحنا الإنجيلي والقديس بولس الرسول:

— «ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو (أي بجسده الذي رآه التلاميذ ولمسوه وشاهدوه).» (١ يو ٣: ٢)

— وكذلك القديس بولس الرسول: «الذي سيغيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء.» (في ٣: ٢١)

إذن، فنحن لا نحيا الآن باطلاً ونتعبد ونتألم كأننا سننتهي، بعد هذا الجهد

والجذب الشديد في هذا العالم، إلى لا شيء، بل إن لنا نهاية سعيدة تنتظرنا بعد تكميل نصيبنا في أيام هذا العمر، إذ قد تجهّزت لنا قيامة لبداية حياة جديدة ملؤها الفرح ولها من أسباب السعادة والسلام والشكر ما لا نهاية له، وليس كما اختبرناه في هذا العالم الذي كل ما فيه زائل ومتغيّر ولا مسرة حقيقية تدوم فيه «ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو ١٤: ٢٧). أما هبة عدم الموت فسنالها بأجسادنا بعد أن تتغير حتماً وتصير على شبه جسد المسيح المقام كنموذج أعلى لحياة عدم الموت التي وهبها الله لنا لنكون ليس مثله فقط بل ومتحدين فيه أيضاً، لأن بدون الشركة الفعلية في قوة قيامة المسيح والإتحاد به، لا يكون لنا هذا الجسد الجديد، جسد القيامة لحياة عدم الموت، في نور الله الأبدي، كما يتخذ الغصن وجوده وغوه في أصل الكرمة آخذاً منها خواصها كلها ليحيا بها وفيها، وكما الأصل هكذا تكون الأغصان، كما يقول الإنجيل: «لأننا... من لحمه ومن عظامه.» (أف ٥: ٣٠)

٣. حياة جديدة:

أما الحق الثالث الذي اكتسبناه بقيامة المسيح من الأموات فهو أن نحيا منذ الآن وفي هذا الدهر عربون القيامة المزمعة أن تكون وعربون نوع الحياة الأبدية، بأن نحيا منذ الآن في حياة الحياة، أي نحيا حياة جديدة ليست كالأولى حسب الجسد العتيق وشهوته، بل حياة جديدة حسب الروح وحسب الله، بإنساننا الجديد الذي سيوهب لنا بصفات المسيح بقيامة المسيح من الأموات: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولّدنا ثانية لرجاء حيّ بقيامة يسوع المسيح من الأموات، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ لكم في السموات، أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلن في الزمان الأخير، الذي به تبتهجون (الآن).» (بط ١: ٣-٦)

وهذا الميلاد الثاني لا نحصل عليه كهبة عامة تشملنا خارجياً، بل هو هبة خاصة لكل واحد، ينالها بعد المعمودية والتناول بواسطة الإنشغال القلبي والفكري بالإنجيل، بكلمة الله الحية، بحياة يسوع المسيح وأقواله وتعاليمه المسجلة لنا في الإنجيل، حتى تسكن كلمة الله في قلوبنا بغنى، وتغصب الحياة كلها، كما يقول القديس بطرس الرسول،

كل واحد بصفاته الخاصة التي يستمدّها حسب قامته الروحية: «مولودين ثانية، لا من زرع يفتى، بل مما لا يفتى، بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد.» (١ بط ٢٣)

أي إن كلمة الإنجيل هي التي تهبنا حياة جديدة، وكأننا مولودون ثانية بقوة الروح، نفكر وندبر ونعمل ونسلك سلوكاً جديداً تشهد له ضماثرنا وتفرح له قلوبنا، وكأننا قد قننا فعلاً مع المسيح ودُفنا حياة ما بعد الموت. وكل يوم نرى رحمة جديدة وعناية من النعمة، وكأننا فعلاً نعيش في ملكوت الله تحت تدبير المسيح ونعمته المخلّصة؛ ونذوق تقديس الكلمة وفعل السر ومحبّة الرب يسوع ونتحكم بكل حكمة الخلاص؛ ونفرح بمشيئة الله مهما كانت ظروف أحوالنا الجسدية في العالم؛ ويتأكد لنا في كل معاملة جديدة مع الرب أننا ننال منه حياة جديدة لا تمتد إلى طبيعتنا الأرضية، ولكنها تهتف في أعماقنا أن المسيح قام حقاً من الأموات، ونحن أنفسنا نكون ثمرة قيامته التي نعلنها في حياتنا؛ ونختبر سبق تذوق الشركة في مجده هناك، حسب وعده، كعربون قيامتنا وبرهان تبريرنا المجاني الذي وهبه لنا بالفداء بالكفارة بدمه، لنخدمه ونخدم قيامته بطهارة، النهار والليل، بتسبيح قلبي لا ينقطع وصلاة شكر لا تهدأ؛ والروح يعين ضعف صلاتنا بتشجيع دائم، ويرشدنا كل يوم إلى عمل جديد يُرضي محبته. وهذا نصبح بحياتنا الجديدة شهوداً لقيامته المسيح وشهوداً لعمل قيامته في تجديد الإنسان.

وهكذا نرى، بوضوح، أن «المسيح قام. حقاً قام» ليست بالقول كنداء التحية أو مجرد تعبير إيماني، ولكنها شهادة لحقيقة نحيّاها ونقدمها للآخرين.

بل وعلى النقيض جداً، إذا لم نكن نحيّا حياة البر والطهارة، وتشهد أعمالنا علناً بنعمة المسيح للروح القدس العامل فينا، نكون فاقدين كلّ مكاسب قيامة المسيح، ولا يكون المسيح قد قام بالنسبة لنا بل ونكون نحن لا نزال أمواتاً بالذنوب والخطايا، ويكون الإيمان ميتاً، بحسابات القديس يعقوب الرسول (يع ٢: ١٧).

ألسنا أعضاء في جسد المسيح؟ ألسنا أعضاء ملتحمّة به؟ إذن، فقيامته المسيح ليست منطوق إيمان أو مجرد تقرير حقيقة نتحمس لها بأفواهنا، بل هي حياتنا

الجديدة المقامة الآن في برّ وسط ظلمة وجحيم هذا العالم الذي نعيشه، وهي النوزج الذي قبلنا أن نعيشه بعد الموت في حياة مُقامة لا يسود عليها الموت.

كذلك حينما ننشد أنه «بالموت داس الموت، والذين في القبور وهب لهم الحياة»، فنحن نقرر أننا في جانب الانتصار الذي انتصره المسيح على الموت وألغاه وفكّ قيوده عن الموتى، وأنه أوقع الشيطان وانتزع منه سلطانه فألغى الخطية وألغى الموت والهاوية. فإذا كانت الخطية لا تزال تظهر كأنها قائمة وفعالة في العالم، وكذلك الموت، فهذه صورة مزوّرة أخذت وجودها الكاذب بسبب ضعف إيماننا وعدم رؤيتنا الصحيحة وضالة التفوق الذي نصنعه. فالخطية تتحرك فينا حركة كاذبة مع أنها مقتولة ومقهورّة؛ والشيطان يربعنا بحركاته، مع أنه مضروب ضربة الموت، وقد أعطي لنا أن نصرعه في أية معركة. وحقيقة الخطية والموت والشيطان معاً، يصفها أحد الأتقياء بأنها مثل حالة لاعب غبي للشطرنج مهزوم أمام خصم ذكي جبار تحرك حركة سريعة ضده فأرداه مهزوماً وليس أمامه اختيار، ووقف الغالب ينظر حيرة المغلوب وهو يتحرك حركة اليأس، لأنه سدّ عليه كل المنافذ، فكل حركة تقربه من النهاية المحتمة.

الشيطان فقّد قوة حركته عندما صُلب المسيح، لأنه استخدم أقوى أسلحته وهو الموت إزاء مصدر الحياة فانتزع سلاحه إلى الأبد: «رئيس هذا العالم قد دُيّن»، «رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء» (يو ١٦: ١١؛ لو ١٠: ١٨). فكل الوقت الذي يمر الآن بالنسبة للشيطان والخطية هو وقت لا قيمة له بالنسبة للنهاية المحتمة لإنكشاف وإعلان الإنهزام الأبدي النهائي للشيطان وعالم الإثم. أما بالنسبة للمسيح نفسه «فقد أكمل» كل شيء على الصليب (يو ١٩: ٣٠). ونحن الآن نمر في أزمنة الخلاص لتكميل كل شيء، لنكون وفق القصد والغاية التي من أجلها مات المسيح وأنهى على قوة الشيطان. نحن في أزمنة تكميل تدبير خطة الخلاص لجمع كل ما في السماء وعلى الأرض: «دفع إلّيَّ كلُّ سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتسلموا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس» (متى ٢٨: ١٨ و١٩). وقد أعلن الرسول أن السماء كان ينبغي أن تقبل المسيح إلى حين ردّ كل شيء أو اكتمال كل شيء (أع ٣: ٢١).

فالزمن الذي يتحرك الآن أماناً، مع نشاط الخطيئة وحركة الموت وتسلط إبليس على الناس، هو محسوب أنه زمان منتهٍ. فالخطيئة مغلوبة، والموت بطلت قوته: «الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً» (٢ كوه: ١٧). نحن لا نعيش بعد في «عُتق الحرف» بل في «جِدَّة الروح». بل إن الخليقة كلها في زمانها الآن — وبعد أن أدخل ربنا يسوع المسيح الفداء إلى العالم وخصَّ به الإنسان — يقول عنها القديس بولس الرسول:

— «لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله... لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبري فداء أجسادنا.» (رو: ٨: ١٩—٢٣)

وزمان جديد:

إذن، نحن نحيا حياتين: حياة تكييل لأعواز الجسد غير محسوبة، إذ هي امتداد لتكميل الماضي الذي يعمل لإنهاء ذاته، وكل حوادثها زائلة تسير بالقصور الذاتي نحو النهاية المحتومة؛ وحياة أخرى خرجت من باطنها بالصليب والقيامة، جديدة روحية لا تنتهي، تمتد بعد الموت في الأبدية. الأولى مستعبدة للحرف، والثانية حرة بالروح القدس، وقد أُعطي للإنسان أن يحول حوادث هذا الزمن الضائع (الذي كما يقول عنه الكتاب: «الأيام شريرة» و«الوقت مقصّر» و«العالم كله قد وُضع في الشرير» — أف: ٥: ١٦؛ ١ كوه: ٧: ٢٩؛ ١ يوه: ١٩)؛ يحوّلها بالصلاة والحب والبذل والقداسة والتعفف إلى فضيلة وبرٍّ تخدم الأقداس العليا والأبدية. الخطيئة الآن تتحول إلى برٍّ بالنعمة.

الزمن الأول يحوي كل التراث الآدمي، وهويديو كتاريخ مع أنه لا يزيد عن كونه قصة تستهلك نفسها بنفسها ويطوها الزمان إلى لا شيء. أما الزمن الثاني، فهو زمن يسوع المسيح، ويحوي قصة الخلاص العظمى التي تغطي كل الزمان الأول وتتممه وترتفع به إلى الأبعاد العليا، هو تاريخ المسيح منذ سفر التكوين حتى الرؤيا بحوادثه المركزية الثلاثة: الموت، والقيامة، والصعود. لقد مُنح لنا أن ندخل تاريخ المسيح

الشخصي بالميلاد الجديد ونُحسب أن نكون أهلاً لبيت الله وليس بعد غرباء ونزلاء على الأرض. إننا، بأعمالنا التي نعملها بالصلاة والحب والبذل حاملين صليب يسوع المسيح ونقبله ونُدخله إلى قلوبنا وواقع حياتنا، نوثِّخ للمسيح فينا جديداً وللزمن الجديد ولنصرة المسيح على الخطيئة والموت والشيطان، مسيح القيامة والحق والحياة. لقد صارت حياتنا الجديدة في عمق أعماق تاريخ المسيح الحي الأبدى الذي لا يزول ولا يحول، الذي جمع فيه شتات الإنسان لكي لا يبقى الإنسان وحيداً قط.

وبذلك، فإن أعظم حوادث الإنسان اليومية على مستوى الجسد والعالم، تُحسب أنها لا شيء، وأنها حتماً ستتقلص عبر الزمن لتصبح غير ذات قيمة؛ أما أعمالنا الروحية التي نعملها بالروح بإخلاص بشهادة المسيح والضمير بمجد الله إنَّ بالصلاة أو بالدموع أو بعمل البذل والحب والإستشهاد، فهي نقط مضيئة ثابتة وباقية أبد الدهور، تتضخم لتصبح ضمن تاريخ المسيح كنور حقيقي يسير على هداها الألوف بلا توقف.

وهكذا، فإن قيامة المسيح كشفت عن حياة نصرية كاملة جديدة، عن عالم بأكمله أهدأ ليصير الإنسان مستوطناً فيه أبداً أبدياً، بعد أن كان متغرباً على الأرض وحيداً في هذا العالم مهزوماً متغرباً حتى عن ذاته، يستهلك نفسه ويستهلك عمره وزمنه ويرتضي في النهاية بأن يُدفن تحت التراب. قيامة المسيح خلقت أملاً، بل عالماً جديداً للإنسان يحيا فيه جديداً، غير وحيد.

وهكذا، فبما نقبل هذه القيامة التي قامها المسيح على أنها لحسابنا وعلى أساس شركتنا فيها كبداية حياة جديدة، وإمّا نستهن بها فلا يتبقى للإنسان إلا خرافة الواقع الممزق ووحشة الحياة اليومية بحوادثها الآيلة للإغلال ثم للزوال، يحيا دائماً في خوف من الموت ومن المستقبل تحت ثقل ضمير الخطيئة المميت، ينظر إلى الشيطان باحترام ورعية، وإلى الخطيئة كقوة حتمية، و ينتظر الموت كأنه حقيقة انتهاء كل شيء، حقيقة لا تُدحض. فهنا يحكم الإنسان على نفسه أنه يحيا خرافة فظيعة قوامها سيادة الشيطان والخطيئة والموت، هذه التي قد حطمها المسيح على الصليب وأنهى عليها تماماً، وفضحها بقيامته علناً، لكي يدوسها الإنسان كما داسها المسيح.

لقد اتضح للقديس بولس الرسول أن زمن الناموس والخطية عتق وشاخ، وهو إلى اضمحلال، لأن المسيح دشن بقيامته أزمته الخلاص لحياة البر الأبدي.

وإن كان هناك من لا يرى حقيقة القيامة ولا يحس بأزمته الخلاص ولا يفهم إمكانية الولادة الجديدة، فهذا لا يلغي أن المسيح قام حقاً وافتتح طريق الحياة الأبدية والنور والخلود لتطرقه رجل الإنسان، وتفتح عيناه لرؤية وجه المسيح القائم من الأموات وهو يمنح العطايا، جالساً عن يمين العظمة، معلناً قيام ملكوت الله وحكم الدهور، وأن الآن هو زمن التدبير لتكميل فترة الشهادة، وأن الله بصبره وطول أناته ترك للعالم أطول فرصة ممكنة ليشهد لنصرة المسيح على الشيطان والخطية والموت، لكي يكون مجيئه الثاني لإعلان نهاية مهلة الخلاص وبدء الدينونة العتيدة.

إن من يظل لا يرى ولا يحس ولا يؤمن ولا يشترك، لا يمكن أن يضع العيب على الله الذي أرسل ابنه علناً. فالذين شهدوا وعبروا هم ألوف ألوف وربوات ربوات، إنما العيب على العين الكليلية والآذان المسدودة والفكر المطموس للإنسان الذي استنزفته شهوته في كافة ميادين عالم الشهوة والضلالة وتمجيد الشيطان من حيث لا يدري.

القيامة والحياة الجديدة، تحتاجان إلى رؤية جديدة:

إن المسيح تراءى لكثيرين ممن اختارهم وليس للجميع، تراءى للذين انفتحت قلوبهم لرؤية أبعاد الحياة الجديدة — المجدنية وقفت أمام المسيح بعد القيامة مدة تحاطبه كأنه البستاني، لأنها كانت تحت أبعاد رؤية الإنسان العتيق، ولكن لما انفتحت عينها وانفتح قلبها للعالم الجديد، عرفت المسيح، وكذلك كثيرون من التلاميذ لما رأوه شكوا أولاً لأنهم كانوا منحصرين في توقعات الرؤية القديمة بأبعادها القديمة. والمسيح قام هو هو بجسده، إنما بأبعاد جديدة لا تحدها أبعاد هذا الزمان. لقد دخل المُلَيَّة والأبواب مغلقة. كذلك تلميذا عمواس، فقد قابلهما المسيح ولم يعرفاه في الطريق، وحادثهما طويلاً في نقاش ومبحث طويل حتى إلى وقت كسر الخبز حيث انفتحت أعينها فعرفاه.

هذه هي الحياة الجديدة والقيامة التي أنشأت في الإنسان كياناً وقدرات ورؤية أعظم بكثير مما هي عليه الآن. لذلك، فالإيمان بالمسيح والقيامة والحياة الأبدية تحتاج إلى عين جديدة وأذن جديدة وقلب وفكر جديدين: «تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم» (رو ١٢: ٢). هذه الآية هي الدليل الذهبي لطالبي الدخول في عشرة المسيح: «قلباً نقياً اخلفه فَيَ يا الله.» (مز ٥١: ١٠)

إن أمور المسيح وعطاياه الآن تفوق عقل الإنسان، ويتحتم أن يكون الإنسان مستعداً للتغيير تحت يد الله والروح القدس، حتى يصير ابناً لنقيامة وأهلاً للشركة مع المسيح وقديسه.

والمسيح جعل للإيمان قدرة واتساعاً وسلطاناً لقبول كل ما تستطيع الرؤية الحسية أن تحصل عليه. هكذا أعلن المسيح لتوما الرسول الذي صمم أن يقرن إيمانه بالقيامة بإحساس أصابعه!! فرأى وأحس وآمن!! ولكن إزاء هذا التصعيب في الإيمان المشروط، أعطى المسيح للإنسان باباً سرياً لقبول الدخول إليه بدون رؤيا حسية من أي نوع، فقال لتوما: «أأنتك رأيتني يا توما آمنك، طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو ٢٠: ٢٩). هذا هو المدخل السري العجيب للمسيح المقام من الأموات الذي به نتقابل معه في القلب بالرؤيا غير الحسية بالإيمان الذي يفوق الحواس جميعاً والعقل أيضاً، لأن أبعاد الرؤية اللازمة لإدراك القيامة هي فعلاً فوق طاقة الحواس والعقل والمنطق، ولكن هذه هي طبيعة القيامة.

المسيح القائم من الأموات الآن، هو مركز التاريخ الثابت والدائم والحقيقي، وتدور حوله كل حوادث الإنسان. أما الحوادث التي لا تمت لمسيح بصلة فهي خارج التاريخ. هي برونزات وأعراض مَرَضِيَّة، تتقلص وتموت وحدها، وهي ليست بذات قيمة في مصير الإنسان الجديد مهما كان وزنها وقيمتها التاريخيان.

والإنسان لا يستطيع أن يمزج بين تاريخ المسيح القائم الحي العامل لتكامل ملء كل شيء لاستعلان ظهور ملكوت الله وبين حوادث وأعمال ونشاطات لا تمت بصلة للإنسان الجديد ومسيرته مع الله.

(١٩٨٥)

فهرس شواهد الآيات الواردة في الكتاب

(رقم الشاهد / رقم الصفحة)

□□□

٢٨٢/٩: ٦٩	٢٢: ١٣٨/١ و ٢٢١ وما بعده	سفر التكوين:
١٣٦/٢٠: ٦٩	١٣٧/٦: ٢٢ و ١٣٠ و ١٣٥	٢٦٨/١٧: ٣
١٩١/١٥: ١٠٤	٢٢٩ و ١٣٨ و ١٣٧/٧: ٢٢	١٩٠/١٨: ١٤
١٦١/١٤/٨: ١٠٧	١٣٨/٨: ٢٢	١٧٠/٨: ٤٥
١٣٦/٢٧: ١١٨	١٣٦/١٢: ٢٢	١٩١/١٢ و ١١: ٤٩
١٤٣/١: ١٢٢	١٣٧/١٣: ٢٢	١٧٠/٢٠: ٥٠
سفر نشيد الأنشاد:	١٣٩/١٤: ٢٢	سفر الخروج:
٧٦/٢: ٥	١٣٩/١٥: ٢٢	١٦٥/١٢
٢٢٨/١٦: ٥	٢٤١/١٦: ٢٢	٢١٥/٢٨: ٢٢
سفر إشعياء:	١٣٧/١٧: ٢٢	١٩٠/٣٠: ٢٥
	١٣٧/١٨: ٢٢	سفر اللاويين:
٢١٧ و ٨٨/١٨: ١	١٩١/٢٣	٢٣١/٢: ١٧
١٢٤/٤—١: ٤٢	١٣٦/١١: ٣١	٢٤٢/١٤: ١٧
٢٢٨/٢: ٤٥	١٨٩/١: ٣٤	٦٠: ٢٣ هامش ٦٧
١٢٥/٤٣: ٤٩	١٩١ و ١٨٩/٨: ٣٤	سفر التثنية:
١٢٥/٧—٥: ٤٩	١٣٩/٢٠: ٣٤	٤٩/٨: ٧
٢٨٠ و ١٦٨/٧: ٤٩	١٩٦/١٣: ٣٥	٢١٤/٦: ١٧
١٢٨/٢٥ و ٢٤: ٤٩	٦٠: ٣٧ و ٢٢ (قبطية) / ٦٠	٢٨٣ و ٢٤٦/٢٣: ٢١
٢١٥ و ١٢٦/٧ و ٦: ٥٠	١٣٨/١١: ٣٨	٢٤٢/٣٣ و ٣٢: ٢١
٢١٦ و	١٣٥/٩: ٤١	٢١٥/٣ و ٢: ٢٥
١٢٧/٨: ٥٠	٢١٦/٥١	سفر المزمير:
١٣٤/٥ و ٤: ٥١	٢٩٤/١٠: ٥١	١٧٧/٣—١: ٢
١٣٣/١٢: ٥١	٢٠١/٧: ٥٧	
١٢٨/١٣: ٥٢	١٢٨/١٨: ٦٨	

٢٥٧/١٢:٢٤	١٦٨/٢٠:٣	٢٢٨/١٤:٥٢
١٤٨/٣٥:٢٤	سفرمكابين الأول:	٢١٧/١:٥٣
٧٦/١٠:٢٥	٦٧/٥٢—٥٠:١٣	٢٢٩و٢٢٨و١٢٩/٣:٥٣
١٣١/٨:٢٦	سفرمكابين الثاني:	٢٢٨و٩٠/٥و١٣١و٢٢٨
١٣٦/٢٥—٢١:٢٦	٦٧/٩—١:١٠	٢٢٨/٦:٥٣
٨٥/٢٨—٢٦:٢٦	إنجيل متى:	٢٢٩و١٣٢/٧:٥٣
١٤٣و٤١/٢٨:٢٦	١٠٦/١٠—٨:٤	٢٢٩و٢٢١/٨:٥٣
٢٢٩/٢٩:٢٦	١١٦/١٧:٥	١٢٧/٩:٥٣
١٧٩و١٢٥/٣١:٢٦	١٤٥/١٨:٥	١٣٣/١١و١٠:٥٣
١٧٥/٣٧:٢٦	١٢٣/٣٤:٥	٢٨٠و١٣١/١٢و١٣٤و١٣٠
١٧٥و١٠/٣٨:٢٦	٢٤٩/٤٤:٥	١٣/١٣:٥٣
٢٧٧و١٧٦و١٣٦/٤٠:٢٦	٢٥١/٤٦:٥	٢٣١/٣:٦٣
٢٧٧/٤٥:٢٦	١٠١/٨:٨	١٧٥/١٣—١٠:٦٣
١٣٦/٥٥و٤٧:٢٦	١٣١/١٧:٨	٢٢٢/٧:٦٤
١٣٦/٥٧و٥٠:٢٦	٤٢/٢:٩	سفرإرميا:
١٣٦/٥٦:٢٦	٢١١و٤١/١٣:٩	٤٣/٣٠—٢٩:٢
١٢٢/٦٤و٦٣:٢٦	١٢٤/١٦—١٤:١٢	سفرحزقيال:
١٨/٦٥:٢٦	١٢٤/٢١—١٧:١٢	٢١٠/٢٠:٨
١٢٦/٦٧:٢٦	٧٥/٢٠:١٢	سفرثوبيل:
١٣٧/٢٣:٢٧	١٢٧/٢٩و٢٨:١٢	١٧٧/١٧—١٥:٢
١٢٧/٢٦:٢٧	١٠٨/١٧و١٦	سفرعاموس:
٢٥٢و٢٤٢/٣٤:٢٧	١١١/٣٣و٢٢:١٧	٢٥٩/١١:٨
١٣٨/٤٣—٣٩:٢٧	١٦٥و١١٣/١٩—١٧:٢٠	سفرزكريا:
١٣٨/٤٦:٢٧ و٢٢١ و٢٠٨ و٢٢١ و٢٢٨	٢٤١و	١٧٧/٦:٤
بعده ٢٨١	٦٧/٩:٢١	٦٦/٩:٩
١٥٤/٥٣—٥٠:٢٧	٧١/٢٠—١٨:٢١	٢٤١/١٠:٢٢
١٥٧/٧—٥:٢٨	١٢٢/٤٢:٢١	سفرملاخي:
١٥٧/١٧—١٦:٢٨	٢٤١/١١:٢٣	٦٨/٥—١:٣
٢٣١و١٥٨/٢٠—١٨:٢٨	١٠١/٣٥—٢٩:٢٣	
٢٩٠		

إنجيل مرقس:

١٥٨/٣٧:٢٤	١٩٤/٣١٥:٩	١٠٢/٣:٨
١٠٥ و ٩٦/٤٨-٤٤:٢٤	١١١/٤٥ و ٤٤:٩	١٠٣/١:٩-٢٧:٨
١١٧ و	٢٩٠ و ٢٣١/١٨:١٠	١٠٤ و ٩٥/٣٦-٣١:٨
٢٨٠/٢٣:٢٧	١٢٧/٢٢ و ٢١:١١	١٠٦ و ١٩٥
إنجيل يوحنا:	٥٩/٣٤:١٣	١٣٥ و ١٢٩/١٢:٩
٢٧٢/٥:١	٢٢١ و ٧٢ و ٦١/٣٥:١٣	١١١ و ٩٥/٣٢ و ٣١:٩
٢٧٢/٦:١	٢٤٧ و ١٩٥ و ١٤٨/٢٧:١٤	١٩٥/٢١:١٠
٢٦١/١٤:١	١٧٤/١٢:١٦	١١٣ و ٩٥/٣٤-٣٢:١٠
٢٧٣ و ٢٧٢ و ١٣٣/٢٩:١	١٩٥ و ١١٣/٣٤-٣١:١٨	١٣٣/٤٥:١٠
٩٧/٥٠:١	٢٠٩ و	٩٩/٨:١١
٢٢١/١٩:٢	٦٩ و ٦٨/٢٧-١١:١٩	٦٧/١٠:١١
٩٦/٢٢:٢	٦٧/٤٠ و ٣٨:١٩	٩٩/١٢-١:١٢
٢٦٥ و ٢٥٦/١٦:٣	٦٠/٤٤:١٩	٨١/٤:١٤
٩٧/١٧:٣	١٤٤/١٥:٢٢	١٣٣/٢٤:١٤
١٤٥/٣١:٣	١٣٣ و ١٣١/١٩:٢٢	١٢٢/٦٢ و ٦١:١٤
١٥٥/٢٥:٥	١٣١/٣٧:٢٢	١٣٠ و ١٢٥/٦٥:١٤
١٢٢/٣٩:٥	٢٢٨ و ١٧٥/٤٤:٢٢	١٢٦/١٥:١٥
١٢٢/٤٦ و ٤٥:٥	٢٣٠ و ٢٢١ و ١٧٧/٥٣:٢٢	١٩ و ١٣٠/٢٠ و ١٣٧
١٩٠/٥٥ و ٤١:٦	٢٢/٨:٢٣	٢٢٩/٣١:١٥
١٨٢/٥٣:٦	٢١٧/١٦:٢٣	١٣٨/٣٤:١٥ و ٢٢١ و
١٥٢/٥٤:٦	١٣٧ و ٨٩/٢٣-٢٠:٢٣	بعده
٢٨٤/٥٦ و ٥٧:٦	٩٠/٢٨:٢٣	إنجيل لوقا:
٢٦٤/١١:٨	١٧٥/٣١:٢٣	٧١/٩:٣
٢٢١/١٢:٨	١٣٧/٣٣:٢٣	٨٢/٤٧:٧
٩٧/٢٨:٨	٢٠٧ و ١٧١/٣٤:٢٣	٤٢/٤٨:٧
١٢٧ و ٢٨/٤٦:٨	١٣٧/٣٥:٢٣	٢٣٠/٢١:٩
١٦٩/٦:٩	٢٠٧/٤٣:٢٣	١١٠/٢٢:٩
٣٧/٣٩:٩	٢٠٨ و ١٣٩/٤٦:٢٣	١٩٦ و ١٩٥/٢٣:٩
١٢٤/١٦:١٠	١٣٨/٤٩:٢٣	٣١/٢٦ و ٢٥:٩
٢١١/١٨:١٠	١١٦ و ١٠٣/٢٧-٢٥:٢٤	
	٢٣٣ و ١٥٨/٣٦:٢٤	

٢٩٤/٢٩:٢٠	١٩٤/٢٩:٢٠ — ١٨:١٥	٥٠/٢٨ و ٢٧:١٠
سفر أعمال الرسل:	٣٧/٢٤ و ٢٢:١٥	٦٣/٧ و ٦:١١
١١٩/٢٠ — ١٥:١	٤٣/٢٥:١٥	٦٣/١٥ و ١٤:١١
١١٩/١٦ — ١٤:٢	٩٧/٤:١٦	٦٣/٢١:١١
١١٩/٢٥ — ٢٢:٢	٢٩٠/١١:١٦	٢٢٤/٢٥:١١
١١٤ و ١٠٥/٢٣:٢	١١٧/١٥ و ١٤:١٦	٦٣/٣٣:١١
١١٩/٣١ — ٣٠:٢	١٢٢/١٨ و ١٧:١٦	٢٣ و ٦٣/٣٥:١١
١٨٤/٤٢:٢	٢٢/٢٠:١٦	٦٢/٤٤:١١
١٨٥/٤٧ و ٤٦:٢	١٢٥/٣٢:١٦	٩٩/٤٨:١١
١١٩/١٨ و ١٧:٣	٩٨/١٢:١٧	٨١/٣:١٢
٢١٠ و ١١٩/٢٦ — ٢١:٣	٢٨/١٤:١٧	٨٤/٧:١٢
١١٩/٢٨ — ٢٤:٤	٢٨٤/٢٣ و ٢١:١٧	١٦٦ و ١٢٧ و ٩٨/٢٧:١٢
٢٤٨/٤١ و ٤٠:٥	٧٧/٢٤:١٧	٢٣٠ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢٣٠ و
١١٩/٥٢ و ٥١:٧	٢٨٢/٢٦:١٧	٢٦٤ و
١٣٢/٣٥ — ٢٦:٨	١٩٥ و ٩٦ و ٩/٤:١٨	٢٣١/٣١:١٢
١٠٥/٢٢:١٤	٢١١ و ١٦٩/١١:١٨	٢٤٠/٣٢ و ٣٢:١٢
٢٨٧/١٣:٢١	١٢٦/٢٢:١٨	١٢١/٣٧ و ٣٤:١٢
٢١٥/٥:٢٣	٢١٢ و ١٨/٣٠:١٨	١٤٢/٧:١٣
الرسالة إلى رومية:	٢٢٩/٣٥:١٨	٨٦/٨:١٣
٤٣/١٦:٢	٢١٢/٧ و ٦:١٩	٩٨/١١:١٣
٣٣/٢٠:٣	١٧٠/١١:١٩	٩٨/٢٧:١٣
٢٨٦/٢٦ — ٢٤:٣	٩١/١٧:١٩	١٢٦ و ١٢٥/٣٢ — ٣٠:١٣
٣٩/٢٤:٣	١٣٧/٢٤ و ٢٣:١٩	١٢٥/٣٨:١٣
٢٧٥ و ٤٨ و ٣٩/٢٥:٣	٢٠٨ و ١٣٩/٢٦:١٩	١٩٦/٥:١٤
٢٨٥ و ٢٧٥/٢٥:٤	٢٠٨/٢٨ و ٢٧:١٩	١٢/٦:١٤
٤٦/١:٥	١٣٨/٣٠ — ٢٨:١٩	١٢١/٩:١٤
٢٧٧/١٠ — ٦:٥	٢٠٨ و ٣٢ و ٢٧/٣٠:١٩	٢٨٨/٢٧:١٤
٢٧٦/٨:٥	٢٩٠ و	٩٧/٢٩:١٤
٤٦ و ٣٩/٩:٥	١٣٩/٣٤:١٩	٢٨/٣٠:١٤
٣٢/١٣:٥	١٣٩/٤٢ و ٤١:١٩	٩/٣:١٥
	١٥٨ و ٣٨/٢٧:٢٠	٢٠١/٥:١٥

الرسالة إلى غلاطية:

٢٥٢ و ٢٠٧ و ١٤٦/٢٠:٢

٣٨/١:٣

٢٤٦/٣:٣

٢٨٣ و ٢٤٢/١٠:٣

٢٨٣ و ٢٤٢ و ٢٢٩/١٣:٣

٣٤/٢٤:٣

٤٤/٣:٤

٥٠/٦:٤

٥٠/٧:٤

٤٦/٥:٥

٤٦/٦:٥

٢٧٦/١٤:٦

الرسالة إلى أفسس:

٤٨/٧:١

٢٣٨/٩:١

٥١/١٤ و ١٣:١

٢٣٧/١٩:١

٢٥٦/٦:٢

٣٩/١٣:٢

٢٣٤/١٤:٢

٢٧٩/١٢:٣

١٢٨/٩-٧:٤

٥٠/٣٠:٤

٢٧٧/٢:٥

٢٩١/١٦:٥

٢٨٨/٣٠:٥

الرسالة إلى فيلبي:

٢٤٤ و ١٩٨/٨-٥:٢

١٣٤ و ١٢٩ و ١٢٧/٨ و ٧:٢

٩٧/١٥:٢

٢٤٥/١٦:٢

٢٨٥/٣:٥

٢٧٧/٧:٥

٢٧٦ و ٤٩/٢٠ و ١٩:٦

٢٧٦ و ٤٤/٢٣:٧

٢٩١/٢٩:٧

٣٩/١٦:١٠

٢٦٨/٣١:١٠

١٨١/٢٩-٢٣:١١

١٨٣/٢٦:١١

١١٨/٤-١:١٥

٢٧٦/٨-١:١٥

١٥٥/٢٠-١:١٥

٣٥/٩:١٥

١٥٦/١٤:١٥

٢٧٠ و ٢٦٢/٢٠:١٥

٢٣٣/٤٩:١٥

الرسالة الثانية إلى كورنثوس:

٢٥ و ١٥/٥:١

٢٤٧/٦:٤

٤٣/١٠:٥

٢٦٨ و ٢٠٧ و ١٩٧/١٥:٥

٢٩١ و ٤٧/١٨ و ١٧:٥

٢٥٦ و ٤٦/١٩:٥

٢٢٩ و ٤٦ و ١١/٢١:٥

٦١/١٦:٦

٢٥/٧-٤:٧

٢٣/١٠ و ٩:٧

٢٤٦/٤:١٣

٤٨/٢٥:٥

٢٧٥/٦ و ١٠:٦

٢٨٣/١٤:٦

٤٤/١٩ و ١٧:٦

٢٨٣ و ٢٧٠/٢٣:٦

٢٣/٨:٧

٣٤/٩:٧

٣٥/١١:٧

٣٣/١٢:٧

٣٣/١٣:٧

٤٩/١٤:٧

٤٤/٢٣:٧

٣٤/٢٤:٧

١٤٩/١:٨

١٦/٢:٨

٢٤٣ و ٣٦/٣:٨

١٤٧ و ١٥/١٧:٨

٢٩١/٢٣-١٩:٨

٥١/٢٣:٨

١١٤/٣١:٨

٢٧٥/٣٢:٨

١٣٤/٣٤:٨

٢٩٤/٢:١٢

الرسالة الأولى إلى كورنثوس:

٢٤٦ و ٢٣٥/١٨:١

٢٠٠/٢٢:١

٢٥٠ و ٢٣٨/٢٤ و ٢٣:١

٢٧٧ و

٢٥٠/٢٥:١

٢٥٨/٢:٢

٢٧٥/٢٤ و ٢٢: ١٢	١٤٥/١٢ و ١١: ١	٢٢٩ و ٢٢٢ و
١٩٥ و ٢٩/١٣: ١٣	٢٧٤/٣: ٢	١٢٩/١٠ — ٧: ٢
٢٧٤/١٤: ١٣	٢٧٤/٩: ٢	١٥/١٠: ٣
٢٧٥/٢١ و ٢٠: ١٣	٢٠٣ و ٢٠٢ هاشم / ١٠: ٢	١٤٦/٢٠: ٣
رسالة يعقوب:	٢٢٧ و	٢٨٧/٢١: ٣
١٥/٢: ١	٢٧٤ و ٢٣٠/١٤: ٢	الرسالة إلى كولوسي:
٢٨٩/١٧: ٢	٢٣٠ و ٤٤/١٥: ٢	٢٧٧/٢٣ — ١٩: ١
رسالة يهوذا:	٢٦٨/١٧: ٢	٢٦٢ و ٤٧ و ٤٠/٢٠: ١
٤٣/٦: ١	٢٢٧/١٨: ٢	٢٦٨ و
رسالة بطرس الأولى:	٢٧٤/١٢: ٣	٢٤ و ١٥/٢٤: ١
٢٧٦/٢: ١	٢٦٣/١٥: ٤	٤٧/٣: ٢
٢٨٨/٦ — ٣: ١	١٧٩ و ١٧٦ و ١٣/٧: ٥	٢٣١/٥: ٢
٢٦٤ و ٤٩/١٩ و ١٨: ١	٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢١١ و	١٢٨ و ٤٧/١٤: ٢
٢٧٦ و	٢٢٩/٨: ٥	١٢٨/١٥: ٢
٢٧٦ و ٢٦٤/٢٠: ١	١٣٥/٢٥: ٧	الرسالة الأولى إلى تسالونيكي:
٢٤٨/٢٢: ١	١١/٢٦: ٧	٢٧٧/١٤: ٤
٢٨٩/٢٣: ١	٢٧٣/١٢: ٩	٢٧٧/١١ و ١٠: ٥
٢٤٨/٩: ٢	٢٧٣ و ٤١/١٤: ٩	الرسالة الأولى إلى تيموثاوس:
١٦/١٩: ٢	٢٧٣ و ٣٢ و ٣٧/٢٦: ٩	٢٧٧/٦ و ٥: ٢
١٢٧/٢٢ و ٢١: ٢	٢٨٤ و	٤٥/١٦: ٣
١٣٢/٢٣: ٢	٢٧٣ و ١٤٨/٢٧: ٩	الرسالة الثانية إلى تيموثاوس:
٢٤٣ و ١٣١ و ١٠/٢٤: ٢	٢٧٣ و ١٤٨ و ١٣٤/٢٨: ٩	٢٨٧/٨ و ٧: ٤
٢٧٦ و	١٣٤/١٠ — ٥: ١٠	الرسالة إلى تيطس:
٢٧٦/١٨: ٣	٢٧٥/١٠: ١٠	٢٧٧/١٤: ٢
٢٠٦/١٣: ٤	٢٧٤/١٢: ١٠	٤٤/٣: ٣
رسالة بطرس الثانية:	٢٧٥/١٥ و ١٤: ١٠	٤٧/٥: ٣
١١٨/١٩ و ١٦: ١	٢٧٧/٢٠ و ١٩: ١٠	الرسالة إلى العبرانيين:
رسالة يوحنا الأولى:	٢١٤/٢٨: ١٠	٤٦/٣: ١
٢٧٦/٧: ١	٧٨/٣٨ و ٣٧: ١١	
	٢٧٥ و ٢٢٨ و ١٩٤/٢: ١٢	
	٢٧٥ و ٢٧٤ و ١٧٩/٤ و ٣: ١٢	

٢٣١/٢:٦	٣١/٥:٥	٤٩/١٩:١
١٩١/٨٨:٧	٢٩١/١٩:٥	٢٧٦/١٤٦:١٣٥/٢:٢
٢٧٢/٣:١١	سفر الرؤيا:	٢٥٥/١١:٢
٢٧٢/٨:١١	٢٩/٢١:٣	٢٨/١٦:٢
٢٧٢/٢٦٥/٨:١٣	٢٧٢/٦:٥	٢٨٧/٢٤٩:١١٠/٢:٣
٧٩/٩:١٩	٢٧٦/٥١/٩:٥	٢٥٩/١٤:٣

